القسم الثاني

الفصل الأول
من الفتح إلى معركة القادسية

« الوعد الحق »

(وَعَدَ اللهُ الَّذينَ آمَنُوا مِنْكُم وَعَمِلُوا الصَّالحاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم في الأرْضِ كما استَخْلَفَ الَّذينَ مِنْ قَبْلِهِم ، وَلَيُمَكِّنَنَّ لهم دينَهُمُ الَّذي ارْتضى لهم وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِن بَعْدِ خَوْفِهِم أمْناً. يَعْبُدونَني لا يُشْرِكونَ بي شَيْئاً وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذلكَ فأولئكَ هُمُ الفاسِقُونَ) .

صدق الله العظيم

« الآية ٥٤ – سورة النور »

١ – فارس عبر التاريخ .

٢ – موقعة ذات السلاسل .

٣ – موقعة المزار .

٤ – موقعة الولجة .

٥ – موقعة أليس على الفرات .

٦ – يوم المقر . وفم فرات بادقلي .

٧ – موقعة الانبار .

٨ – موقعة عين التمر .

٩ – يوم دومة الجندل .

١٠ – يوم حصيد .

١١ – الاغارة على مصيخ .

١٢ – الاغارة على الثني والزمل .

١٣ – يوم الفراض وتحرك خالد من العراق الى الشام .

١٤ – معركة باب بابل .

١٥ – يوم النمارق .

١٦ – يوم السقاطية بكسكر .

١٧ – وقعة الجسر .

١٨ – يوم البويب .

١٩ – الاغارة على الخنافس وسوق بغداد .

٢٠ – القادسية .

عمليات الجبهة الشرقية

« فارس عبر التاريخ »

كان القضاء على دولة الفرس هو بداية مرحلة عمليات الجبهة الشرقية ، ونظراً للاهمية التي تميزت بها عمليات هذه الجبهة ، فانه لزاماً اجراء دراسة تفصيلية لطبيعة هذا المسرح من النواحي البشرية والاجتماعية والعسكرية .

١ ــ فارس عبر التاريخ :

ــ اثبتت المكتشفات الحديثة ، والدراسات العلمية وجود حضارات عريقة متطورة ازدهرت على مسرح الهضبة الايرانية . ويعود تاريخ هذه الحضارات الى ما يزيد عن ٧٠٠٠ سنة ق. م. الا ان هذه المكتشفات لم تظهر الصورة الكاملة لتلك العهود السحيقة وكل ما امكن جمعه من معلومات هو وجود اسرة مالكة حكمت قبل الاخمينيين وامتد حكمها من الفترة ٧٠٨ ــ ٥٥٠ق.م. ولم يعرف اي تطور حضاري لهذه الفترة التي حكمها اربعة ملوك . ثم تعاقبت بعد ذلك اربعة سلالات آرية حكمت الهضبة الايرانية على النحو التالي :

١ ــ الاخمينيون	٥٥٩ ــ ٣٣١ ق . م.
٢ ــ السلوقيون	٣٢٣ ــ ١٢٩ ق. م.
٣ ــ الاشكانيون ــ الفرتيون	٤٢٨ ق. م. ــ ٢٢٦ م.
٤ ــ الساسانيون	٢٢٦ ــ ٦٤١ م.

آ ـ الاخمينيون :

حكمت الاسرة الاخمينية فترة ٢٢٠ عاماً . وتعاقب على الحكم احد عشر ملكاً ، اولهم « قورش » كوروش الكبير ٥٥٠ ـ ٥٢٩ ق.م. وآخرهم داريوش الثالث ٣٣٦ ـ ٣٣٠ ق. م.

بدأ قورش حكمه بتوحيد شمال غرب الهضبة الايرانية مع جنوبها الشرقي وقضى على دولة الميديين التي كانت عاصمتها « هكمتانة » همذان حالياً ـ والتي كانت تمتد حتى اذربيجان وشواطىء قزوين . ثم تابع قورش فتوحاته حتى اصبحت امبراطوريته تمتد من مصر الى الهند ، ثم تابع حفيده داريوش الأول سلسلة الفتوحات فاحتل اجزاء من البنجاب والسند شرقاً وفارس غرباً.

تميز حكم هذه الاسرة بالقوة ومحاولة تحقيق الديمقراطية والعدالة ، وقد كشفت الحفريات في بابل عن وثيقة « لوحة من الطين » اعلن فيها الملك قورش اول بيان لحقوق الانسان وذلك بعد انتصاره على بابل ، وكان نص الوثيقة كالتالي :

[انا قورش ، عندما اتيت الى بابل وانا في كامل قوتي ، اقمت حكومتي فيها بين الافراح والابتهاجات والاحتفالات ، وكانت الجيوش التي لا يحصى عدد أفرادها ، لا تلقى في المدينة اي مقاومة ، ولم اسمح لاي شخص ان ينشر الخوف والرعب في ارض سومر . وأكاد « العراق » .

لقد رمقت انحلال اهل بابل السيء ، وعمرت بيوتهم المخربة ووضعت حداً لسوء حالهم ، واعدت جميع الناس من ... الى مدن آشور وشوش ، « أكاده » و« اشتونا » ومدن « زميان » و« ميورتو » و« در » حتى نواحي ارض « كيوتيوم » مهد الترك المغول . ومدن ما وراء دجلة ـ التي تعرضت معابدهم المقدسة للدماء . وكذلك الآلهة التي كانت تقيم بينهم ، اعدتهم

جميعاً الى اماكن سكناهم – لقد جمعت جميع ساكنيها ، واعدت لهم منازلهم] (١) .

افاد اليهود وحدهم من هذا الاعلان ، واطلق قورش سراحهم بعد اقامة جبرية في بابل استمرت سبعين عاماً ، وقد تميز حكم هذه الاسرة بالنواحي التالية :

اضطهاد الشعوب – لا سيما في مصر التي رفضت الاستسلام للفرس وقاومت الاحتلال .

تنظيم سبل المواصلات .

تنظيم اجهزة الدولة وتشكيل مجلس شيوخ من القادة ومجلس للكهنة والرؤساء الدينيين .

تنظيم اجهزة الامن والجاسوسية « جهاز المفتشين » .

العناية بالآداب والفنون والطب .

تقسيم الدولة الى ٣١ ولاية لكل واحدة كيانها الذاتي وادارتها المحلية بواسطة ثلاثة ضباط وحاكم مدني اومرزبان وكاتم اسرار وقائد عسكري .

ب – السلوقيون :

في عام ٣٣٠ بدأ الاسكندر المقدوني زحفه من القسطنطينية في اتجاه الساحل

---

(١) كان نبوخذ نصر قد سبى اليهود الى بابل ، وتشير المصادر التاريخية ان مجموعات كبيرة منهم استوطنت في اصبهان . وكان لها دور في دعم الأخمينيين ودفعهم لتدمير « بابل » . وان نص الوثيقة يذكر باعلان حقوق الانسان وجعل اليهود متساوين مع غيرهم من المواطنين الفرنسيين بعد الثورة الفرنسية ، وكذلك اعلان لائحة المساواة في انكلترا على يد رئيس وزرائها اليهودي « دزرائيلي » وكذلك في اوربا والاتحاد السوفييتي فيما بعد . ومن المعروف ان اول مجلس سوفييت كان يضم ٣٧١ عضواً يهودياً من أصل ٣٨٨ عضواً .

(١) ص ٣٠ – ايران في الحضارة – سليم واكيم ، اصدار مطابع دار الكتب .

للسوري ، وبعد فتح صيدا وصور توجه نحو الداخل ثم وصل فارس وازال دولة «الأخمينيين» ، ثم تابع زحفه حتى شرق ايران وعاد بعد ذلك الى بابل حيث لقي حتفه .

بعد وفاة الاسكندر قسمت الامبراطورية الى ثلاثة اقسام بين قوادثلاثة :

١ - سلوقوس نيكاتور ، الذي اعلن نفسه حاكماً على ايران والعراق وقسم من آسيا الصغرى .

٢ - بطليموس وقد امسك بزمام الحكم في مصر .

٣ - لوسيماكوس - اليونان والقسم الغربي من آسيا الصغرى .

استمر حكم السلوقيين لفارس مئتي سنة قبل ان يتم طردهم نهائياً من « بلاد فارس » .

لقد افاد اهالي البلاد من حكم اليونان لهم فكرياً واجتماعياً ، كما افاد اليونان بدورهم ، ونتيجة لهذا التبادل الحضاري شهدت البلاد نهضة عمرانية وثقافية جيدة .

ج - الاشكانيون والفرتيون :

الاشكانيون - الفرتيون قبائل آرية من خراسان ، حكمت بلاد فارس ٤٧٢ .

استطاع أشك الأول طرد السلوقيين ، وتعاقب على حكم بلاد فارس من سلالته ثمانية وعشرون ملكاً اولهم بترداد الأول ٢٤٨- ٢١٤ ق. م. وآخرهم اردوان الخامس ٢١٦ - ٢٢٤ م .

اطلق العرب على هذه السلالة اسم « ملوك الطوائف » ، ولا اختلاف كبير بينهم وبين اسلافهم الأخمينيين .

امتزج الفرتيون بالميديين والفرس ، وانصهروا في بوتقة واحدة ، وتكلموا لغة واحدة هي الفارسية .

لم يختلــف الاشكانيون ــ الفرتيون عن اسلافهم من حيث اسلوب الحكم او ادلراته واستطاعوا الصمود طوال ٣٠٠ عام في وجه الغزو الروماني ، وكانت الحرب سجالاً بين الطرفين .

تأثرت الدولــة الغربية بالرومان نتيجــة للاحتكاك الدائم بهم . وظهر ذلك في فن العمارة .

صمــد الفرتيون ايضاً لغزوات البرابرة القادمين من آسيا الوسطى مبتدئين من الشمال الغربي للصين . وهذه احدى الموجات التي غزت اوربا .

٤ ــ الساسانيون :

كــان اردشير بابكان القائد الفارسي ــ من السلالة الساسانية ــ وقد افاد من تدهور الاوضاع والتمزق الداخلي وحروب الاستنزاف الطويلة ، فاسقط اردوان الخامس وانتزع السلطة لنفسه ، وتعاقب على حكم فارس ستة وثلاثون ملكاً .

تميزت هــذه الفترة بازدهار الفنون والآداب وتطور الحياة العسكرية وقد كان لذلك اثره على روما ، الدولة المنافسة التي اضطرت الى نقل عاصمتها وجعلها القسطنطينية بدلا من روما .

لقــد كانت العوامل التي مزقت الاسرة الفرتية هي ذات العوامل التي مزقت الاسرة الساسانية وانتهت بها الى الدمار ، ويكفي ان تقول ان هناك ١٢ ملكاً تعاقبوا على حكم فارس في نهاية امرها خلال فترة ثلاثة اعوام فقط .

الأصل السكاني :

تشــير الدراسات الى ان الهضبات الايرانية كانت منذ اكثر من اربعة آلاف سنة مقراً للاقوام الآرية البدائية . كما كانت ممراً لاقوام هبطوا اليها شمالا من اوربا ، فكانت بمثابة بوتقة صهرت فيها الشعوب الآسيوية الاوربية.

ان لفظـة ايران هي كلمة محرفة عن Ariane ومنها اللفظة المعروفة حالياً « آري » وهي لتمييز سكان هذا الاقليم عن غيرهم من العروق السامية او او السلافية او التورانية الخ . اما كلمة « فارس » فهي اسم للاقليم الواقع جنوب غرب ايران على ضفة الخليج العربي وكانت تعتبر قلب الامبراطورية الفارسية ، ولهذا تم تعميمها لتشمل ايران كلها وتصبح مرادفة لها . هذا من ناحية ومن ناحية اخرى فان الاسرة الاخمينية التي اسست اول حكم لها فوق ايران كانت من سكان فارس ولهذا اعطت اسم فارس للاقليم كله .

كانت اللغـة المستخدمة هي اللغة الآرامية ، وقد تطورت مع الزمن وهي المستخدمة حالياً في ايران .

الوضع الاجتماعي :

– وصلت الدولة الساسانية الى مرحلة متطورة في بناء السلم الحضاري . فقد تعلمت اقامة السدود من الرومان ، وكان لها نقودها الذهبية والفضية ، واشتهرت بصناعة الحرير ، كما ان تنوع اقاليمها افادها في تطوير الزراعة . وكان لالتقائها باليونان والرومان اثر كبير في تطوير المناخ الفكري ، وانماء الاحساس الفني : الغناء ، الموسيقى ، الرسم ، التصوير . وقـد ظهرت الزرادشتية المبشرة باله واحد قبل ٧٠٠٠ سنة ق. م.
واتخذته الدولة الاخمينية مذهباً لها .

عـاش زاردشت في القرن السابع قبل الميلاد ومات سنة ٥٨٣ قتلا بعد ان وصل عمره حتى ٧٧ عاماً . كان موطنه « اذربيجان » استطاع نقل مذهبه الى بلخ ومنها الى فارس .

خـالف زاردشت فئة المجوس ، ونادى بوجود أهورا ، مزدا ، الإله الواحد ، وقد دخلت فكرة « يهوا » في التوراة – سفر اشعيا – في عهـد الامبراطورية الفارسية .

وهكـــذا اصبح يعيش فوق ارض فارس مذهبان «المجوسية والزاردشتية »، ثم جاءت اليهودية خلال فترة السبي ،فاصبح هناك مذهب ثالث ، وعندما ظهرت النصرانية اصبح هناك النسطوريون واليعاقبة ، كما تسرب المزدوية والمانوية واخيراً جاءت المزدكية التي تفرعت عن المانوية . ويعود هذا المذهب الى اسم صاحبه مزدك الذي كان من اقواله :

[ان الله انما جعل الارض ليقسمها العباد بينهم بالتساوي بحيث لا يكون لاحدهم اكثر مما لغيره وقد أنشأ عدم المساواة بالقوة.فكل فرد يريد اشباع نهمه على حساب اخيه ، والحقيقة ان من كان عنده فضلة من الاموال والنساء والامتعة ، فليس هو أولى بها من غيره . فينبغي ان يأخذوا من الاغنياء للفقراء . وان يردوا من المكثرين على المقلين وذلك حتى يقيموا المساواة البدائية ، وينبغي ان تكون النساء والأموال شراكة بين الناس كاشتراكهم في الماء والنار] .

في عـــام ٤٨٨ م اصدر قباذ بن فيروز قوانين ثورية تبيح النساء والاموال وتحالف مع المزدكية للقضاء على قوة الأشراف . فقامت ثورة اشعل نيرانها الزاردشتيون — واندلعت في البلاد كلها — وبعدما انتهت فترة الزخم الثوري اجتمع الاشراف واقاموا مجلس الشورى،وعقد الصلح مع الملك وانتهت الأزمة. ثم حيكت مؤامرة بين ولي العهد والزاردشتيين وابيدت جماعة المزدكية ، وكان ذلك في سنة ٥٣١ .

العلاقات بين الفرس والروم :

لم تكـــن العلاقات بين الفرس والروم جيدة ، وليست هناك حاجة ان نعود الى ايام الاسكندر الذي فتـــح فارس وحكمهـــا لمـــدة مئتي سنة . اننا سنقتصر هنا على علاقة آخر سلالة فارسية قبل الاسلام بالدولة المنافسة لها : الروم.

لقـــد كانت هناك بين الدولتين حروب مستمرة ، وها هو جـــدول بالحروب الرئيسية بينهما :

	اسم ملك الفرس	سنة	الحرب ضد امبراطور روما	موجز عن المعركة
١	الملك اردشير	٢٢٤ م.	ارمينيا حليفة روما	انتصار اردشير .
٢	» »	٢٢٥ م.	ما بين النهرين – جزء من الدولة	» »
٣	» »	٢٣١-٢٣٢	اسكندر سفيروس	سجالا . قاد الامبراطور الهجوم بنفسه دعماً لحلفائه .
٤	» شابور	٢٤٤	الامبراطور فيليبوس العربي	– صالح الامبراطور العربي – حاكم روما – وكان لمصلحة الفرس .
٥	» »	٢٦٠	» الروماني فاليريان	– استطاع شابور اسر فاليريان ، ونقل الاسرى الى تستّر لبناء سد .
٦	» بهرام الثاني	٢٨٢	الامبراطور كاروس	وصل الروم الى المدائن وتنازل الفرس عن سوريا وارمينيا للروم .
	– انهارت الامبراطورية الرومانية وقامت على انقاضها الامبراطورية اليونانية البيزنطية التي يسميها العرب دولة الروم . – كما حدثت في هذه الفترة فتن وثورات داخلية تطلبت جهداً كبيراً حتى امكن اعادة توحيد دولة الفرس .			
٧	شابور الثاني	٣٥٩-٣٦٣	كونستانس وخلفه جوليان	هزمهم شابور وقتل جوليان بعد معارك اربعة اعوام .
٨	شابور الثاني	٣٧٦	بعد معارك طويلة عقد صلح لمدة ثلاثين سنة استعاد بموجبه الفرس سيطرتهم على نصيبين وسنجار والمناطق المتنازع عليها من ارمينيا . استؤنفت الحرب بعدها ثم عقد صلح للمرة الثانية مدته مئة عام . وفي السنوات الاخيرة من حكم بهرام الرابع اقتسمت فارس والروم ارمينيا فدخل القسم الأكبر وهو القسم الشرقي تحت سيطرة فارس .	

العلاقة بين الفرس والعرب :

على الرغم من الخلاف القائم بين الفرس والروم ، الا انهما كانا على اتفاق في نقطة واحدة هي عدم السماح للعرب بانشاء دولة قوية ، وعندما كانت تشعر احدى الامبراطوريتين بقوة قد تهددها فانها تدمرها بسرعة . لقد كان الفرس والروم يريدون للعرب قوة تمكنهم من القيام بدور مخفر متقدم للدفاع عن حدودهم وليس قوة تمكنهم من تحقيق كيانٍ ذاتي .

وانقسم العرب نتيجة ذلك الى ثلاثة تيارات .

١ ـ تيار يدعم قضية الدولة الغربية روما ـ والروم .

٢ ـ تيار يدعم قضية الدولة الشرقية فارس .

٣ ـ تيار يحاول الحفاظ على اصالته « متقوقع في اعماق الجزيرة » .

وقد يكون من المفيد استعراض تاريخ هذه العلاقة :

موقف الفرس من دولة البابليين :

قامت دولة البابليين على انقاض دولة الأكاديين ، واتخذ البابليون من بابل عاصمة لهم ، وتوسعت مملكتهم ايام حمورابي ١٧٢٨ ـ ١٦٨٦ ق . م . فامتدت من جنوب الرافدين جنوباً ودولة الآشوريين شمالاً حتى البحر المتوسط غرباً .

عمرت دولة البابليين ثلاثمائة عام ثم جاء الفرس فدمروا الدولة البابلية عام ١٥٣١ ق. م.

موقف الفرس من دولة الآشوريين :

الآشوريون مثل البابليين والأكاديين ، عرب ساميون نزحوا من الجزيرة العربية واستوطنوا اطراف الرافدين وخضعوا لاقربائهم البابليين .

عندما انهارت دولة بابل ، اعلن الآشوريون استقلالهم ، الا ان الفرس

« الميديون – الإشكاتيون – الفرتيون » بسطوا نفوذهم عليهم ، ولما حدثت انشقاقات داخلية في ايران افاد العرب الآشوريون فوسعوا بلادهم حتّى شملت سوريا وفلسطين ومصر .

تعـاون الكلدانيون – العرب مع الميديين ودمروا الدولة الآشورية واستولوا على نينوى عام ٦١٢ ق. م.

موقف الفرس من الكلدانيين ، الدولة البابلية الثانية :

جـدد الكلدانيون بناء بابل ، ووسعوا رقعة دولتهم حتّى شملت سوريا وفلسطين ، وكان اشهر ملوكهم نبوخذ نصر – بختنصر الذي ازال دولة يهوذا وقام بسبي اليهود ونفاهم الى بابل عام ٥٩٦ ق. م .

انتهت دولـة الكلدانيين على يد قورش الأول الفارسي عام ٥٣٩ الذي دمر بابل وحرر اليهود وأعلن اول وثيقة لحقوق الانسان .

موقف شابور الثاني من العرب « ذي الاكتاف » :

شـابور الثاني هو ثامن ملوك الاسرة الفارسية الثالثة « الساسانيون » ٣٠٩– ٣٧٩ م.

اراد الانتقام لما حدث في بداية عهده من تحالف بين العرب والهياطلة ، فجرد حملة ضد القبائل العربية وكان لا يقبل فدية او غنيمة ، ومضى حتّى وصل الى هجر وفيها قبائل بني تميم وبكر بن وائل وعبد قيس ، ثم اتى اليمامة وتمركز في بلاد بكر وتغلب واتبع مع العرب اسلوب الابادة ونزع اكتاف خمسين الفاً منهم حتّى لقب « بذي الأكتاف » ولم يرتدع حتّى جابهته نسوة من العرب وقالت له سيدة عجوز :

[ايها الملك ان كنت تطلب ثأراً فقد ادركت وزدت ، وان كنت تعم قبائل العرب بالقتل . فاعلم ان هذا قصاصاً ولو بعد حين] .

عـاد شابور الثاني الى عاصمته « نهوند » بعد ان اباد قبائل عربية بكاملها .

موقف الفرس من المناذرة :

في منتصف القـــرن الثاني للميلاد ، نزحت قبائل عربية من قلب الجزيرة واستوطنت اطراف الرافدين وجعلت من الحيرة عاصمة لها ، وأفاد المناذرة من ضعف الفرس فوسعوا رقعة دولتهم .

اعتـــبر الفرس دولـــة المناذرة تابعة لهم ، ومخفراً امامياً يدفع عنهم هجمات العرب ويدعمهم ضد خصومهم الروم ، وأقاموا فيهـــا حاميات عسكرية .

حـــدثت خلافات بين المناذرة بسبب الحروب الخارجية ، وتدخل كسرى في الخلاف فخلع النعمان بن المنذر وقبض عليه وقتله وعين مكانه اياس بن قبيص .

كـــان لقتل المنذر صدى سيء في نفوس العرب ، علاوة على نقمة العرب السابقة ضد الفرس . وقد حاول كسرى الامعان في اذلال العرب فبعث الى هانىء بن مسعود ، يطالبه بتسليم الاسلحة والدروع التي اودعها عنده المنذر قبل قتله . ورفض هانىء بن مسعود الشيباني .

ســـير كسرى جيشاً لتأديب هانىء ، فاستنفرت القبائل العربية ،والتحمت في معركة ضد الفرس وانتصرت عليهم في معركة « ذي قار » عام ٦١٠ م .

* * *

ان مـــا ذكر هنا من علاقات عدائية بين الفرس والروم من جهة وبين الفرس والعرب من جهة اخرى لم يكن عائقاً امام استمرار علاقات وديـــة بين هذه الاطراف الثلاثة .

كـــان الفرس والروم يهتمون باستمرار المبادلات التجارية واقامة العلاقات الودية خلال فترات السلم ، مع ما يتبع ذلك من تبادل للوفود ، وارسال الهدايا . وكان حرير ايران يصل روما ، واسلحة روما تصل ايران ، وكان العرب يفيدون من ذلك كوسطاء بين الطرفين .

ومن ناحية اخرى كان الفرس يشعرون باهمية الدور الذي يمارسه حلفاؤهم من العرب للدفاع عن حدود امبراطوريتهم فكانوا يتخذون من بعضهم اصدقاء لهم ، الى حين .

الموقف العام عشية الفتح الاسلامي للعراق .

١ ـ الوضع الداخلي ـ :

كانت الجبهة الداخلية لبلاد فارس عشية الفتح الاسلامي ممزقة متداعية ، ضعيفة . ومن اهم عوامل التمزق ما يلي :

ا ـ ثورة المزدكية ، لقد تسببت الثورة الشيوعية في تمزيق وحدة الصف الوطني الايراني وكانت الحرب الأهلية التي وقعت بين الزاردشتية والمزدكية من العوامل الهامة في فقدان تلاحم قوى الشعب . وعلى الرغم من القضاء على الثورة الشيوعية ٥٣١ وابادة اصحابها الا ان عقابيلها لم تنته . وكان هناك هوة كبيرة قد اصبحت تفصل بين الحكم وبين الجماهير . وبالاضافة الى ذلك فقد كانت هناك المذاهب الاخرى كالمسيحية واليهودية ، وكلها تحاول دفع الاكاسرة للوقوف الى جانبها مما دفع رجال القصر الى تبديد جهودهم في النزاعات الداخلية عوضاً عن حشد الطاقات كلها لمجابهة الاخطار الخارجية .

ب ـ النزاع على السلطة :

ارتقى كسرى الأول « انو شروان » عرش فارس عام ٥٣١ ، وكان عصره ازهى عصور الدولة الساسانية ، فقد عرف عنه العدل والتسامح حتى قال الرسول الاعظم بحقه :

[ولدت في زمن الملك العادل] .

واستطاع كسرى اعادة توحيد المملكة وفرض سيطرته على الاقاليم المختلفة من ايران ووطد مكانة الدولة خارجياً بدعم الغساسنة والاستيلاء على انطاكية وتدميرها بالاضافة الى فرض سيطرته على اليمن .

عندمـــا توفي كسرى ٥٧٨ م خلفه هرمزد الرابع ، وكان كأبيه في عدالته وقوته ، الا ان رواسب التمزق وبذور التفرقة استطاعت ان تنبت ثورة قادها بهرام قائد الجيش الذي نصب نفسه ملكاً وقد استطاع هرمزد استعادة حقوقه وطرد بهرام الذي هرب الى بلاد الترك .

ثم جـــاء كسرى الثاني وحاول اعادة السلطة الداخلية والفتوح الخارجية وطرد هرقل فوكاس الرومي ، فجردت بيزنطة جيشاً وصلت به حتى المدائن فهرب كسرى ، ثم قتل بيد نبوهرمزد وخلفه قباذ الثاني الذي حكم ستة اشهر فقط .

خلــف قباذ الثاني ابنه اردشير الثالث ، وتعاون الروم مع اهل البلاد فقتل الملك الصغير اردشير الثالث ولم يمض على حكمه سوى سنة ونصف ، ونصب شهربراز القائد العسكري نفسه ملكاً على فارس .

ثم بويــع كسرى الثالث ابن الامير قباذ وشقيق كسرى الثاني ملكاً على القسم الشرقي من الدولة ، الا ان حاكم خراسان قتله .

تولــت « بوران » ابنة كسرىابرويز امور المملكة الا انها توفيت بعد سنة واربعة اشهر بعد أن اعادت الصليب الذي صلب عليه السيد المسيح الى القدس في ١٤ ايلول سنة ٦٢٩ ، وهو العيد الذي يحتفل به المسيحيون ويعرفونه باسم « عيد الصليب » .

استولــت أزر ميدخت على السلطة بعد شقيقتها بوران . فاقدم رستم – احد قواد الجيش – على احتلال المدائن وقتل الملكة ، وتعاقب بعد ذلك عــلى حكم فارس عشرة ملوك وملكات خلال فترة اربعة اعوام ، واخيراً تم اختيار يزدجرد ابن الامير شهريار ملكاً في محاولة لتوحيد المملكة الممزقة ، واعلن

تتويجه عام ٦٣٢ – عام وفاة الرسول الاعظم – واتحدت المملكة تحت حكم يزدجرد الثالث آخر ملوك الدولة الساسانية .

ج– الحروب الخارجية :

استنزفت الحروب المستمرة بين فارس وبيزنطة جهد الدولة الفارسية . وزاد في الامر سوءاً وصول الروم الى عاصمة الفرس مما ازال هيبة السلطة وافقدها مبرر وجودها وترك الفرصة امام حكام المقاطعات للاستقلال باقاليمهم وهكذا زالت وحدة الدولة ، ولم تعد الروابط بين الاقاليم قوية مما جعل جيش كل اقليم مستقلاً عن الجيش الآخر ، وتبعثرت القوى .

وعلاوة على ذلك فان الحروب ضد الغزاة البرابرة على شرق ايران والحروب ضد الهياطلة وضد الترك من الشمال ضاعفت من تمزق الدولة وانحطاطها .

ان الحروب ضد العرب وتذمر العرب من سيطرة الفرس افقدهم ايضاً حليفاً قوياً .

ونتيجة لهذه العوامل اصبحت دولة الفرس اضعف من الصمود امام الريح العاصفة التي اخذت تنطلق من رمال الجزيرة العربية .

كانت معركة القادسية بداية النهاية بالنسبة لزوال الدولة الفارسية – الساسانية .

وكانت معركة نهاوند بمثابة تصفية نهائية لهذه الدولة قبل التوغل الاسلامي إلى قلب الهضبة الايرانية والوصول حتى حدود الصين .

فتـــح العراق

جدول توقيت الاحداث

١٠ هـ	٦٣١ م	وفاة الرسول القائد وتولي ابو بكر الخلافة
١١ هـ	٦٣١ م	المثنى بن حارثة داعية للاسلام في العراق ، وقائداً للمسلمين .
١٢ هـ	٦٣٢ م	توجه خالد بن الوليد الى العراق لقيادة العمليات
١٣ هـ	٦٣٢ م	توجه خالد بن الوليد الى الشام
١٣ هـ	٦٣٢ م	العراق بقيادة المثنى وابو عبيد الثقفي
١٣ هـ	٦٣٢ م	وقعة الجسر ووفاة ابو عبيد ثم المثنى بعد ذلك
١٣ هـ	٦٣٢ م	وقعة اليرموك
١٣ هـ	٦٣٢ م	وفاة الصديق وتولي ابن الخطاب الخلافة .
١٤ هـ	٦٣٣ م	وقعة القادسية .

البداية ما بين الفتح والقادسية :

عندما توفي الرسول الاعظم كانت الجزيرة العربية قد توحدت على كلمة الإسلام واخذت الابصار تتطلع الى نشر الدين خارج حدود الجزيرة ، ولما تولى ابو بكر الخلافة ، وارتد من ارتد . ركز ابو بكر جهده لاعادة توحيد الجزيرة واعطى هذه العملية الافضلية الأولى . وعندما استتب الامر للخليفة واصبح بامكانه الانطلاق من قاعدة قوية وأمينة . انتقل الى المرحلة الثانية وهي نشر الاسلام خارج حدود الجزيرة ، فوجه خالد بن سعيد على رأس جيش كمقدمة لعمليات الجبهة الشمالية وفتح الشام .

كـــان المثنى بن حارثة الشيباني قد استأذن ابا بكر في ان يعهد اليه وقومه مهمة فتح العراق ، واذن له ابو بكر ، فانطلق المثنى داعياً وقائداً .

كـــان خالد بن الوليد قائداً من بين احد عشر رجلا حملوا شرف القضاء على الردة ، وكانت المجموعة التي كلف بالقضاء عليها من اخطر المجموعات المناوئة للاسلام . فلما انتهى خالد من تصفية طلحة الاسدي ثم مالك بن نويره توجه الى « اليمامة » وخاض اعنف المعارك واقساها ، وانتهت حروب الردة .

وكان المثنى في وضع غير جيد .

حول الخليفة ابو بكر ثقل العمليات الى الجبهتين الشمالية والشرقية بشكل متعادل ، فاصدر اوامره الى ابن الوليد بالتوجه لدعم المثنى على رأس قوته المكونة من ستة آلاف مقاتل . وانضمت قوات المثنى الى قوات خالد ،

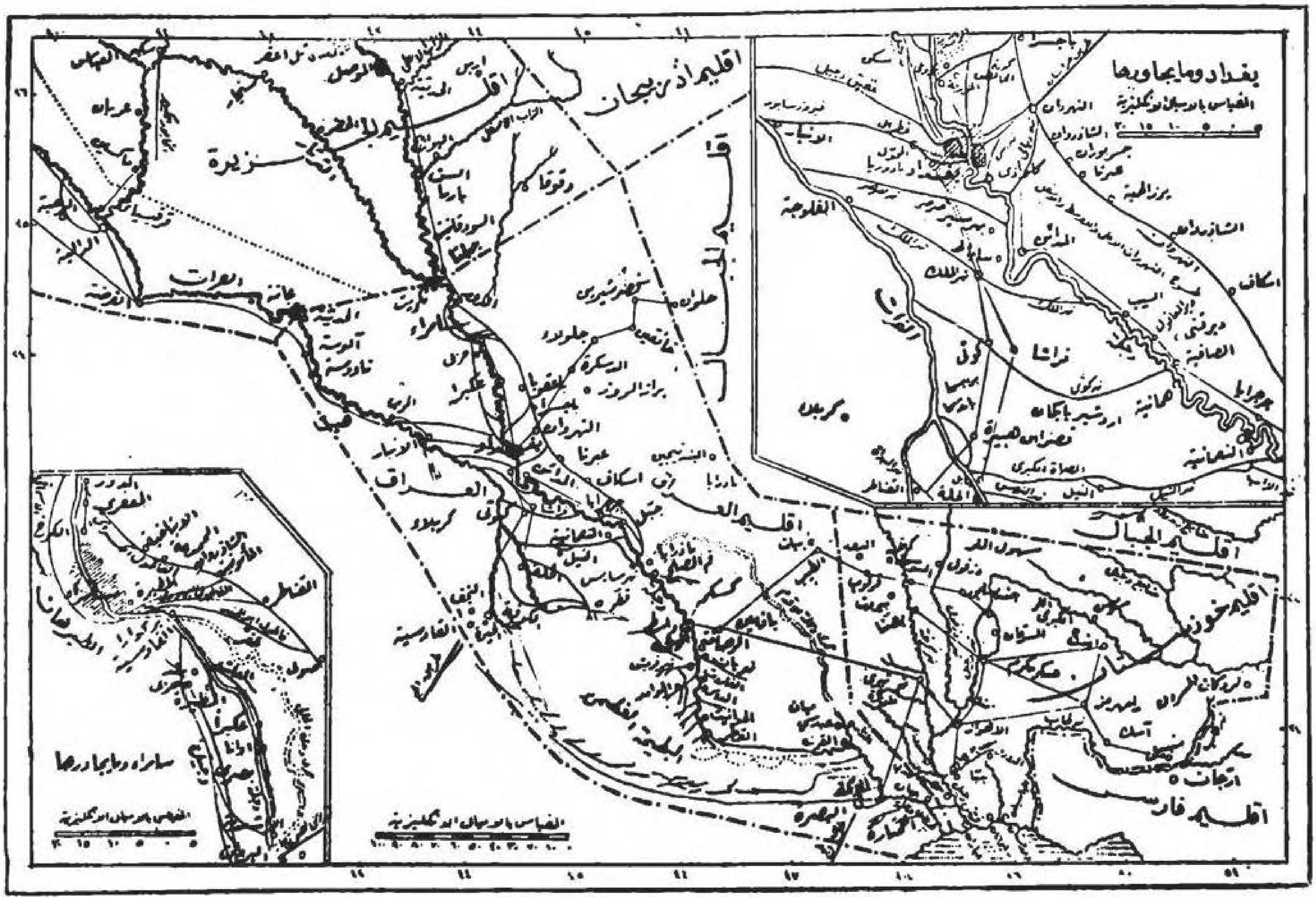
واستطاع خالد خلال فترة قصيرة ان يخضع قسماً كبيراً من بلاد الرافدين .
وكان ذلك في السنة الثانية عشرة للهجرة ، وبداية السنة الثالثة عشرة للهجرة .

شهـــدت معارك الشام تحولات خطرة ، ولم تكن القوات العربية الاسلامية المنطلقة من قلب الجزيرة تستطيع تلبية متطلبات جبهتين في وقت واحد ومجابهة قوات دولتين عريقتين فاصدر الخليفة ابو بكر اوامره إلى خالد بن الوليد بمغادرة العراق والتوجه الى الشام ونقل مركز ثقل الهجوم الى الشمال .

عـــلى الرغم من الضعف الذي اصيبت به الجبهة الشرقية ، فقد استطاع المثنى الصمود وخوض معارك مشرفة ، حتى كانت معركة الجسر التي شهدت اول مأساة في معارك الجبهة الشرقية حيث هزم المسلمون هزيمة منكرة .

في تلك الفـــترة كانت معركة الجبهة الشمالية قد انتهت بنصر المسلمين في اليرموك واجنادين ، واصبح بالامكان تقديم دعم اكبر فتم توجيه قوات من الشام الى العراق مع ارسال سيل مستمر من الدعم والامداد لجبهة العراق .

وكـــان الخليفة الاول ابو بكر الصديق قـــد انتقل الى الرفيق الأعلى واستلم الحكم عمر بن الخطاب خليفة للمسلمين ، وكان من اول الخطوات التي اتخذها ابن الخطاب لدغم الجبهة الشرقية هي السماح لمن اسلم من المرتدين بالقتال في جيوش المسلمين دون ان يعين احداً منهم في مناصب قيادية .



اقليما العراق وخوزستان مع قسم من اقاليم الجزيرة

فتح العراق

من اليمامة الى القادسية

التحرك الى العراق :

كـــان المثنى بن حارثة الشيباني قد استأذن الخليفة ابو بكر الصديق في فتح العراق ، فاذن له وتوجه المثنى داعية لقومه وقام بمجموعة من العمليات الصغرى وركز اهتمامه على نشر الاسلام بالدعوة ونشر الأنصار بين القبائل العربية ، وكان مذعور بن عدي يمارس الدور ذاته ويدعم المثنى في نشاطه . ولم يكن باستطاعة الخليفة ابو بكر تقديم دعم كبير لهما نظراً لانشغاله بحروب الردة .

عنـــدما انتهى خالد من معاركه مع المرتدين ، ونجح في تصفية المقاومة في « اليمامة » وردته رسالة الصديق :

[سر الى العراق حتى تدخلها ، وابدأ بفرج الهند وهي الأبله [1] وتآلف اهل فارس ومن كان في ملكهم] [2] .

وفي الوقت ذاتـــه وجه الخليفـــة الصديق رسالة الى عياض بن غنم وكان بين البناج والحجاز جاء فيها :

(سر حتى تأتي المصيخ ـ فابدأ بهـــا ـ ثم ادخـــل العراق مـــن اعلاها حتى تلقى خالداً . وأذنا لمن شاء بالرجوع ولا تستفتحا بمكروه) .

وارسل ابو بكر صورة عن الرسالة الى خالد بن الوليد .

عندمـــا وصلت الرسالة الى خالد وعياض ، اطلعا عليها المقاتلين فرجع اهل المدينة ومن حولها من المقاتلين . فارسل خالد وعياض يعلمان الخليفة بالموقف فارسل الخليفة ابو بكر القعقاع بن عمرو التميمي الى خالد بن الوليد ، وارسل

---

(١) الأبلة : كانت مدينة بجوار البصرة حالياً .

(٢) تاريخ الطبري ٣/٣٤٣ .

عبد بن عوف الحميري الى عياض بن غنم وكتب اليهما . :

[استنفروا من قاتل اهل الردة ومن ثبت على الاسلام بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولا يغزونّ معكم احد ارتد حتى أرى رأيي] (١)

لم ينتظر خـــالد قدوم الدعم ، وكتب الى حرملة وسلمة والمثنى ومذعور حتى يلحقوا به على محور « الأبلة » وحدد لهم يوم التجمع ، وانصرف يستنفر القبائل ويحشد القوى فتجمع لديه ثمانية آلاف مقاتل من ربيعة ومضر وكان قد بقي معه بعد اليمامة الفان من المقاتلين فاصبحت مجموع قوته عشرة آلاف مقاتل.

في الموعـــد المحدد وصل القادة الأربعة « المثنى ومذعور وسلمة وحرملة » ومعهم ثمانية آلاف مقاتل فاصبح مجموع القوة التي معه ثمانية عشر الف مقاتل .

الصلح مع بانقيا واليس وباروس . محرم ١٢ هـ — ٦٣٣ م :

كـــان البصيري بن صليبة حاكماً على بانقيا وباروس وأليس من قبل الفرس . ولما وصل خالد بجيشه تصدى البصيري لجيش المسلمين ، وبعد معركة قصيرة وحاسمة انتصر المسلمون ، وعرض البصيري الصلح فقبل خالد بن الوليد وصالحه(٢) ثم غدر وحدثت معركة اليس التي سيرد ذكرها فيما بعد والتي ذكرها ابو محجن الثقفي في قصيدة له .

---

(١) تاريخ الطبري ٣٤٧/٣ .

(٢) قال ضرار بن الازور الاسدي يصف معركة بانقيا :

أرقت ببانقيا ومن يلق مثل ما ... لقيت ببانقيا من الحرب يأرق

وقال ابو محجن الثقفي يصف معركة أليس على الفرات :

وما رمت حتى خرقوا برماحهم ... ثيابي وجادت بالدماء الأباجل
وحتى رأيت مهرتي مزوبـــرة ... من النبل يدمي نحرها والشواكل
وما رحت حتى كنت آخر رائح ... وضرج حولي الصالحون الأماثل
مررت على الانصار وسط رجالهم ... فقلت الا هل منكم اليوم قافل
وقربت رواحاً وكوراً وغرقة ... وغودر في أليس بكر ووائل

التاريخ الكامل لابن الأثير ٢٦٤/٢ .

الصلح مع الحيرة :

عندما علم قبيصة بن إياس بالصلح الذي عقد مع بانقيا وباردس وأليس اسرع في وفد من اهل الحيرة وعرض الصلح على خالد بن الوليد ، وتم توقيع اتفاقية الصلح بين الطرفين (١) .

١ – التوجه الى « الأبلة » « وموقعة ذات السلاسل » او الثني محرم ١٢ هـ – ٦٣٣ م

توقف خالد قبل دخول حدود العراق وقسم جيشه على اربعة مجموعات قتالية كالتالي :

١ – المجموعة الأولى بقيادة المثنى بن حارثة الشيباني وجعل دليله ظفر .
٢ – المجموعة القتالية الثانية بقيادة عدي بن حاتم وجعل دليله مالك بن عباد.
٣ – المجموعة القتالية الثالثة بقيادة عاصم بن عمرو وجعل دليله سالم بن نصر.
٤ – مجموعة قتالية رابعة بقيادته وجعل دليله رافع الطائي .

وعندما انهى استعداداته للقتال ونظم قواته ، أرسل رسالة الى هرمز حاكم « الأبلة » يطلب اليه الدخول في الاسلام او دفع الجزية والا فالحرب ، ثم اطلق المجموعات القتالية بفاصل يوم واحد ما بين المجموعة والاخرى ، وطلب الى قادة المجموعات التوجه على محاور مختلفة والالتقاء في الحفير .

عندما وصلت رسالة ابن الوليد الى هرمز ، كتب الى شيري بن كسرى واردشير بن شيري واعلمهما بالموقف وحشد القوات الجاهزة لديه واسرع بالتوجه الى الكواظم للقاء ابن الوليد ، ولما وصلها علم ان جيش المسلمين متوجه الى الحفير ، فقاد قواته الى الحفير . وانصرف الى تنظيم قواته فوضع على مجنبتيه قباذ وأنوشجان أخوي يلاقيان « أردشير وشيري » وقيد جنده بالسلاسل .

---

(١) نص اتفاقية الصلح ، تاريخ الطبري ٣٤٣/٣ والتاريخ الكامل لابن الأثير ١٢٢/٢ .

لما بلـــغ خالد ان هرمز قد سبقه الى الحفير ، وجه قواته الى كاظمة ، وبلغ هرمز ذلك ، فقاد قواته الى الكاظمة ونظم مواقعـه بحيث يقـف بـــين جيش المسلمين وبين نهر الفرات حتى يحرم المسلمين من مواردها الحياتية . ولما شهد خالد ذلك قال لجنده :

[الا انزلوا وحطوا اثقالكم – فلعمري ليصيرن الماء لأصبر الفريقين واكرم الجندين] (1)

كانت القبائـــل العربية المستوطنة في العراق تكره هرمز وتضرب الامثال به ، فتقول (أخبث من هرمز وأكفر من هرمز) وكان هذا العامل من العوامل المساعدة لخالد بن الوليد في معركته .

بـــدأ القتال بين جيش المسلمين وجيش الفرس ، واندفع خالد في اتجاه هرمز بينما اندفع القعقاع بن عمرو في اتجاه المجموعة المدافعة عن القائـــد ، ونجح خالد بقتل هرمز منذ اللحظة الأولى للمعركة ، كما نجح القعقاع في ابادة المجموعة المدافعة عن القائد ، واستمرت المعركة طوال النهار وقسماً مـــن الليل ، وانتهى القتال بتدمير القوة الرئيسية للجيش وفرار البقية ومعهم قباذ وانو شجان .

انصرف خـــالد بعد المعركة الى اعادة تنظيم جيشه ، فارسل المثنى بـن حارثة لمطاردة الفارين من المعركة واستثمار الظفر . ثم قام بتقسيم اربعة اخماس الغنائم على المقاتلين ، وارسل الخمس الى الخليفة ابي بكر في المدينة . ثم ارسل معقل بن مقرن الى « الأبلة » لجمع الأموال ، والغنائم .

٢ – وقعة المذار ، صفر ١٢ هـ – ٦٣٧ م :

وصلت رسالـــة هرمز الى اردشير وشيرين وبها المعلومات عن تحرك خالد.

---

(١) تاريخ الطبري ٣٤٩/٣ .

فوجه اردشير قارن بن قريانس لدعم هرمز . وعندما وصل قارن الى المذار وصلته المعلومات عن هزيمة قوات الفرس في كاظمة ومقتل هرمز ، ثم اخذت بقايا جند المعركة الفاشلة تنضم اليه فاعاد تنظيم جيشه وعين لقيادة مجنبتيه قباذ وأنوشجان .

توفرت المعلومات عند عناصر الاستطلاع عن تجمع الفرس بقيادة قباذ ، فارسل المثنى بها الى ابن الوليد . فاسرع خالد بالتوجه الى المذار وكان قباذ قد انهى استعداداته القتالية .

نظم خالد جيشه على نحو يماثل تنظيمه السابق ، ووضع في مخططه بدء المعركة بقتل القادة لا سيما وقد شهد اثر ذلك ونتائجه في معركته السابقة .

بدأ القتال باندفاع خالد في اتجاه « قارن » يريد قتله ، فسبقه معقل بن الاعشى بن النباسي فقتله ، واسرع عاصم بن عمرو الى الانوشجان فقتله ، كما اسرع عدي بن حاتم إلى قباذ فقتله ، وارتفعت حدة القتال ، الا ان مقتل قادة جيش الفرس كان حاسماً في تحول الموقف ، ولم تلبث المقاومة ان بدأت بالتدهور ، واسرع جيش الفرس الى السفن فركبوها ، وطاردهم جيش المسلمين فلم يتمكن من النجاة الا من استطاع ركوب السفن ، ووقف جيش المسلمين امام الشاطىء وجنده عاجزون عن الاستمرار في المطاردة .

كانت نتيجة المعركة قتل ٣٠,٠٠٠ من جيش الفرس باستثناء من مات غرقاً .

اعاد خالد بن الوليد تنظيم قواته بسرعة ، فعين سعيد بن النعمان قائداً للجند من المشاة وكلفه بتنظيم « المسالح ومخافر المراقبة » . وعين سويد بن مقرن المزني لجمع الفيء وامره بارسال عماله للجباية (١) .

---

(١) جاء في كتب التاريخ ان فتح الابلة قد تم ايام عمر بن الخطاب وعلى يد عتبة بن غزوان في السنة الرابعة عشرة للهجرة . ومن الارجح ان تكون قد افتتحت على يد خالد . ثم تمردت مثلما حدث في اكثر مدن العراق وفارس فاعاد عتبة فتحها .

٣ ــ موقعة الوبلجة ، صفر سنة ١٢ هـ ـ ٦٣٧ م :

الوبلجة فيما يلي كسكر على البر « عند الضفة الغربية لدجلة مكان واسط حالياً » .

وصلت أنبــاء هزيمة « هرمز » في معركة « الثني او ذات السلاسل »فارسل أردشير أوامره الى «الاندرزغر» بالتوجه لقتال المسلمين .

وارســـل اردشير في الوقت ذاته اوامره الى بهمن جاذويه بتوجيه جيشه لدعم « الاندرزغر » .

كــان « الاندرزغر » فارسياً من مولدي السواد ، وعندما وصلته الأوامر بالتحرك غادر المدائن حتى كسكر متبعاً في تحركه الشاطىء الشرقي لنهر دجلة . اما « بهمن جاذويه » فانه اتبع الطريق الداخلي ولم يتحرك بسرعة بانتظار نتيجة معركة « الأندرزغر » .

نجــح « الاندرزغر » في حشد المقاتلين ما بــين النهر وكسكر من عرب وغير عرب واقام لهم معسكراً الى جانب معسكر بالوبلجة ، ولما انهى تحشده عزم على التوجه الى الحفير للقاء جيش المسلمين .

افادت عنــاصر الاستطلاع والانصار بتقدم « الاندرزغر » فاصدر خالد ابن الوليد اوامره بالتحرك . وترك سويد بن مقرن في الحفير وامره بالبقاء فيها وعدم مغادرتها .

تقــدم خالد على محور مواز لنهر دجلة ، ودفع عناصر الاستطلاع في كل اتجاه حتى وصل « الوبلجة » ووضع مخططه كالتالي :

ا ــ وضع كمين بقيادة بسر بن ابي رهم الى الشمال من جيش الفرس .

ب ــ وضع كمين بقيادة سعيد بن مرة العجلي الى الجنوب من جيش الفرس .

واصدر اوامره الى قائدي الكمينين بالبقاء في مواقعهما ، واتقان التمويه ، وعدم القيام بالهجوم الا عندما تشتد المعركة ويصبح بامكان قوة الكمينين مباغتة قوة الفرس بالهجوم من الخلف .

بـــدأت المعركة ضارية منذ لحظاتها الأولى ، واشتد القتال الى درجة اخذ فيها خالد بن الوليد يخشى الهزيمة ، واستبطأ قيام قوة الكمينين بهجومهما ، وفي اللحظة الحاسمة التي وصلت فيها المعركة ذروتها ، ظهر جند الكمينين خلف قوة الفرس وبدأت عملية ابادة قوات الخصم ،وشعر الفرس بتحول مسيرة المعركة فاخذوا في الفرار من بين قبضة الكمين التي اطبقت عليهم من الخلف وقوة الجيش التي تهاجمهم من الامام ، ومضى الاندرزغر في هزيمته ، ومات عطشاً لعدم قدرته الوصول الى الماء(١) .

٤ ــ موقعةأليس على الفرات ، صفر سنة ١٢ هـ ــ ٦٣٧ م .

كـــان عدد قتلى العرب من بني بكر بن وائل كبيراً في معركة الولجة ، مما اغضب القبائل العربية الموالية للفرس واستثارها ، فتجمعوا في « أليس » على الفرات وعليهم عبد الاسود العجلي . وكان اشد الناس عداوة لاولئك الموالين للفرس ابناء عمومتهم من مسلمي بني عجل امثال عتيبة بن النهاس وسعيد بن مرة وفرات بن حيان والمثنى بن لاحق ومذعور بن عدي .

اتصـــل قادة بني بكر وغيرهم بأردشير وطلبوا دعمه لقتال خالد بن الوليد ، فارسل اردشير رسالة الى بهمن جاذويه يطلب فيها التوجه لقتال العرب. وكان من عادة الفرس تكوين قوة احتياطية يقع عليها عبء القتال ، وتتكون هذه القوة من جيش احد الاقاليم ، فكتب اردشير ايضاً الى قائد القوةالاحتياطية في ذلك اليوم « بهمن روز » وكان بقسيانا الرسالة التالية :

[سر حتى تقدم أليس بجيشك الى من اجتمع بها من فارس ونصارى العرب]

وتوجـــه بهمن روز في اتجاه أليس ، كما عمل « بهمن جاذويه » عـــلى توجيه مقدمة بقيادة « جابان » ووعده ان يلحق به بعد اجراء اتصال مع الملك

---

(١) تاريخ الطبري ٣/٣٥٣ ــ والتاريخ الكامل لابن الاثير ٢/٢٦٤ .

أردشير . وذهب بهمن جاذويه الى الملك ، فوجده مريضاً ، فاقام ينتظر ولم يتوجه الى القتال .

عندما وصل جابان الى « أليس » كان قد تجمع بها قبائل عبد الاسود في نصارى العرب من بني عجل وتيم اللات وضبيعة وعرب الضاحية من اهل الحيرة ، وكان جابر بن بجير نصرانياً فقدم دعمه الى عبد الاسود وسانده في معركته . وانضمت قوى المسالح الفارسية « مفارز المراقبة » الى هذه القوة واخذ « جابان » ينظم قواته للمعركة .

علم خالد بن الوليد بتجمع العرب ، فاراد القضاء على هذا التجمع قبل وصول قوات الدعم الفارسية ، ولهذا اصدر اوامره للتحرك بسرعة ، وعندما وصل اليس كان « جابان » قد سبقه . واستعد للقتال ، ونظراً لوصول خالد وجيشه في الموعد الذي كان يتناول فيه جند الفرس طعامهم ، فقد انتظروا ولم يدخلوا في المعركة على أمل الحصول على فرصة كافية يتمكنون خلالها من تنظيم قواتهم قبل بدء القتال ، واقترح جابان وضع السم في الطعام وتركه لخالد وجيشه الا ان القبائل العربية رفضت ذلك واجابت انها لن تكون اكثر من معركة قصيرة يستطيع المقاتلون خلالها او بعدها تناول طعامهم .

اسرع خالد مع مجموعة من المقاتلين حتى وصل الى جوار معسكر خصومه ووقف منادياً :

أين ابجر ؟ اين عبد الاسود ؟ اين مالك بن قيس ؟ ولم يخرج له سوى مالك.

فقال له خالد :

ما جرأك علي من بينهم يا ابن الخبيثة . وليس فيك وفاء وضربه فقتله .

تصدى جابان لقتال خالد وكان على ميمنة جابان عبد الاسود وعلى ميسرته ابجر ، ودارت رحى معركة طاحنة صمد فيها الفرس صموداً بطولياً على امل وصول قوات الدعم الرئيسية بقيادة بهمن جاذويه » .

كما صمد فيها العرب انصار الفرس انتقاماً لقتلاهم ، واظهر جند المسلمين بطولات رائعة وقاتلوا بعناد حتى نالهم الارهاق وشهد خالد قسوة المعركة فقال :

[اللهم ان لك علي إن منحتنا اكتافهم ألا استبقي منهم احداً قدرنا عليه حتى اجري نهرهم بدمائهم] (١) .

اخـذ جند المسلمين في انتزاع النصر شيئاً فشيئاً ، ثم اخذت الهزيمة تلاحق جند اعدائهم . فأرسل خالد منادياً يقول :

[الأسر ، الأسر ، لا تقاتلوا الا من امتنع] (٢) .

استمـرت عملية المطاردة وجمع الاسرى ثلاثة ايام ، ثم بدأت عملية الابادة طوال يوم وليلة ، حتى سال النهر مصطبغاً بلون دم القتلى ، وسمي ذلك الرافد منذ ذلك التاريخ بنهر الدم . وبلغ عدد قتلى الخصم ٧٠,٠٠٠ سبعين الف قتيل كان اكثرهم من « أمغشيا أو منشيا » .

عندما انتهت المعركة قال خالد بن الوليد :

[ما لقيت قوماً كقوم لقيتهم من أهل فارس ، وما لقيت من اهل فارس قوماً كأهل أليس] .

توجـه خالد بعد المعركة فوراً الى « أمغشيا » ، وكان اهلها قد غادروها . فأمر خالد بهدمها واستباحتها ، وكانت أمغشيا مدينة تنافس « الحيرة » بحيث كانت « اليس » مخفراً متقدماً لحمايتها والدفاع عنها ، وكان « فرات بادقلي » ينتهي اليها .

قسم خالـد الغنائم وارسل الخمس الى الخليفة ابي بكر مع رسالة يشرح له الموقف ويعلمه بنصر المسلمين ، فوقف ابو بكر في قريش قائلا :

---

(١) و(٢) تاريخ الطبري ٣/٣٥٩ والتاريخ الكامل ، لابن الاثير ٢٢٦ .

[عدا أسد كم على الاسد . فغلبه على خراذيله(1) أعجزت النساء ان ينسلن مثل خالد(2)] .

٥ – يوم المقر ، وفم فرات بادقلي سنة ١٢ هـ. – ٦٣٧ م :

كان مرذبان الحيرة « الأذاذبة » يحكم الحيرة باسم الفرس :

عندمـــا علم « الاذاذبة » بنصر المسلمين في « أليس » وتدميرهم بلـدة « امغيشيا » اخذ في الاستعداد للقتال .

اراد خالـــد بن الوليد الاسراع في تقدمه ، فحمل جند المشاة في المراكب ومعهم الانفال والاثقال ، وغادر امغيشيا ، والفرسان يسيرون الى الجهة الغربية من نهر الفرات . ولم تسر المراكب سوى مسافة قصيرة حتى وقفت المراكب في عرض النهر ، واستعلم خالد من الملاحين عن سبب انقطاع المياه فاعلموه ان اهل فارس قد حولوها عمداً الى الانهر الفرعية .

اسرع خالـــد وقاد زمرة من الفرسان حتى وصل « فم العتيق » فوجد مفرزة من قوة العدو في « المقر » فباغتها خالد بهجومه وابادها ، ثم تابع تقدمه بسرعة حتى وصل « فم الفرات » ووجد ابن الاذاذبة ومعه مجموعة من الفرسان فهاجمهم خالد ، وبعد معركة قصيرة ابيدت القوة التي كانت تعمل على تحويل المياه وقطعها عن مجرى الفرات ، ثم اصدر ابن الوليد اوامره لاعادة المياه الى مجراها . وعادت السفن تسير جنوباً محملة بجند المسلمين حتى وصلت الى المكان الذي حدده خالد لتجمع جيشه ما بين الخورنق والنجف . وعند وصول خالد الى الخورنق ، كان « الاذاذبة » قد غادرها وهرب قبل ان يشتبك في في معركة مع خالد بن الوليد .

وصـــل الفرسان الى الخورنق ، واعاد خالد تنظيم جيشه ، وخرج فاقام

---

(١) الخراذيل جمع مفردها خرذولة وهي قطعة اللحم .

(٢) تاريخ الطبري ٣/٢٥٩ .

معسكره في المكان الذي كان «الاذاذبة» قد اقام معسكره فيه وهو بين الحيرة والقصر الابيض .

كان اهـل الحيرة قد تحصنوا بقصورهم فوضع خالد الفرسان خارج الحيرة لحصارها . وقسم جيشه الى اربعة مجموعات من اجـل حصار القصور على النحو التالي :

١ ـ ضرار بن الازور لحصار اياس بن قبيصة الطائي في القصر الابيض .

٢ ـ ضرار بن الخطاب لحصار عدي بن عدي « المقتول » واسم قصره « العدسيين » .

٣ ـ ضرار بن مقرن المزني لحصار ابن أكال في قصر بني مازن .

٤ ـ المثنى بن حارثة لحصار عمرو بن المسيح في قصر ابن بقلية .

طلـب خالد من قادته دعوة سكان القصور الى واحدة من ثلاث : الاسلام او الجزية او الحرب ، فان رفضوا فاعطاءهم مهلة يوم وليلة ثم الهجوم بعد ذلك .

انتهت مهلـة الانذار ، وبدأ المسلمون في هجومهم ، وتمكنوا من اقتحام الحصون ووصلوا القصور وبدأت الوفود ترد تباعاً الى خالد بن الوليد تطلب الصلح ، وتم عقد اتفاقية للصلح بين خالد بن الوليد وبين نقباء أهل الحيرة .

كـان صلوبا بن نسطونا صاحب قس الناطف ينتظر تطور معركة الحيرة فلما صالح نقباء الحيرة خالد بن الوليد توجه صلوبا الى خالد وصالحه باسم بانقيا وبَسْمَا .

بعـد ذلك جاءت دهاقين الملطاط فصالحوه على ما بين الفلاليج الى هرمزجرد (١)

---

(١) في معجم البلدان لياقوت الحموي ـ الملطاط ، ظاهر الكوفة : الـسان وما حول الفرات ، وفي فتوح البلدان للبلاذري ٣٤١ ـ الملطاط : ما بين الكوفة والحيرة .

اعـــاد خالد بن الوليد تنظيم جيشه ، وارسل افضل قادته الى المسالح وفيهم ضرار بن الازور ، وضرار بن الخطاب ، والمثنى بن حارثة ، وضرار بن مقرن ، والقعقاع بن عمرو وبسر بن ابي رهم ، وعتيبة بن النهاس . وامر قادة المسالح بمتابعة مطاردة العدو واستطلاع اخباره ، وارسال مفارز المراقبة . فانتشرت مفارز الاستطلاع « المسالح » على امتداد شاطىء دجلة ، وارسلوا عناصر الاستطلاع الى ما وراء دجلة .

كما ارسل خالد بن الوليد عماله لجمع الخراج .

اخـــذ ابن الوليد يستعد للمرحلة التالية من القتال . وفي انتظار ذلك ارسل رسالتين الى اهل فارس ، احداهما للعامة وسلمها الى نبطي من اهل السواد والثانية خاصة حملها احد اهل الحيرة الى اردشير ، وتضمنت الرسالتان الدعوة الى الاسلام والسلم .

كـــان ابو بكر الصديق قبل دخول العراق قد وجه رسالتين الى خالد بن الوليد وعياض بن غنم يطلب دخول خالـــد من الجنوب وعيـــاض بن غنم من الشمال وان يستبقا الى الحيرة ، فايهما اسبق الى الحيرة فهو امير على صاحبه، وقال :

[اذا اجتمعتما بالحيرة وقد نفضتما مسالح فارس وأمنتما أن يؤتى المسلمون من خلفهم فليكن أحدكما ردءاً للمسلمين ولصاحبه بالحيرة وليقتحم الآخر على عدو الله وعدوكم من أهل فارس دارهم ومستقر عزهم « المدائن »] .

استعلـــم خالد عن موقف عياض بن غنم فعلم انه في ضائقة فاصدر أوامره الى القعقاع بن عمرو للبقاء في الحيرة . وغادرها متبعاً محور الفلوجة حتّى نزل كربلاء وعلى مسلحتها عاصم بن عمرو وكان على مقدمة خالد بن الوليد القائد الاقرع بن حابس .

قال القعقاع بن عمرو في ايام الحيرة (١) :

سقى الله قتلى بالفرات مقيمة ... وأخرى باثباج النجاف الكوانف
فنحن وطئنا بالكواظم هرمزاً ... وبالثني قرني قارن بالجوارف
ويوم أحطنا بالقصور تتابعت ... على الحيرة الروحاء احدى المصارف
حططناهم منها وقد كاد عرشهم ... يميل بهم فعل الجبان المخالف
رمينا عليهم بالقبول وقد رأوا ... غبوق المنايا حول تلك المجارف
صبيحة قالوا نحن قوم تنزلوا ... الى الريف من ارض العريب المقانف

٦ ـ موقعة الانبار « ذات العيون » ١٢ هـ ـ ٦٣٣ م(٢) :

توجه خالد الى الانبار ، وكان اهلها قد تحصنوا بها وعلى قيادتهم شيرذاذ حاكم ساباط . وعندما وصلها بدأ المعركة مباشرة ولاحظ ابن الوليد ان مقاتلي خصومه غير اشداء فطلب الى جند المشاة رمي السهام بغزارة فاقتلعت هذه السهام لغزارتها عيون مقاتلي الخصم ، وبلغ عدد من اصابت السهام عيونهم الف مقاتل ولهذا اطلق على هذه المعركة اسم ذات العيون .

ارسل شيرذاذ يطلب الصلح واشترط شروطاً لم يقبل بها ابن الوليد . واستمرت المعركة في تصاعد ، وقام ابن الوليد باستطلاع شخصي فوجد ثغرة ضعيفة في خندق العدو فأمر بذبح الضعاف من الابل ورماها في موضع هذه الثغرة كما استخدم كل ما يفيده لهذه الغاية من المحطومات وعندما تم له ردم الثغرة امر جنده بالاندفاع عبر الثغرة . وانطلق المقاتلون واخذوا يبيدون المقاومة التي تعترض سبيلهم .

ـ شعر شيرذاذ بتحول المعركة ، فطلب مرة ثانية عقد صلح مع ابن الوليد،

---

(١) التاريخ الكامل لابن الاثير ٢/٢٦٧ .
(٢) التاريخ الكامل لابن الاثير ٢/٢٦٩ .

فاشترط عليه ابن الوليد مغادرة الانبار ، وتعهد بإلحاقه حتى موضع امين ومعه حراسة من المسلمين على الا يحمل معه من المتاع والاموال شيئاً ، ووافق شيرذاذ وغادر الانبار متوجهاً الى معسكر بهمن جاذويه .

عندما علم اهل كلواذي بما حدث مع شيرذاذ ارسلوا وفداً عقد اتفاقية صلح مع خالد ، ثم ما لبث اهل الانبار بعد ذلك ان نقضوا العهد ولم يثبت على هذه سوى اهل البوازنج واهل بانقيا .

علم خالد بن الوليد امر تجمع قوات كبيرة من الفرس في عين التمر بقيادة مهران بن بهرام جوبين وانه قد انضمت اليهم قوات كبيرة من عرب قبائل النمر وتغلب واياد وانصارهم بقيادة عقة بن أبي عقة .

كان الخليفة ابو بكر قد اعطى تعليماته بعدم التوغل وترك مقاومات خلف جيوش المسلمين تستطيع الانقضاض عليها والغدر بها . ونظراً لاسراع عياض بن غنم في تقدمه ورغبته في الوصول بسرعة الى الحيرة فقد ترك ثلاثة مقاومات رئيسية هي : عين التمر ، والانبار ، والفراض .

وجد خالد بن الوليد ان تجمع القوى المعادية في عين التمر . تشكل تهديداً خطيراً لمؤخرات جيش عياض ، فقرر الاسراع بالتحرك ، وعندما انتهت وقعة الانبار اعاد خالد تنظيم قواته بسرعة وترك الزبرقان بن بدر في الانبار لادارة امورها وغادرها الى هدفه التالي .

٧ ــ موقعة عين التمر ، ١٢ هـ ــ ٦٣٣ م :

وصل خالد بن الوليد الى عين التمر ، وقال عقة للزبرقان :

[نحن اعلم بقتال العرب ، فخلنا واياهم] .

فاجابه مهران :

[صدقت لعمري]

وافقه على عرضه ، ولما اجتمع القادة الفرس اجابهم مهران بقوله :

[ان كانت لهم على خالد فهي لكم ، وان كانت الاخرى لم تبلغوا منهم حتى يهنوا فنقاتلهم ونحن اقوياء وهم مضعفون] (١) .

نظـــم خالد جيشه ، وكون مجموعات قتالية صغيرة تستطيع القيام بالاغارات وانطلق على رأس هذه المجموعات مستهدفاً اعتقال القادة واخذهم اسرى ونجح في اختطاف عقة بن أبي عقة منذ اللحظات الأولى للمعركة . وكان لهذه المباغتة اثر حاسم في القاء الذعر بين صفوف المقاتلين من القبائل العربية فاسرعوا بالفرار من القتال ، وترك ميدان المعركة .

شهد مهران الاضطراب الذي سيطر على افق المعركة فسحب قواته وغادر الحصن دون قتال تاركاً انصاره من العرب لمصيرهم .

حـــاول المقاتلون في الحصن الوصول الى اتفاق مع خالد بن الوليد فرفض ذلك ولم يقبل بالصلح الا على شروط المسلمين المعروفة : اعلان الاسلام او الجزية او القتال .

اراد خالـــد بن الوليد تحطيم ارادة القتال لدى خصومه ، فأمر بقتل عقة ، والقى به على الجسر حيث يراه الاسرى ، ثم دعا بعمرو بن الصعق فضرب عنقه وألقى به الى جانب عقة . ولم تلبث المقاومة ان انهارت ، واستسلم المقاتلون في الحصن وفتحوا الباب فدخله المسلمون وابادوا المقاومة بكاملها ، وكانوا خليطاً من العرب والفرس . ثم جمع الاسرى ، كما جمعت الاسلاب مـــن الحصن ، ووزع على المقاتلين وارسل الخمس الى المدينة .

في صبيحـــة معركة عين التمر وردت الى خالد بن الوليد رسالة من عياض ابن غنم يشرح فيها الموقف الخطر الذي اصبح فيه ، ويطلب دعم خالد له فاجابه خالد :

---

(١) تاريخ الطبري ٣/٣٧٦ .

البث قليلاً تأتك الحلائب يحملن آساداً عليها القشائب

كتائباً يتبعها كتائب(١)

ثم اعـــاد ابن الوليد تنظيم قواته بسرعة ، وخلف في عين التمر عويم بن الكاهل (٢) وغادر عين التمر ، في اتجاه دومة الجندل .

٨ – يوم دومة الجندل ، ١٢ هـ – ٦٣٣ م :

عندمـــا علم اهل دومة الجندل امر تحرك خالد بن الوليد وتوجهه اليهم استنفروا انصارهم من بهراء وكلب وغسان وتنوخ والضجاعم، بالاضافة الى من كان قد انضم اليهم من كلب وبهراء . ومن دعمهم من قبائل ابن وبرة بن رومانس . واقبل عليهم ابن الحدرجان في الضجاعم وابن الايهم في مجموعات من غسان وتنوخ ووقعت بينهم وبين عياض بن غنم اشتباكات صمد لها الطرفان ووقعت خلالها خسائر كبيرة .

اقـــترب جيش المسلمين بقيادة ابن الوليد ، وعندها وقف اكيدر بن عبد الملك ناصحاً وقال :

[لا أحد ايمن طائراً منه في حرب، ولا يقف في وجه خالد قوم ابداً قلوا او كثروا الا انهزموا منه ، فاطيعوني وصالحوا القوم] .

وتصدى له منافسه في الزعامة الجودي ابن ربيعة واظهر تصميمه عـــلى القتال ، ودعمه الجميع في ذلك ، ولما وجد أكيدر انه غلب على امره قال :

[لن امالئكم على حرب خالد فشأنكم] .

وغادر اكيدر ومن معه دومة الجندل .

علـــم خالد بانفراد اكيدر عن قومه فارسل عاصم بن عمرو لاعتراضه ،

---

(١) الحلائب : الجماعات . يقال احلب القوم اذا اجتمعوا لنصرة او نجدة .

(٢) ابن كثير ، والنويري يذكران الاسم . «عمير بن الطاهر» .

ووجد عاصم اكيدر فحمله الى خالد ، فضرب خالد عنقه ، ومضى خالد حتى وصل دومة الجندل ، ونظم قواته بحيث تقف في موقع مقابل لدومة الجندل وبحيث تكون الدومة بين قواته وقوات عياض بن غنم .

كانت القبائـــل العربية التي قدمت لدعم اهل دومة الجندل قد اخذت على عاتقها الدفاع عن الحصن ونظمت قواتها حوله . وعندما وصلت قوات خالد قرر قادة هذه القبائل القيام بهجوم عام ضد قوات المسلمين . فخرج الجودي ابن ربيعة ووديعة الكلبي وابن رومانس الكلبي وقبائلهما للقاء خالد بن الوليد . وفي الوقت ذاته قام ابن الايهم الغساني وابن الحدرجان مع قواتهما بالهجوم على عياض بن غنم .

اتبـــع ابن الوليد في بداية المعركة الاسلوب الذي طبقه بنجاح في معركته السابقة « عين التمر » ، فاسرع الى الجودي بن ربيعة ، واخذه اسيراً ، كما امكن اعتقال الاقرع بن حابس ايضاً .

اشتـــدت حدة المعركة في صعود ، ونجح عياض بن غنم في انتزاع النصر وبدأت القوات المقابلة له في التراجع نحو الحصن .

ونجـــح خالد بن الوليد في تحطيم موجة هجوم العدو ، ثم قام بهجومه ، واخذت قوات خصمه في التراجع والفرار في اتجاه الحصن .

لم يعـــد باستطاعة حصن دومة الجندل استيعاب المزيد من المقاتلين ، فاغلق قادة الحصن الباب ، ووقف المقاتلون المنسحبون من المعركة حول الاسوار .

وصـــل عاصم بن عمرو ، وشهد قبائل « بنو كلب » خارج الاسوار . فنادى الى انصاره داخل الحصن قائلاً :

[يا بني تميم ، حلفاؤكم كلب ، آسوهم وأجيروهم ، فانكم لا تقدرون

لهم على مثلها] (١) .

فاسرع زعماء بني تميم وفتحوا الباب للمقاتلين من بني كلب ، ثم عادوا فاوصدوا الباب .

وصــل خالد بقواته الى اسوار الحصن وبدأت اعمال ابادة القوات التي تركت خارج الاسوار حتى سد بهم باب الحصن ، ودعا خالد بالجودي فضرب عنقه ثم طلب الاسرى فابادهم باستثناء الاسرى من بني كلب . ذلك ان عاصم والاقرع وبني تميم آمنوهم نظراً لانهم قبائل واحدة ، فاطلق خالد سراحهم وقال لعاصم والاقرع .

[مالي ولكم ، اتحفظون أمر الجاهلية وتضيعون الاسلام] .

فاجابه عاصم :

[لا تحسدهم العافية ، ولا يحوزهم الشيطان] (٢) .

شــدد خالد قبضته على الحصن ، وبذل جهده حتى امكن له وللمسلمين اقتلاع باب الحصن واقتحم المسلمون القلاع والتحصينات ، وابادوا المقاومة بكاملها ولم يتركوا سوى الاطفال والنساء .

كــان عرب الجزيرة على اتصال مع الفرس خلال اقامة خالد في دومة الجندل وقد استثار عرب الجزيرة الاعاجم من اجل الانتقام لمقتل عقة بن أبي عقة على يد خالد وجيشه ، فخرج « زرمهر » من بغداد ومعه « روزبة » في اتجاه الانبار ، ووصلت قواتهما الى حصيد والخنافس .

كــان على الأنبار خلال غياب خالد في دومة الجندل : الزبرقان بن بدر فكتب الى القعقاع بن عمرو في الحيرة يشرح له الموقف ، فوجه القعقاع القوات التالية :

---

(١) و(٢) تاريخ الطبري ٣/٣٩٧ .

١ ـ مجموعة قتالية بقيادة عبد بن فدك السعدي بمهمة التوجه الى الحصيد والتوقف عندها .

٢ ـ مجموعة قتالية ثانية بقيادة عروة بن الجعد البارقي بمهمة التوجه الى الخنافس ، واوصى القعقاع قادة القوتين بعدم زج القوات في المعركة الا اذا أرغما على ذلك .

تصدت قوات الفرس للمجموعتين القتاليتين ومنعتهما من متابعة التقدم ، وتوقف كل طرف في انتظار التعليمات الجديدة وتطور الموقف .

عاد خالد بن الوليد من دومة الجندل وقد وضع في مخططه تنفيذ أمر أبي بكر ، وفتح المدائن . ولما وصل الحيرة خرج أهلها لاستقباله بالاهازيج « التقليص ». ثم أخبره القعقاع بن عمرو بالموقف والاجراءات التي اتخذها . وخشي خالد سوء تفسير تصرفه وانحرافه عن الهدف الاساسي وهو احتلال المدائن . فارسل القعقاع بن عمرووأبو ليلى بن فدكي لقتال روزبة وزرمهرة فسبقاه الى عين التمر .

مكث روزبة وزرمهر في مواقعهما ينتظران وصول قبائل ربيعة التي واعدتهم على الانتقام من المسلمين . ووصلت المعلومات الى خالد عن تقدم القيس الكلبي ابن الهذيل بن عمران الى المصيخ . ونزول ربيعة بن بجير بالثني والبشر وكلهم يريدون الانضمام الى الفرس والانتقام لمقتل عقة . فقرر خالد مغادرة الحيرة . واستخلف عياض بن غنم . ودفع المقدمة بقيادة الاقرع بن حابس وتوجه على المحور الذي سلكه القعقاع وأبو ليلى الى الخنافس ولما تم التجمع . ارسل مجموعة قتالية بقيادة القعقاع بن عمرو الى الحصيد . وارسل مجموعة ثانية بقيادة أبي ليلى بن فدكي الى الخنافس وقال لهما :

[زُجَّاهُمْ ليجتمعوا ومن استارهم والا فواقعاهم].

بمعنى ادفعاهم للتجمع ، واذا رفضوا ذلك فقاتلاهم ، ورفض قادة الفرس التحرك من مواقعهم .

٩ – يوم حصيد ، ١٢ هـ – ٦٣٣ م :

علم روزبة بتقـــدم القعقاع بن عمرو فطلب من زرمهر دعمه ، فغادر زرمهر قواته في الخنافس بعد ان ترك قيادتها الى معاونه « المهبوذان » وذهب الى روزبة في حصيد بهدف استطلاع الموقف ، ووضع خطة موحدة للقتال .

عرف القعقاع بن عمرو ان أمر قيـــادة جميع القوات الفارسية ومـــن والاهم من العرب تابع لزرمهر ، فاسرع في تقدمه الى الحصيد بهدف تجزئة المعركة وعدم افساح المجال لتجمع قوات الخصم .

التقت قوات المسلمين بقـــوات روزبة وانصاره ، ودارت رحى معركة شرسة قاتل فيها الطرفان باصرار وعناد . ونجح القعقاع في قتل زرمهر ، كما نجح احد البررة (١) واسمه « عصمة بن عبدالله من بني حارث بن طريف» في قتل روزبة ، وبدأت المقاومة تضعف ، وقتل القعقاع وجنده مجموعات كبيرة من مقاتلي عدوهم ، وغنم المسلمون غنائم كثيرة ، وهربت فلول المعركة في اتجاه الخنافس .

فرار المقاومة من الخنافس :

وصلت مجموعات الفـــارين من معركة الحصيد الى الخنافس ، وعرف « المهبوذان » بأمر قتل قائده زرمهر ورفيقه زوربة .

كان ابو ليلى بن فدكي يتقـــدم بجنده نحو الخنافس ، وعندما وصل حتّى مسافة قريبة منها ، جمع « المهبوذان » جنده وغادرها متجنباً الاشتباك مع جند المسلمين وتوجه الى « المصيخ » حيث كانت تنتشر فيه قبائل الهذيل بن عمران

دخل ابو ليلى « الخنافس » فوجـــدها خالية ، ولم يجد بها اية مقاومة فبعث مراسلاً الى خالد بن الوليد يشرح له الموقف .

---

(١) كان يطلق اسم « البررة » على كل فخذ خرج بكامله للجهاد . اما اذا خرج من القوم بطن من بطونهم فكانوا يسمون « الخيرة » .

١٠ ـ الاغارة على «مصيخ» بن الرشاء ، رمضان ١٢ هـ ـ ٦٣٣ م :

كانت المصيخ في موضع بين حوران ـ والقلت :

عندما انتهت تصفية المقـــاومة في حصيد والخنافس كتب خالد « الى القعقاع ابن عمرو وأبي ليلى بن فدكي وأعبد بن فدك وعروة بن الجعد البارقي » وحدد لهم ساعة ويوم الاجتماع في المصيخ ، وغادر خالد عين التمر .

لم يكن الهذيل بن عمران وقومه يتوقعون هجوماً مباغتاً ، ولذا فانهم لم يكونوا على استعداد للقتال ، وكان حرقوص بن النعمان قد نصحهم وعرض عليهم ارسال وفد لعقد اتفاق صلح مع خالد فرفضوا ذلك . وكان حرقوصٌ قد تزوج تلك الليلة بأم تغلب من بني هلال وجلس ومعه اهله يحتسي الخمرة ، فقالت له احدى النساء تنصحه بالكف عن الشراب :

[من يشرب هذه الساعة وفي اعجاز الليل ؟ فاجابها : اشربوا شرب وداع . فما أرى ان تشربوا خمراً بعدها ، هذا خالد بالعين ، وجنده بحصيد ، وقد بلغه جمعنا وليس بتاركنا ، وانشد يقول :

ألا فاشربوا من قبل قاصمة الظهر   بعيـــد انتفاخ القوم بالعكر الدثر
وقبـــل منايانا المصيبة بالقـــدْر   لحين لعمري لا يزيد ولا يحري](١)

وصل خالد حتى مسافة قريـــبة من « المصيخ » واجتمعت عنده القوات بكاملها فقسمها الى ثلاث مجموعات ، ووجهها بحيث يتم الانقضاض على معسكر عدوه من اتجاهات ثلاثة حتى لا يتمكن احد من الفرار .

كان الهذيل ومن معه ومن التجـــأ اليه بين نائم او ساهر يحتسى الخمر عندما بدأت سيوف المسلمين تعمل فيهم قتلا ، وانتشرت جثث القتلى حتى حجبت سطح الارض وكأنها مجموعات من الاغنام في يوم النحر ، ولم ينج من هذه المعركة الا هذيل ومعه مجموعة قليلة جداً من قومه .

---

(١) يحري : ينقص .

قتل اثناء المعركة لبيد بن جرير وعبـــد العزى بن ابي رُهم بن قرواش وكانا مسلمين وفدا الى قومهما ، وباغتهما هجوم المسلمين ، ولم يكن باستطاعة المسلمين تمييزهما في المعركة الليلية ، وتألم الخليفة ابو بكر لمصرعهما وقال :

[كذلك يلقى من ساكن اهل الحرب في ديارهم] (١) .

وضم ابو بكر ابناء الشهيدين المسلمين اليه واحسن اليهما تعويضاً لمـــا فقداه من الاهل ، كما أمر بدفع « الدية » الى ازواجهما .

١١ ـ الإغارة على الثني والزمل ، رمضان ١٢ هـ ـ ٦٣٣ م .

آ ـ كان ربيعة بن بجير التغلبي قد ضرب معسكره في الثني والبشر معه بهدف الهجوم على جيش المسلمين انتقاماً لعقة بن عقة ، واتصل بروزبة وزرمهر والهذيل وطلب الدعم في حربه ضد ابن الوليد وجيشه ، وعرف خالد بذلك فترك أمره حتى الانتهاء من تصفية التجمع الأكثر خطراً ، وعندما انتهى من اهل المصيخ اعاد تنظيم قواته ، ودفع القعقاع بن عمرو وأبا ليلى بن فدكي امامه ، وحدد لهما مكان الالتقاء وساعته عند الثني .

غادر خالد المصيخ فنزل حوران في تظاهرة استعراضية ثم اتجـــه الى الرفق ثم الحماة وقد نزل بها فيما بعد بنو جنادة بن زهير من كلب ، ثم الزميل وهي شرق الرصافة .

التقى خالد بالقعقاع وأبي ليلى واعـــاد تنظيم قوات الاغارة تنظيماً يماثل هجومه على المصيخ ، وكمن المسلمون لقبائل البشر والثني ومن ناصرهم ، وعندما اقترب الليل من نهايته ، باغتت قوات المسلمين معسكر خصومهم من جهات ثلاثة ، وبدأت عملية ابادة تامة بحيث لم يتمكن احد من الفرار .

---

(١) تاريخ الطبري ٣٨١/٣ . والتاريخ الكامل لابن الاثير ٢٧٣/٢ .

واستبى المسلمون الشرخ (١) وبعث خالد بخمس الله الى ابي بكر مع النعمان ابن عوف بن النعمان الشيباني وقسم الاربعة اخماس على المقاتلين(٢) .

ب ـ كان الهذيل بن عمران قد التجأ ومن نجا معه من مذبحة المصيخ الى « الزمل » نظراً لوجود معسكر كبير فيه من البشر . وعندما انتهى خالد من تصفية كل مقاومة في الثني ، اسرع في التوجه الى الزمل بهدف مباغتتها قبل تسرب انباء ابادة ربيعة في الثني ، ووصل خالد الزمل ، فطبق اسلوب الاغارة الذي طبقه في اغارتيه السابقتين واندفع المسلمون من ثلاثة اتجاهات واحاطوا بالمعسكر ، وبدأت عملية إبادة مماثلة لسابقتيها ووفى خالد بقسمه عندما قال أنه :

[ليبغتن تغلب في دارها] .

وعندما انتهت تصفية المقاومة ، جمعت الغنائم والسبايا ، وارسل ما يخص بيت المال الى المدينة مع الصباح المزني.

كان هلال بن عقة يعسكر بالرضاب ، يجمع المقاومة ويستثير القبـــائل ويتصل بالفرس، وعندما انتهى خالد بن الوليد من الزمل توجه الى الرضاب وعندما علم اصحاب هلال بما حدث لقبائل ربيعة في الثني ومضر في الزمل ، تركوه وحده ولاذوا بالفرار ، ولم يعد باستطاعة هلال ان يفعل شيئاً سوى الفرار ، ووصل خالد بجيشه الى الرضاب فلم يلق مقاومة بها .

١٢ ـ يوم الفراض ، النصف من ذي القعدة ، ١٢ هـ ـ ٦٣٣ م .

الفراض موقع بين حدود الشام والعراق والجزيرة العربية .

استطاع خالد بن الوليد بعملياته الاخيرة تصفية المقـــاومات الرئيسية التي كان يعتمدها الفرس لقتال المسلمين ، واصبحت القبائل العربية اضعف من ان

---

(١) الشرخ ـ الشباب .
(٢) الطبري ٣/٣٨٢ .

تقدم مقاومة جدية لدعم الفرس واخذ الفرس والروم يشعرون بضرورة التوحد لمجابهة الخطر الذي يتهددهما معاً ، فاتصل الروم بالفرس ، وانضمت مسالح الفرس الى الروم كما انضم اليهم انصارهم الحاقدين من قبائل تغلب واياد والنمر ، وتشكل جيش كبير يزيد على جيش المسلمين باكثر من سبعة اضعاف .

علم خالد بامر هـــذا التجمع ، فاعاد تنظيم قواته ، واحاط تحركه بنطاق من السرية ووصل الفراض بصورة مباغتة .

جابهت قوات التجمـــع جيش خالد ، وجرت تحركات من الطرفين دون اي صدام مسلح حتى وصل خالد الى الفرات واصبح النهر حاجزاً بين مقاتلي المسلمين واعدائهم .

اتصل قـــادة التجمع بخالد بن الوليد ، وعرضوا عليه اجتياز النهر لخوض المعركة او افساح المجال لعبور قواتهم وملاقاتـــه ، فرفض خالد العبور ، وطلب اليهم العبور من جنوب قواته اذا أرادوا العبور ، وانه لن يتزحزح عن مواقعه .

جرى مؤتمر لقـــادة الفرس والروم واقترح بعضهم تجنب الحرب مع خالد بن الوليد ، وكان مما قيل في هذا المؤتمر .

[هذا رجل يقاتل عن دين . وله عقل وعلم ووالله لينصرن ولنخذلن] (١)

وانتهى المؤتمر بانتصار دعاة الحرب وبدأ جند التجمع بعبور نهر الفرات. وعندما انتهت عملية العبور قسمت قوات التجمع ، فكانت قوات الروم بمعزل عن قوات الفرس كما كانت قوات العرب مستقلة بدورها ، وقد هدف القادة من ذلك اثارة الحماسة بين جندهم والتنافس على حمل شرف النصر .

بدأت المعركة بين الطرفين ، وقاتـــل كل طرف ببسالة ، وصمد المسلمون صموداً رائعاً ، واظهروا مهارة كبيرة في قتال خصومهم واشتدت حـــدة

---

(١) تاريخ الطبري ٣٨٣/٣ والتاريخ الكامل لابن الاثير ٢٢٦/٢ وما بعدها .

القتال في تصاعد ، ونجح خالد وجيشه في انتزاع النصر ، وبدأت الهزائم تتلاحق على قوات التجمع ، ثم تحولت الهزيمة الى فرار من المعركة ، وارسل خالد اوامره الى الجيش :

[ألحوا عليهم ، ولا ترفعوا سيوفكم عنهم] .

وانطلقت مجموعات الفرسان لتجمع جند العدو وتسوقهم بالرماح ، واستمرت اعمال الإبادة حتى قتل مائة الف ١٠٠,٠٠٠ باستثناء من ألقوا بانفسهم في الفرات وغرقوا في النهر .

بقي خالد في الفراض عشرة ايـــام ، ثم اعاد تنظيم جيشه ، واصدر أوامره بالتحرك الى الحيرة بعد ان دفع مقدمته بقيادة عاصم بن عمرو ، وكلف شجرة ابن الأغر بقيادة المؤخرة ، وتظاهر خالد انه يتبع المؤخرة « السَّاقة » ثم توجه سراً الى الحج واختار طريقاً قصيراً وصعباً لم يسبقه احد اليه ، ووصل مكة ، وعند الانتهاء من مناسك الحج عاد خالد الى الحيرة دون ان يشعر احد بغيابه وعندما علم الخليفة الصديق بذلك عاتبه .

في تلك الفترة كانت عمليات الجبهـــة الشمالية تشهد تحولات خطرة مما دفع الخليفة الصديق الى توجيه اربعة جيوش الى الشام ، وفي الوقت ذاته ، ونظراً لاهمية مسرح العمليات الشمالية ، اعطى الخليفة الصديق الافضلية الأولى للجبهة الشمالية . وكتب الى خالد للتوجه بنصف قوته الى الشام ، وكان في نص الرسالة :

[أمد اخوانك بالشام والعجل العجل . ووالله لقريه من قرى الشام يفتحها الله على المسلمين احب الي من رستاق عظيم (١) من رساتيق العراق](٢) .

نظم خالد القـــوة التي سترافقه الى الشام ، واستأثر بأفضل المقاتلين ممـــا

---

(١) الرستاق : الريف ، او القرى خارج المدن .

(٢) التهذيب ابن عساكر ١٤٧/١ وتاريخ الطبري ٣٨٥/٣ .

أغضب المثنى بن حارثة ، واحتج المثنى فاعاد خالد التنظيم وقسم افضل المقاتلين بشكل عادل ، مما ارضى المثنى ، وفي شهر محرم سنة ١٣ هـ . غادر خالد الحيرة في اتجاه الشام وخرج معه المثنى مودعاً حتى قراقر ثم عاد المثنى الى الحيرة .

أعاد المثنى منذ وصوله الحيرة تنظيم قواتـه ، ووزع المسالح « مخافر المراقبة الامامية » على امتداد دجلة ، وارسل عناصر الاستطلاع .

كان الفرس خلال هـذه الفترة يعيدون تنظيم دولتهم بعد ان تسلم الحكم شهربراز بن أردشير بن شهريار .

١٣ – معركة باب بابل ، ١٣ هـ – ٦٣٤ م :

عندما تولى شهربراز مقـاليد حكم فارس ، اراد ان يبدأ حكمه بنصر يحققه على العرب بعد خروج خالد من العراق ، فارسل جيشاً من عشرة آلاف مقاتل ، وجهزه بالفيلة واسند قيادته الى هرمز جاذوية وكتب رسالة الى المثنى جاء فيها .

[لقد بعثت اليك جنداً من وحش اهل فارس ، إنما هم رعـاة الدجاج والخنازير ، ولست اقاتلك إلاّ بهم] .

واجابه المثنى رسالة جاء فيها :

[انما انت احد رجلين ، اما باغ فذلك شر لك وخير لنا وأما كاذب فأعظم الكذابين عقوبة وفضيحة عند الله في الناس الملوك . وأما الذي يدلنا عليه الرأي ، فانكم اضطررتم اليه فالحمد لله الذي رد كيدكم الى رعاة الدجاج والخنازير] (١) .

كتبت المسالح الى المثنى بتقدم جيش هرمز ، فأمر المثنى مفـارز المسالح بالانضمام اليه ، ونظم جيشه وغادر الحيرة بعد أن وضع على مجنبتيه المعنى ومسعوداً ابني حارثة « أخوي المثنى » وتقدم في اتجاه بابل .

---

(١) تاريخ الطبري ٤١٢/٣ .

عندما وصل جيش المثنى كان هرمز قد انهى تنظيم قواته واسند قيادة مجنبتيه الى الكوكبد والحركبذ .

جرت المعركة بين الطرفين عند الصراة الدنيا جنوب بابل ، وكانت معركة قاسية ونجح المثنى في قتل الفيل الذي كان يحطم صفوف المسلمين ، وبعد قتال حاسم انتصر جيش المثنى وانطلق الفرسان في مطاردة فلول المنسحبين ووصلت عناصر المطاردة حتى ابواب المدائن ، ووصل خبر موت شهربراز ، في الوقت الذي كان فيه هرمز جاذوية يبتعد عن ميدان القتال (١) .

وعاد سواد العراق آمناً ، على امتداد دجلة في قبضة المسلمين .

بعد موت شهربراز ، اجتمع اهل فارس على دخت زنان ابنة كسرى ، ولكنها كانت ضعيفة فخلعت وملك سابور بن شهربراز وقام بأمره الفرخذان ابن البندوان ، وطلب الفرخذان من سابور ان يزوجه آزر ميدخت ابنة كسرى فقبل ورفضت آزر واستنجدت سراً بسياوخش الرازي وكان يلقب بفتاك الاعاجم فنصب سياوخش كميناً بالتآمر مع آزر لقتل الفرخذان ، وقتله وخرج مع آزر الى سابور ، ولحقت به قوة أرسلها الملك شهربراز فقتلته وملكت آزر ميدخت بنت كسرى « الطبري ٣ — ٤١٤ » .

ان هذه الصورة تعطينا مدى التمزق الذي كانت عليه الدولة الفارسية في نهاية أيام حكم الساسانيين ، وتعلل احد اسباب انهيارهم .

خلال هذه الفترة توقفت الاعمال القتالية ، وانقطعت رسائل المثنى عن

---

(١) قال عبد بن الطيب السعدي يصف المعركة :

هل حبل خولة بعد البين موصول أم انت عنها بعيد الدار مشغول .
وللاحبة أيام تذكرها وللنوى قبل يوم البين تأويل .
حلت خويلة في حي عهدتهم دون المدائن فيها الديك والفيل .
يقارعون رؤوس العجم ضاحية منهم فوارس لا عزل ولا ميل .

تاريخ الطبري ٤١٣/٣

الخليفة الصديق مما أقلقه ، فارسل يستوضح الموقف ، وقرر المثنى الذهاب الى المدينة بهدف شرح الموقف وطلب العفو عمن اظهر توبة صادقة من المرتدين لإشراكهم في القتال وحشدهم في جيوش المسلمين ، لا سيما بعد ان شهد ان من قاتل منهم طواعية كانوا اكثر حماسة واندفاعاً لقتال الفرس ونصرة المسلمين.

أصدر المثنى أوامره بتعيين بشير بن الخصاصة خلفاً له اثناء غيابه وتعيين سعيد بن مرة العجلي قائداً للمسالح ، وغادر المثنى الحيرة الى المدينة .

المثنى بن حارثة في المدينة :

وصل المثنى بن حارثة الى المدينة فوجد الخليفة ابا بكر مريضاً ، وعندما زاره وشرح له الموقف ، استدعى عمر بن الخطاب وأوصاه :

[اسمع يا عمر ما أقول لك ثم اعمل به ، اني لأرجو ان اموت من يومي هذا ، فان أنا مت فلا تمسين حتى تندب الناس مع المثنى وان تأخرت الى الليل فلا تصبحن حتى تندب الناس مع المثنى ولا تشغلنكم مصيبة وان عظمت عن أمر دينكم ووصية ربكم] (١) .

وتوفي الخليفة ابو بكر وخلفه عمر بن الخطاب ، وسارت عملية البيعة ثلاثة ايام كان خلالها ابن الخطاب يندب الناس لدعم المثنى وكان اول من استجاب للدعوة أبو عبيد الثقفي وتبعه سعد بن عبيد الانصاري وسليط بن قيس ، وعين الخليفة اول من استجاب لدعوته من أجل قيادة حرب العراق واوصاه :

[اسمع من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، وأشركهم في الأمر ، ولا تجتهد مسرعاً حتى تتبين فانها الحرب ، والحرب لا يصلحها الا الرجل المكيث الذي يعرف الفرصة والكف] (٢) .

---

(١) تاريخ الطبري ٤١٤/٣ . والكامل لابن الاثير ٢٨٦/٢ .

(٢) تاريخ الطبري ٤٤٥/٣ .

عودة المثنى الى العراق :

عاد المثنى بن حارثـــة الى العراق في انتظار وصول قوات الدعم .

في تلك الفترة كانت فارس منصرفة الى متاعبهـــا الداخلية ، وكانت بوران قد عرفت بينهم بحكمتها وصواب رأيها ورجاحة عقلها ،وكانت المرجع كلما حدث اضطراب او اختلاف .

عندما قتل الفرخذان بن البندوان وتقـــدم رستم فقتل آزر ميدخت كانت بوران هي الحكم في الموقف .

وعندما عاد المثنى الى الحيرة كانت السلطة قـــد انتهت الى بوران واصبح رستم قائداً للجيوش .

كان اول ما فعله رستم هو اثـــارة الاقاليم ضد حكم المسلمين وارسل الى كل اقليم من يستثيره وكان من بين من ارسلهم :

جابان الى البهقباذ الاسفل .

نرسي الى كسكر .

جيشاً الى الحيرة لمجابهة المثنى .

وهكذا لم يمض خمسة عشر يوماً على وصول المثنى الى الحـــيرة ، حتى اضطربت الاقاليم واندلعت نيران الثورة من أعلى الفرات حتى مصبـــه .

واعلمت المسالح المثنى بتقدم جيوش الفرس فجمع مسالحه واتخذ ترتيبات الأمن ، وعندما تزايد الموقف خطورة أصدر المثنى اوامره بالانسحاب حتى خفان بهدف عدم اتاحة الفرصة امام خصمه للقيام بهجوم مباغت ينال جيش المسلمين من خلفهم .

١٣ – يوم النمارق ، ١٣ هـ – ٦٣٤ م :

اقام المثنى في خفان ووصل أبـــو عبيد ومعه الف مقاتل وكان الفاصل بينه وبين وصول المثنى الى العراق شهراً . وشرح المثنى الموقف الى ابي عبيد

وبعد استراحة قصيرة للقوات ، نظم أبو عبيد الثقفي قواته على النحو التالي :
- قوة الفرسان بقيادة المثنى بن حارثة .
- الميمنة بقيادة والق بن جيداره .
- الميسرة بقيادة عمرو بن الهيثم بن الصلت بن حبيب السلمي .

وتوجه أبو عبيد الى النمارق بهدف مجابهة القوة الرئيسية التي كان يقودها « جابان » .

كان جابان قد نظم قواتـه للمعركة ، فتولى قيادة القوات المركزية وكلف :
- جشنس لقيادة الميمنة .
- مردانشاه لقيادة الميسرة .

التقت قوات الطرفين في النمـارق ، وتصاعدت حدتها ، ونجح أكتل ابن شماخ العكلي في أسر مردانشاه ، وضرب أكتل عنقه .

ونجـح قطر بن فضة التيمي في أسر جابان دون ان يعرفه ، ونجح جابان في خداع قطر وأخذ وعداً منه لاطلاق سراحه ، وعرفه المسلمون وجاءوا به الى ابي عبيد ، فالتزم أبو عبيد بوعد قطر واطلق سراحه بعد المعركة .

عندما زالت قيادة جيش الفرس ، بـدأت قواتهم بالانسحاب ، وتحول الانسحاب الى هزيمة غير منظمة ، وبدأ الجند الهاربون من المعركة يتوجهون الى كسكر حيث كان يقيم نرسي بهدف الحصول على الحماية ، اصدر أبو عبيد اوامره الى مجموعات الفرسان :

[اتبعوهم حتى تدخلوهم عسكر نرسي او تبيدوهم بين النمارق الى بارق الى درتا] (١) .

---

(١) تاريخ الطبري ٣/٤٥٠ . والتاريخ الكامل لابن الاثير ٢/٢٩٨ .

وقامت مفـــارز الفرسان بإبادة المقاومات وملاحقة الفارين واستثمار الظفر (آ) .

١٤ - يوم السقاطية بكسكر ، ١٣ هـ ٦٣٤ م .

اسرع أبوعبيد بعـــد معركة النمارق في تنظيم قواته ، وتوجه من النمارق الى كسكر بهدف تحطيم المقاومة الثانية التي كان يقودها نرسي ، وكان المثنى قد احتفظ بالتنظيم الذي هاجم به جابان يوم النمارق .

عندما وصل بوران ورستم خـــبر هزيمة جابان ارسل رستم امـــراً الى الجالينوس يطلب اليه التوجه لدعم نرسي .

كان نرسي خـــلال تلك الفترة قد نظم جيشه ووضع على مجنبتيه ابنا خاله وهما من ابناء الاكاسرة ، وضم الى جنده كل مقاتل من باروسما ومنطقة نهر جوبر ، والزوابي « الزاب الاعلى والزاب الاسفل » واخذ نرسي ينتظر قدوم قوات للدعم على امل وصولها قبل قدوم جيش المسلمين .

وصلت قـــوات أبي عبيد الى موقع يقال له السقاطية في جنوب كسكر ، وبدأت هجومها فوراً بهدف القضاء على قوات نرسي قبل وصول قوات الدعم لها . وبعد معركة قصيرة وحاسمة بدأت قوات نرسي الفرار من ميدان القتال وهرب نرسي بدوره من المعركة .

(آ) قال عاصم بن عمرو في وصف يوم النمارق :

لعمري وما عمري علي بهـــين	لقد صبحت بالخزي اهـــل النمارق .
بأيدي رجال هاجروا نحو ربهـــم	يجوسونهم ما بين درتا وبارق .
قتلناهم ما بين مرج مسلـــــح	وبين الهوافي من طريق البوارق .

(١) التاريخ الكامل لابن الاثير ٢/٢٩٩ .

ارسل أبـــو عبيد مفارز المشاة لجمع الغنائم ، وكانت مفارز الفرسان تطارد القوات المنسحبة وتبيدها . وفي الوقت ذاته نظم ثلاثة مجموعات قتالية للقضاء على التجمع الذي سيتقدم لدعم نرسي كالتالي :

١ – مجموعة قتالية بقيادة المثنى بن حارثة بمهمة التوجه الى باروسما .

٢ – مجموعة قتالية ثانية بقيادة والق بن جيداره بمهمة التوجه الى «الزوابي»

٣ – مجموعة قتالية ثالثة بقيادة عاصم بن عمرو بمهمة التوجه الى منطقة نهر جوبر .

انطلقت المجموعات القتالية نحو اهدافها ، وباغتت المقاومات بهجوم حاسم فدمرتها ، وهرب من استطاع النجاة نحو معسكر الجالينوس .

خرج للمثنى اثناء اغارته على زند ورد وبسوسيا اثنـــان من القادة هما فروخ وفرة ونداز وعرضا الصلح . فارسلهما المثنى الى ابي عبيد وصالحهما أبوعبيد نيابة عن اهل باروسما ونهر جوبر والزوابي وكسكر ، واشترط أبوعبيد عليهما عدم تقديم اي دعم للفرس في المعارك المقبلة وعدم الغدر بالمسلمين فتعهدا بذلك .

لم يبق من الجيوش التي ارسلهـــا رستم سوى الجالينوس الذي ضم الى جيشه قوات جابان وفلول القوات المنسحبة من كسكر .

اعـــاد أبوعبيد تنظيم قواته بسرعة ، وخرج لمجابهة الجالينوس واعترضه عند وصوله الى « باقسياثا » من باروسما . وبدأ المسلمون معركتهم بهجوم حاسم لم تصمد له قوات جالينوس ، فهرب جالينوس وتمزقت قواته .

١٥ — وقعة الجسر ، شعبان ١٣ هـ — ٦٣٤ م : (١)

تسمى هذه المعركة في التاريخ باسم وقعة الجسر ، ووقعة المروحة ووقعة القس « قس الناطف» .

رجع أبو عبيد بعد معركة السقاطية الى الحيرة .

عندما تتابعت الهزائم علـى قوات الفرس ، عقد رستم مؤتمراً وسأل قادته ومستشاريه :

[أي العجم اشد على العرب فيما ترون ؟]

قالوا له :

[بهمن جاذويه] .

استدعى رستم « بهمن جاذويه » وسلمه رايـة كسرى « **درفش كابيان** » المصنوعة من جلد النمر ، وجهزه بجيش تدعمه الفيلة ، وقال له : ادفـع الجالنوس امامك فان عاد منسحباً فاقتله ، وغادر « بهمن جاذويه » بجيشه المدائن في اتجاه الحيرة .

غادر أبـو عبيد الحيرة حتى وصل موضعاً على دجلة اسمه المروحة بين البرج والعاقول ، وكان « بهمن جاذويه » قد اقام معسكره عند الطرف الآخر من النهر .

ارسل « بهمن جاذويه» الى أبي عبيد مراسلا قال له :

[اما ان تعبروا الينا وندعكم والعبور . واما أن تدعونا نعبر اليكم] .

عقد أبو عبيد مؤتمراً لمناقشة الموقف ، ووافق عـلى العبور ، وتصدى له قادة المسلمين فعارضوه في رأيه ، واتفق الجميع على ضرورة ارغام قـوات الفرس على العبور للاسباب التالية :

---

(١) قس الناطف على شاطىء الفرات الشرقي والمروحة . موضع بشاطىء الفرات الغربي — معجم البلدان ١ — ٥ .

١ - كان ميدان المعركة عند الضفة الغربية اكثر اتساعاً مما يسمح للمقاتلين باجراء المناورات والتحرك بسهولة .

٢ - عدم ترك حاجز يعيق الانسحاب او يمنع تقدم قوات الدعم ،وكان اكثر المعارضين حماسة سليط بن قيس ، فقال له أبو عبيد :

[جبن سليط] .

واجابه سليط :

[انا والله اجرأ منك نفساً وقد أشرنا عليك الرأي فستعلم] (١)

هكذا لم يلتزم أبـو عبيد برأي القادة ، وقرر العبور ، وقال لاصحابه :

[لا يكونون اجرأ على الموت منا] .

وتجاهل بذلك تعليمات الخليفة عمر حيث اوصاه بالنزول عند رأي قادة المسلمين .

وصلت قوات المسلمين بـعد العبور الى الضفة الشرقية وكان ميدان القتال « **ضيق المطرد والمذهب** » . كما وصفه أبو عبيد وبدأت المعركة .

استمر القتـال بين الطرفين النهار بكامله ولم يتمكن المسلمون من تحقيق انتصار حاسم ، وفي المساء وعندما ظهرت بواكير نصر جيش أبي عبيد وقعت المأساة .

كان الفرسان خـلال المعركة يعجزون عن الوصول لخصومهم بسبب صمود الفيلة واجفال الخيل منها ، فترجل أبو عبيد ومجموعة من الفرسان لضرب الفيلة ونجح المسلمون في قتل عدد منهم ، وامسك ابا عبيد احد الفيلة وضربه على مشفره وهوى الفيل وسقط أبو عبيد تحته واسرع خليفة أبي عبيد فانتزع الراية وحاول اخراج أبي عبيد فقتل ، وتقدم ثالث فحمل الراية ولم ينجح في انقاذ أبي عبيد ، واستلم الراية رابع ، فلم يكن مصيره افضل ممن سبقه ، واندفع

---

(١) التاريخ الكامل لابن الاثير ٢/٣٠٣ وتاريخ الطبري ٣/٤٥٤ .

الفرس وقد شهدوا ما حدث من اضطراب في جيش المسلمين . وبدأ التراجع وتحول التراجع الى هزيمة . وهنا اسرع عبدالله بن مرشد الثقفي الى الجسر فقطعه وصرخ بالمقاتلين :

[ايها الناس ، موتوا على ما مات عليه أمراؤكم او تظفروا] .

وعندها اخذ بعض المقاتلين يلقون انفسهم في النهر .

شهـــد المثنى تحول المعركة ، واراد انقاذ الموقف خوفاً من تحول الهزيمة الى كارثة ، فوقف منادياً :

[ايها الناس . انا دونكم فاعبروا على مهل « على هينتكم » ولا تدهشوا . فانا لن نزايل حتّى نراكم من ذلك الجانب ، ولا تفرقوا] (1) .

والتقت مجموعة من الفرسان حول المثنى واندفعت لحماية الانسحاب ، وأقبل مقاتل فأعلم المثنى بما فعله عبدالله بن مرثد ، ووقوفه لإعاقة الانسحاب فاستدعاه وقال له :

[ما حملك على الذي صنعت] .

فاجابه :

[حتّى يقاتلوا] .

فأمر المثنى باصلاح الجسر ، وانتظمت عملية الانسحاب فيما كانت قوة تقوم على حمايته ، وقاتل عاصم والكلج الضبي ومذعور وغيرهم بعناد ، واصيب المثنى بجراح خطرة ، لكنه استمر في القتال حتّى انتهت عملية العبور وبدأت مفرزة الحماية بقيادة المثنى انسحابها ، وكان سليط بن قيس آخر من قتل عند الجسر .

كـــان وقع الهزيمة ثقيلا على المسلمين بحيث وصل الهاربون منهم حتّى المدينة .

---

(1) تاريخ الطبري ٤٥٧/٣ . التاريخ الكامل لابن الاثير ٣٠٢/٢.

كـــانت خسائر المسلمين في المعركة اربعة آلاف مقاتل بين قتيل وغريق ، وكانت خسائر الفرس مماثلة لخسائر المسلمين .

وبلـــغ عدد الذين هربوا حتّى المدينة الفان (٢٠٠٠) وبقي مع المثنى ثلاثة آلاف مقاتل فقط .

علـــم الخليفة عمر بن الخطاب بتفاصيل المعركة ومسيرتها ، ووصله انهيار القوة المعنوية لاولئك الذين هربوا من القتال لا سيما عندما كانت تتلى آية :

[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفاً فَلاَ تُوَلُّوهُمُ الإِدْبَارَ وَمَنْ يُوَلِّهِم يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفاً لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ المَصِيرُ] .

الانفال — الآية ١٥

وزاد اهل المدينة تقريعاً للمنهزمين واهمالاً لهم ، فتصدى الخليفة ابـــن الخطاب لمعالجة الموقف ووقف خطيباً ، وكان مما قاله :

[عباد الله ، اللهم ان كل مسلم في حل مني . انا فئة كل مسلم ، يرحم الله ابا عبيد . لو كان عبر فاعتصم بالخيف . او تحيز الينا ولم يستقتل لكنا لـــه فئة] (١) .

عنـــدما كانت معركة الجسر في نهايتها وصل مراسل من المدائن يعلم « بهمن جاذويه » والجالنوس باندلاع نار الثورة في المدائن ضد رستم وان هناك انقساماً ، فالفهلوج على رستم واهل فارس على الفيرزان ، فسحب القائدان قواتهما من المعركة وتوجها الى المدائن ، وتسربت هذه الاخبار بسرعة الى المثنى واراد الاسراع لتأديب انصاره « بهمن جاذويه » بهدف :

١ — رفع الروح المعنوية للمسلمين .

٢ — ردع كل محاولة للتمرد وتأديب كل من يخرج على اتفاقه مع المسلمين

---

(١) تاريخ الطبري ٣/٤٥٥ .

استخلف المثنى بن حـــارثة على قيادة الجيش عاصم بن عمرو ، ونظـــم مفرزة من الفرسان وانطلق بهم الى أليس حيث كان فيها جابان ومردانشاه . فاعتقلهما وكانا يظنان ان المثنى هارب فارادا إلقاء القبض عليه وتمكن مـــن اعتقالهما فقتلهما ثم أخرج اهل اليس الاسرى التزاماً منهم باتفاقيتهم مـــع المسلمين ، فاصدر المثنى اوامره بقتل الأسرى ، وبعد تصفية بقايا المقاومة رجع الى معسكره في الحيرة .

تنظيم الدعم وارساله الى المثنى :

بين وقعة اليرموك وبين معركة الجسر اربعون يوماً .

كانت الأولى في نهاية جماد الآخرة وكانت الثانية في الأول من شعبان . ونظراً لما حققه المسلمون من نصر حاسم في اليرموك فقد عمد ابن الخطاب الى تحويل مركز ثقل العمليات الى الجبهة الشرقية وتعهد بارسال قوات الدعم الى العراق .

كـــان جرير بن عبد البجلي وحنظلة بن الربيع قد استأذنا خالد بن الوليد بالذهاب الى المدينة لمقابلة الخليفة وأذن لهما فغادرا « سوى » ووصلا المدينة ، وعند مقابلتهما لابن الخطاب اقترحا عليه دعوة قبائل بجيلة الممزقة وتوحيدها بقيادتهما للقتال ، ووافق ابن الخطاب وارسل الى الولاة يأمر بتسيير كل من كان يحمل اسم بجيله في الجاهلية ، وتجمع لديه جيش كبير سيره الى العراق لدعم المثنى .

وجـــاءت قبائل من ضبة بقيادة عصمة بن عبد الله من بني عبد بـــن الحارث الضبي فوجهها الخليفة عمر الى العراق .

واستنفر الخليفـــة المرتدين بعـــد ان كان الخليفة ابو بكر قد حرمهم من شرف الجهـــاد فاقبلوا للافادة من هذه الفرصة ولاثبات صدق ولائهم ورسوخ إيمانهم .

وقـــدم على الخليفة عمر سبعمائة مقاتل من كنانة والازد ، فعقد الخليفة لواء كنانة لغالب بن عبدالله وعقد لواء الازد لعرفجة بن هرثمة وارسلهما الى العراق .

وجـــاء هلال بن علفة مع طائفة من الرباب فوجهه لدعم المثنى .

وحضرت الى المدينـــة مجموعة من مقاتلي خثعم بقيادة عبد الله بن ذي السهمين فأرسله الخليفة إلى العراق .

وجـــاء الى الخليفة عمر ربعي بن حنظلة في جماعة من قومه فأسلم الخليفة لربعي القيادة ووجهه الى العراق ثم خلف ربعي ابنه شيث في قيادة قومه .

وتقـــدم الى الخليفة في المدينة قوم من بني عمرو فعين الخليفة لقيادتهم ربعي بن عامر بن خالد العنود . ووجهه الى العراق .

وجـــاء الى المدينة قوم من بني ضبة فقسمهم الخليفة عمر الى فرقتين وجعل الفرقة الاولى بقيادة ابن الهوبر والفرقة الثانية بقيادة المنذر بن حسان ووجههما الى العراق .

وتقـــدم قرط بن حجاج من الخليفة عمر ومعه عبد قيس ، فارسله الى المثنى .

وهكذا اخذت قوافل الدعم وارتال الامداد تتدفق باستمرار نحو العراق .

١٦ – يوم البويب ، رمضان ١٣ هـ – ٦٣٤ م :

« البويب » موضع يلي الكوفة اليوم . وكان البويب معيناً للفرات ايام الفيضان ويصب في الجوف .

توفـــرت المعلومات عند رستم والفيرزان بتجمع قوات المسلمين ووصول قوات دعم كبيرة لهم . وكانا يعتقدان ان المسلمين سينسحبون من العراق بعد معركة الجسر . فاصدر رستم اوامره الى « مهران الرازي » ويقال أن أصله عربي من اليمن لتعيينه على امارة الحيرة وامده بجيش كبير لقتال المسلمين .

كـــان المثنى قد اقام معسكره في مرج السباخ ، وعندما علم بتقدم مهران الرازي ارسل الى جرير بن عبدالله البجلي الرسالة التالية :

[جاءنا أمر لم نستطع معه المقام حتى تقدموا علينا ، فعجلوا اللحاق بنـــا وموعدكم البويب] (١)

وكتـــب الى عصمة بن عبدالله الضبي رسالة مماثلة وطلب اليه التحرك على محور الجوف .

ثم نظـــم المثنى جيشه للتحرك وسار به على محور وسط السواد حتى النهرين ثم الخورنق ، البويب .

وسلك جـــرير محور « الجوف — البويب » .

وسلك عصمـــة محور « القادسية — الجوف — النجف — البويب » .

وتجمعت قوات المسلمين .

عندمـــا بلغت بعض القبائل العربية تقدم مهران لحرب المسلمين ، وكانت المعارك السابقة قد حطمت من هيبة الفرس في نفوسهم ، واخذوا يشعرون بصلة الدم التي تجمعهم بالعرب المسلمين ، اندفع أنس بن هلال النمري في قبائل بني النمر واندفع ابن مردي الفهري التغلبي في قبائل من تغلب ، وانضم اليهم آخرون وقالوا :

[نقاتل مع قومنا] (٢) .

والتحقوا بقوات المثنى .

تقـــدم مهران بجيشه واقام معسكره عند الضفة المقابلة للمسلمين من نهر الفرات . وسأل المثنى عن اسم الموضع فقيل له :

[بسوسيا]

فقال المثنى :

[اكدى مهران وهلك ، نزل منزلاً هو البسوس] (٣)

---

(١) تاريخ الطبري ٣/٤٦٠ وللتاويخ الكامل لابن الاثير ٢/٣٠٢ .

(٢) تاريخ الطبري ٣/٤٦٧ .

(٣) اكدى بمعنى مكر — وكاد — « وفي القرآن الكريم ويكيدون كيداً » .

كتب مهران الى المثنى رسالة يسأله :

[اما ان تعبروا او نعبر إليكم] .

ولم يتردد المثنى وذكريات موقعة الجسر قريبة فاجابه :

[بل اعبروا إلينا] .

التنظيم للقتال :

بعد ان عبر مهران الرازي بقواته ، نظمها للقتال على النحو التالي :

جند المشاة في المقدمة على عدد من الأنساق المتعاقبة .

الفرسان في ثلاثة انساق خلف المشاة .

الفيلة ووضعت في وسط انساق الفرسان .

- نظم المثنى مجنبتيه واسند قيادتهما بشير وبسر بن أبي رهم .

مجموعة الفرسان بقيادة المعنى .

جند المشاة بقيادة مسعود .

القوة الاحتياطية « الرده » بقيادة مذعور .

الطلائع بقيادة النسير .

- عندما انهى المثنى بن حارثة تنظيم قواته جمع الناس وخطب فيهم :

[انكم صوام ، والصوم مرقة ومضعفة ، واني أرى من الرأي ان تفطروا ثم تقووا بالطعام على قتال عدوكم] . وأفطر المسلمون .

ثم قام المثنى بجولة تفقدية للتأكد من سلامة التنظيم « واستثار القادة ، وشهد خلال جولته فارساً يتحرق شوقاً للمعركة ويندفع خارج النسق ،فسأل المثنى :

ما بال هذا ؟ واجابوه [هو ممن فر من الزحف يوم الجسر ، وهو يريد ان يستقتل] فقرعه المثنى بالرمح وقال [لا أبالك، الزم موقفك، فان اتاك قرنك فأعنه عن صاحبك ولا تستقتل] . فاجابـه الفارس : اني بذلك لجدير] . واستقر المقاتل ولزم مكانه في النسق (١)

---

(١) تاريخ الطبري ٣/٤٦٢ .

التقى الطرفـــان عند شاطىء البويب الشرقي ، المسلمون بموضع السكون وخصومهم في موضع « دار الرزق » .

مسيرة المعركة :

انطلق مهران بجيشـــه من قاعدة الهجوم وارتفعت اصوات جنده بالأهازيج بهدف اضعاف الروح المعنوية للمسلمين ، فقال المثنى لقادته وجنده :

[ان الذي تسمعون فشل . الزموا الصمت ، وائتمروا همساً] .

وطلب المثنى من جنده البقاء في مواقعهم حتى اقتراب عدوهم ، وحدد لهم شارة الانطلاق للهجوم بثلاث تكبيرات ، ينطلق المسلمون في الرابعة منها .

اعطـــى المثنى شارة الانقضاض عندما اقتربت قوات الخصم والتحم الجيشان في معركة قاسية اظهر فيها كل طرف ارادته على الصمود وانتزاع النصر ، وكان قلب الهجوم اكثر صموداً ، ولما طالت المعركة دون ظهور بادرة تشير الى تحول الموقف ، قال المثنى لأنس بن هلال :

[يا أنس ، انك امرؤ عربي وان لم تكن على ديننا فاذا رأيتني قد حملت على مهران فاحمل معي] ثم وجه حديثه لابن مروي الوهر فقال له مثل ذلك .

انطلـــق المثنى في هجومه نحو مركز ثقل هجوم العدو ، وتصاعدت حدة القتال ، ونجح المثنى في النهاية من زحزحة قلب الهجوم عن مواقعه ، وتراجعت قوات القطاع الاوسط الى الخلف واصبحت اجنحة العدو مكشوفة ، وأفاد المسلمون من هذه الثغرة فاندفع المقاتلون نحو الاجنحة واستطاعوا ارغامها على التراجع ، وتحول التراجع بعد قتال عنيد الى هزيمة وبدأت فلول العدو بالانسحاب نحو الجسر ، فاسرع المثنى الى الجسر لمنع العدو من الفرار ، واستمرت اعمال مطاردة فلول المنسحبين وجمعهم وابادتهم يوماً وليلة ، وقتل في المعركة من جند الفرس مائة الف ١٠٠,٠٠٠ وكان شهربراز قائد

فرسان العدو من بين القتلى ، كما قتل قائد الجيش مهران . وقتل مجموعة من اعلام المسلمين مثل مسعود بن حارثة .

حدث في نهاية المعركة ان انفصلت المشاة عن الفرسان ، وكاد فرسان الفرس يسرعون للقضاء على كل طرف ، فنادى المثنى :

[اقتلوا براياتكم ، وليحم راجلكم خيلكم] (١) .

فعاود المقاتلون تنظيم صفوفهم ، ووفروا الحماية للفرسان وبذلك امكن تنسيق التعاون واحراز النصر .

تابع الفرسان من المسلمين مطاردة الهاربين حتى وصلوا السيب وأرسل المثنى عاصم وجرير وعصمة للاغارة على ساباط ، وقد تحصن اهلها لمقاومة المسلمين ، ونجح هؤلاء في اقتحام ساباط ، فابادوا المقاومات واستباحوا القريات المحيطة بها ، وارسلوا الاغنام والاطعمة الى عائلات المسلمين في الحيرة والقادسية .

قال المثنى بعد المعركة :

[قد قاتلت العرب والعجم في الجاهلية والاسلام ، والله لمائة من العجم في الجاهلية كانوا اشد علي من الف من العرب ، ولمائة اليوم من العرب اشد عليّ من الف من العجم] .

وقال الاعور العبدي الشني في هذه المعركة :

هاجت الأعور دار الحي أحزانا : واستبدلت بعد عبد القيس خفانا
وقد أرانا بها والشمل مجتمع : اذ بالنخيلة قتلى جند مهرانا
أزمان سار المثنى بالخيول لهم : فقتل الزحف من فرس وجيلانا
سما لمهران والجيش الذي معه : حتى ابادهم مثنى ووحدانا (٢)

---

(١) تاريخ الطبري ٣/٤٦٨ .

(٢) تاريخ الطبري ٣/٤٧١

١٧ – الاغارة على الخنافس وسوق بغداد ، ١٣ هـ – ٦٣٤ م :

آ – ويطلقون عليها ايضاً اسم غزاة أنبار الآخرة او أليس الآخرة .

عندما رجـع المثنى بن حارثة الى الحيرة ، اعاد تنظيم قواته ، ودعـم مخافر المراقبة «المسالح» بافضل المقاتلين امثال عصمة الضبي والكابح الضبي وعرفجة البارقي وغيرهم من القادة . ثم ارسل جريراً الى ميسان ، وهلال بن علفة الى دست ميسان .

علـم المثنى ان هناك سوقاً يقام كل عام في قرية اسمها الخنافس يأتيها تجار مدائن كسرى وسواد العراق ويتجمع فيها من الأموال ما يزيد على خزانة بيت المال ، وقال له احدهم :

[ان قدرت ان تغير عليهم وهم لا يشعرون اصبت فيها مالاً يكون غناء للمسلمين وقووا به على عدوهم دهرهم] (١) .

عكف المثنى عـلى جمع المعلومات الضرورية عن المحور الذي يجب ان تسلكه قوة الاغارة والمسافة والمدة التي يستغرقها تجاوزها ، ثم اختار عناصر الاغارة من الفرسان الذين عهد فيهم الشجاعة وانطلق من « الحيرة » وسار في الليل حتى اشرف على أليس ، وكمن في انتظار قيام السوق . وعندما عرف ان الحركة في السوق اصبحت تسير بصورة جيدة انطلق بقوة الاغارة وبوغت حرس السوق فلم يلق المثنى مقاومة كبيرة ، وانصرف العناصر المخصصة من قوة الاغارة لجمع الاسلاب . هرب الناس من الذعر ، واصبح السوق خالياً ، ثم انسحبت قوة الاغارة في اتجاه الانبار .

ب – تابعت قوة الاغارة انسحابها حتى وصلت الانبار ليلا ، فتجهز منها ، واصطحب الادلاء وتزود بالاطعمة واشاع انه يعتزم الذهاب الى المدائن ، وانطلق في مسيرته حتى وصل منتصف المسافة الى بغداد فقال لاصحابه :

---

(١) تاريخ الطبري ٣/٤٧٤ والتاريخ الكامل لابن الاثير ٢/٣٠٧ .

[من ينتدب للحرس] ؟

فتطوع من اراد ، واصدر المثنى اليهم تعليماته للاحاطة بالمعسكر وقال لهم :

[اذكوا حرسكم] .

ثم خاطب قوة الإغارة بقوله :

[ايها الناس ، أقيموا ، واطعموا وتوضأوا ، وتهيأوا] . ثم بعث الطلائع فحبسوا الناس ليسبقوا الأخبار(١)

تابع المثنى وقوة الاغارة التحرك في الربع الاخير من الليل ، ووصلت القوة قريباً من سوق بغداد ، فتوقف المثنى قليلا ، ووزع القوة وحدد لها واجباتها وقال لعناصر الاغارة :

[لا تأخذوا الا الذهب والفضة ، ولا تحملوا من المتاع الا ما يقدر الرجل منكم على حمله على دابته] .

اعطى المثنى شارة الانطلاق ، واندفعت قوة الاغارة ، وكانت مباغتة كاملة لحرس السوق بحيث لم يتمكنوا من استخدام اسلحتهم ، وقتل كل من حاول اعتراض افراد الاغارة . وجمعت الاسلاب ثم انسحبت قوة الاغارة بسرعة وتوجهت في اتجاه نهر السيلحين بالانبار وعندما وصلت قوه الاغارة الى النهر ، توقف المثنى ، وخاطب القوة المرافقه له بقوله :

[انزلوا ، واقضوا اوطاركم ، وتأهبوا للسير ، واحمدوا الله وسلوه العافية ثم انكشفوا قبيضاً] (٢) .

خلال فترة التوقف القصيرة سمع المثنى همساً يدور بين الجند حول احتمال قيام خصومهم بمطاردتهم واللحاق بهم فقال لهم المثنى :

[... انظروا في الأمور وقدروها ثم تكلموا ، انه لم يبلغ النذير مدينتهم بعد، ولو بلغهم لحال الرعب بينهم وبين طلبكم ، ان للغارات روعات تنتشر

---

(١) تاريخ الطبري ٣ / ٤٧٤ والتاريخ الكامل لابن الأثير ٢-٣٠٧ .

(٢) انكشفوا قبيضاً بمعنى استعدوا بسرعة للرحيل .

عليها يوماً الى الليل . ولو طلبكم المحامون من رأي العين ما أدركوكم وانتم على العراب (١) حتى تنتهوا عسكركم وجماعتكم ولو ادركوكم لقاتلتهم لاثنتين : التماس الاجر ، ورجاء النصر . فثقوا بالله واحسنوا به الظن] .

ثم اردف المثنى قائلا :

لقد سمعت من الخليفة وهو يوصي بشأن قوة الاغارة :

[ان نسرع الكرة في الغارات وان نقلل العرجة « المقام » ، ونسرع في غير ذلك الأوبة] .

عادت قوة الاغارة بعد ذلك الى الانبار فوصلتها دون صعوبة .

ج- من الاغارة الى مطاردة بني تغلب (٢) :

عندما وصل المثنى « الانبار » علم بتجمع من بني تغلب في « الكباث » فنظم ثلاثة مجموعات قتالية من الفرسان :

١ - المجموعة الأولى بقيادة المضارب العجلي .

٢ - المجموعة الثانية بقيادة زيد .

٣ - المجموعة الثالثة بقيادته .

- واطلق المثنى المجموعتين ، ثم كلف فرات بن الحيان لتسيير الامور خلال فترة غيابه وانطلق يتبع المجموعتين المتقدمتين من قواته .

وصلت القوة الى الكباث فوجدتها خالية ، وعلم المثنى ان بني تغلب قد غادروها منذ فترة قصيرة وان فارس العناب التغلبي يقوم على حماية المؤخرة .

انطلقت القوة في اثر قبائل تغلب ووصلت الى المؤخرة واشتبكت مع

---

(١) العراب من الخيل . الخيل العربية الاصيلة السليمة من الهجنة .

(٢) تاريخ الطبري ٣/٤٧٤ . والتاريخ الكامل لابن الأثير ٢/٣٠٦ .

فارس العتاب التغلبي في معركة قصيرة لم تزد عن ساعة من الزمن ثم هرب فارس العتاب وابيلت المؤخرة ، وضمت قوة الاغارة الاسلاب اليها ، وعادت الى الانبار فوزعت الاسلاب على المقاتلين وارسل الخمس الى بيت الله في المدينة .

د ـ البحث عن الطعام :

وجد المثنى عند عودته الى الانبار أن المواد الغذائية ، وخاصة اللحوم ، تكاد تكون مفقودة ، وارد انتزاع الطعام من قبضة خصومه ، فجهز قوة من الفرسان بقيادة فرات بن حيان وعتيبة بن نهاس . ووجهها الى صفين بمهمة الاغارة على قبائل تغلب والنمر واحضار الاطعمة ، وعندما وصلت قوة الاغارة الى صفين هربت القبائل وعبرت الفرات الى الجزيرة ونظمت المقاومة فيها .

تابع فرات وعتيبة مطاردتهما ، ثم باغتا قبائل النمر وتغلب ، ونجحت قوة الاغارة في قتل كل من جابهها ، وهرب افراد القبائل فطاردهما فرات وعتيبة وافراد قوة الاغارة واخذوا في القاء خصومهم في النهر ، فاخذ هؤلاء يصرخون [الغرق ـ الغرق] ويستنجدون لانقاذهم فاجاب فرات وعتيبة [تغريق ـ بتحريق] وهم يذكرونهم بذلك يوماً من ايام الجاهلية اغارت فيه تغلب على بكر بن وائل وأحرقتهما في غيضة من الغياض .

ثم عاد فرات وعتيبة بالغنائم الى الانبار .

علم المثنى من عناصر الامن الموزعة على قوة الجيش ما فعله فرات بن حيان وعتيبة من اغراقهما للرجال وقولهما تغريق بتحريق ، فكتب بذلك الى الخليفة عمر فاستدعاهما الى المدينة ، وسألهما عن الحادث ، فأعلماه انهما قالا ذلك على سبيل المثال ، فقط ، وانهما لم يفعلا ذلك بهدف طلب ثأر لحدث ايام الجاهلية ، فاستحلفهما عمر ، فحلفا انهما ما ارادا في ذلك الا المثل واعزاز الاسلام فصدقهما واعادهما الى المثنى .

هـ ـ اكرموا عزيز قوم :

ارسـل المثنى فرات بن حيان وعتيبة بن النهاس للاغارة على تغلب ونمر في صفين ثم نظم قوته على نحو يماثل كافة عملياته السابقة وكانت كالتالي :

المقدمـــة بقيادة حذيفة بن محصن الغلفاني .

المجنبتـــان ، النعمان بن عوف بن النعمان ومطر « وكلاهما من شيبان ».

ثم اصـــدر امره بتكليف عمرو بن ابي سلمى الجيهمي لتسيير الامور اثناء غيابه ، وانطلق على محور صفين ، وعندما وصلها وعرف امر هروب قبائل النمر وتغلب ترك فرات وعتيبة يتابعان مهمتهما وانطلق بحثاً عن الطعام لجيشه .

عـــثر المثنى اثناء مسيرته الليلة على قطيع من الابل تابع لاهل دياف وحوران يقوم على حراسته عدد من الخفراء فقتل الخفراء وبقي منهم ثلاثة احضرهم افراد جيش المثنى وكانوا من بني تغلب ، فهددهم المثنى بالقتل ان لم يرشدوه الى الموضع الذي يقيم به بنو تغلب ، فتطوع احدهم بعد ان اخذ لنفسه ولعائلته عهداً بالا يمسهم احد بسوء ورافق جيش المثنى ، وتوجه الجيش في مسيرة استمرت طوال النهار ، وعندما اقتربت قوة الاغارة من هدفها توقفت حتى مرور فترة من الليل ، ثم قامت بهجوم مباغت ، وابادت الرجال وهم في منازلهم ثم سبت النساء والاطفال واحاطت بالانعام والخيول والمواشي التي كانت تنتشر حول الماء ، وعادت بالغنائم ، وكانت كثيرة بحيث اصاب المقاتل خمسة انعام وخمساً من السبي بالاضافة الى خمس الفيء .

كـــان من السبايا قوم من « بني ذو الرويحلة » فافتداهُنّ المسلمون بما اصابهم من الفيء واطلقوا سراحهن ، ذلك لان ربيعة لم تكن تسبي عندما كان العرب يسبي بعضهم بعضاً ايام الجاهلية ، واكرم المسلمون سبي الرويحلـــة واعيد السبي الى اهله .

الوضع العام قبل معركة القادسية :

شعر قـادة الفرس بالخطر الذي يتهددهم نتيجة لتمزق الاسرة الساسانية وعدم ظهور شخصية قوية تستطيع السيطرة على الموقف ، فعقدوا مؤتمراً انتهى بتعيين يزدجرد بن شهريار بن كسرى ملكاً على الفرس .

كـان اول ما فعله يزدجرد هو اعادة تعيين القادة وتنظيم الجيش ، ثم دعم « المسالح » التي كانت على حدود فارس والتي كانت بمثابة مراكز مراقبة مسلحة هدفها المراقبة والانذار . ووجه بعد ذلك الجيوش لاحتلال الحيرة والانبار والأبلة .

عندمـا توفرت هذه المعلومات للمثنى ارسلها الى الخليفة عمر ، موضحاً خطورة الموقف .

لم تكن رسالـة المثنى قد وصلت الخليفة عندما ظهرت بواكير التمرد ، وارتد اهل سواد العراق سواء من كان منهم قد عقد صلحاً مع المسلمين أو من لم يفعل .

تجـاه هذا الموقف اصدر المثنى اوامره بالانسحـاب الى « ذي قار » بهدف حماية الجيش وانتظار اوامر الخليفة ، ووصل رد ابن الخطاب :

[اما بعد ، فاخرجوا من بين ظهري الاعاجم ، وتفرقوا في المياه التي تلي الاعاجم على حدود أرضكم وأرضهم ولا تدعوا في ربيعة احداً ولا مضر ولا حلفائهم احداً من أهل النجدات ، ولا فارساً الا اجتلبتموه فإن جاء طائعاً والا حشرتموه ، احملوا العرب على الجد إذا جـدّ العجم فتلقوا جدهم بجدكم] (١) .

ثم ارسل الخليفة عمر رسالة الى الأقطار وكان فيها :

[لا تدعوا احداً له سلاح أو فرس أو نجدة أو رأي الا انتخبتمـوه ثم وجهتموه الي ، والعجل العجل] (٢).

---

(١) تاريخ الطبري ٣/٤٧٨ .

(٢) أيام العرب في الاسلام ٢٣٢ – الطبري ٣/٤٧٩ .

وبدأت قوافل المقاتلين تصل من اليمن واطراف الجزيرة .

في اليــوم الأول من محرم سنة ١٤ هـ ، غادر الخليفة عمر المدينة وتوجه بالمقاتلين الى صرار بعد ان استخلف على المدينة علي بن ابي طالب ـ وكان الناس يجهلون ما يعتزم الخليفة ان يفعله ـ وفي صرار ، شرح ابن الخطاب الهدف وهو فتح العراق ، وابلغهم عزمه على قيادة الجيش ، فتصدى له كبار الصحابة والمخلصون ونصحوه ان يعدل عن المسير لما في ذلك من خطر على مستقبل الأمة ، واستطاع هؤلاء اقناع الخليفة بتعيين قائد للجيش ، وبدأ البحث عن القائد ، واستعرض ابن الخطاب في ذاكرته من يصلح لهذا الواجب فقال :

وجدته

وقيل له من هو ؟ فقال :

الاسد في براثنه ، الأسد عادياً ، سعد بن ابي وقاص .

واصدر الخليفة امره الى سعد بالحضور من هوازن وابلغه تعيينه لقيادة الجيش .

التحرك الى منطقة التجمع ، زرود، شراف :

اصــدر الخليفة اوامره الى سعد بن ابي وقاص بالتحرك الى زرود منطقة التجمع وقال له يوصيه .

[اذا انتهيت الى زرود ، فانزل بها ، وتفرقوا فيما حولها ، واندب مــن حولك منهم ، وانتخب اهل النجدة والرأي والقوة والعدة] (١) .

كــانت القوة التي غادر بها سعد منطقة صرار لا تزيد على اربعة آلاف مُقاتل .

وجــه بعد ذلك الخليفة عمر دعماً لسعد بن ابي وقاص يضم سبعة آلاف

---

(١) تاريخ الطبري ٣/٤٨٥ .

مقاتل من بني تميم والرباب وأسد ، وأمرهم التمركز ما بين الحزنة والبسطة اي بين زرود والعراق .

وعندمـــا شعر الخليفة عمر ان القوة اصبحت كافية لمجابهة موقف العمليات اصدر امره اليه بالتحرك الى منطقة الحشد في « شراف » وكتب له بعد ان دعمه بأربعة آلاف مقاتل من جند اليمن ونجد :

[اذا نزلت بشراف ، فعشر الناس ، وعرف بهم ، وأمر على اجنادهم وعبهم ،ومر رؤساء المسلمين فليشهدوا عليهم وقدرهم وهم شهود ثم وجههم الى أصحابهم وواعدهم القادسية ، واضمم اليك المغيرة بن شعبة في خيله . ثم اكتب الي بالذي يستقر عليه امرهم] (١) .

انتقـــل سعد بجيشه الى « شراف » وضم اليه المغيرة بعد ان كان قد ارسله في اتجاه « الأبلة » مكان البصرة حالياً ، بمهمة الاستطلاع والحماية . ونظم جيشه وفق توصيات الخليفة .

تابـــع الخليفة عمر استنفار القبائل وحشد المقاتلين وعندما بلغه تجمع ملوك الفرس وامرائهم واجماعهم على حرب المسلمين قال :

[والله لأضربن ملوك العجم بملوك العرب] .

ولهذا فانه لم يترك قائداً او مقاتلاً اوخطيباً او شاعراً او زعيماً الا حشده في المعركة واستمر سيل الدعم والامداد يتدفق على سعد بن ابي وقاص دونما توقف .

ارســـل سعد بن ابي وقاص رسالة الى المثنى بن حارثة يعلمه قدومه الى شراف ويطلب اليه الالتحاق به ، ومضت فترة ثم وصل المعنى بن المثنى . وسلمى بنت خصفة التيمية زوجة المثنى ، واعلمه بوفاة والده المثنى ثم شرح له سبب تأخره في الالتحاق به ، وهو التالي :

---

(١) تاريخ الطبري ٣/٤٨٧ .

ارســـل الازادمرد بن الاذاذية الى قابوس بن قابوس بن المنذر يطلب اليه التوجه الى القادسية بمهمة استثارة العرب ضد المسلمين وقال له :

[كن كما كان آباؤك] .

فتوجه قابوس الى القادسية وارسل رسالة الى بكر بن وائل بمثل ما كان النعمان يكاتبهم به من تهديد ووعيد . وعندما وصل المعنى ما فعله قابوس ، خرج ليلا من ذي قار الى القادسية ودخل عليه بيته وقتلهمع من كان في منزله ، وعاد اليه ثم سلمه رسالة والده الى سعد .

عـــين سعد قائداً لجيش المثنى ابنه المعنى وتزوج سلمى ، وكان نص رسالة المثنى اليه مماثلاً لوصية الخليفة عمر من حيث ضرورة اتخاذ ترتيبات الامن .

من شراف الى عذيب الهجانات :

انتهـــت مرحلة التنظيم في شراف فأرسل الخليفة تعليماته للتحرك الى القادسية وتنظيم القوات للمسير وبناء على هذه التعليمات ، تم تنظيم التحرك كالتالي :

الطلائع بقيادة اسود بن مالك بمهمة استطلاع العدو ، وحماية القوات المقدمة بقيادة زهرة بن عبدالله بن الحوية .

الميمنة بقيادة عبدالله بن معتم .

الميسرة بقيادة شرحبيل بن السمط الكندي .

المشاة بقيادة جمال بن مالك الاسدي .

الفرسان بقيادة عبدالله بن ذي السهمين .

المؤخرة «الساقة» بقيادة عاصم بن عمرو .

وقسم الطريق الى ثلاثة مراحل ، المرحلة الاولى حتى منتصف المسافة مـــن العذيب .

المرحلة الثانية حتى عذيب **الهجانات** .

المرحلة الثالثة حتى القادسية

ويصف احد المقاتلين موقف القوات عند الوصول الى عذيب **الهجانات** فيقول :

[وصلنا عذيب الهجانات في وجه الصبح ، وخرج زهرة بن الحوية لازالة مسالح الفرس ، وكانت العذيب مسلحاً من مسالحهم . واقتربنا من أحد المسالح فتبين لنا على بروجه أناساً ، فما نشاء ان نرى على برج من بروجه او بين شرفتين الا رأيناه وكنا في سرعان الخيل « أوائلها » فتوقفنا حتى تلاحق بنا كثف « جماعة » ثم اقدمنا فلما دنونا خرج رجل يركض نحو القادسية . فانتهينا فدخلناه ، فاذا ليس فيه احد ، واذ بذلك الرجل هو الذي كان يتراءى لنا على البروج وهو بين الشرف مكيدة ، ثم انطلق بخبرنا ، فطلبناه فاعجزنا ذلك ، وسمع بذلك زهره . فاتبعنا فلحق بنا وخلفنا وقال : ان افلت الربيء اتاهم الخبر . وادركه بالخندق فقتله] (١) .

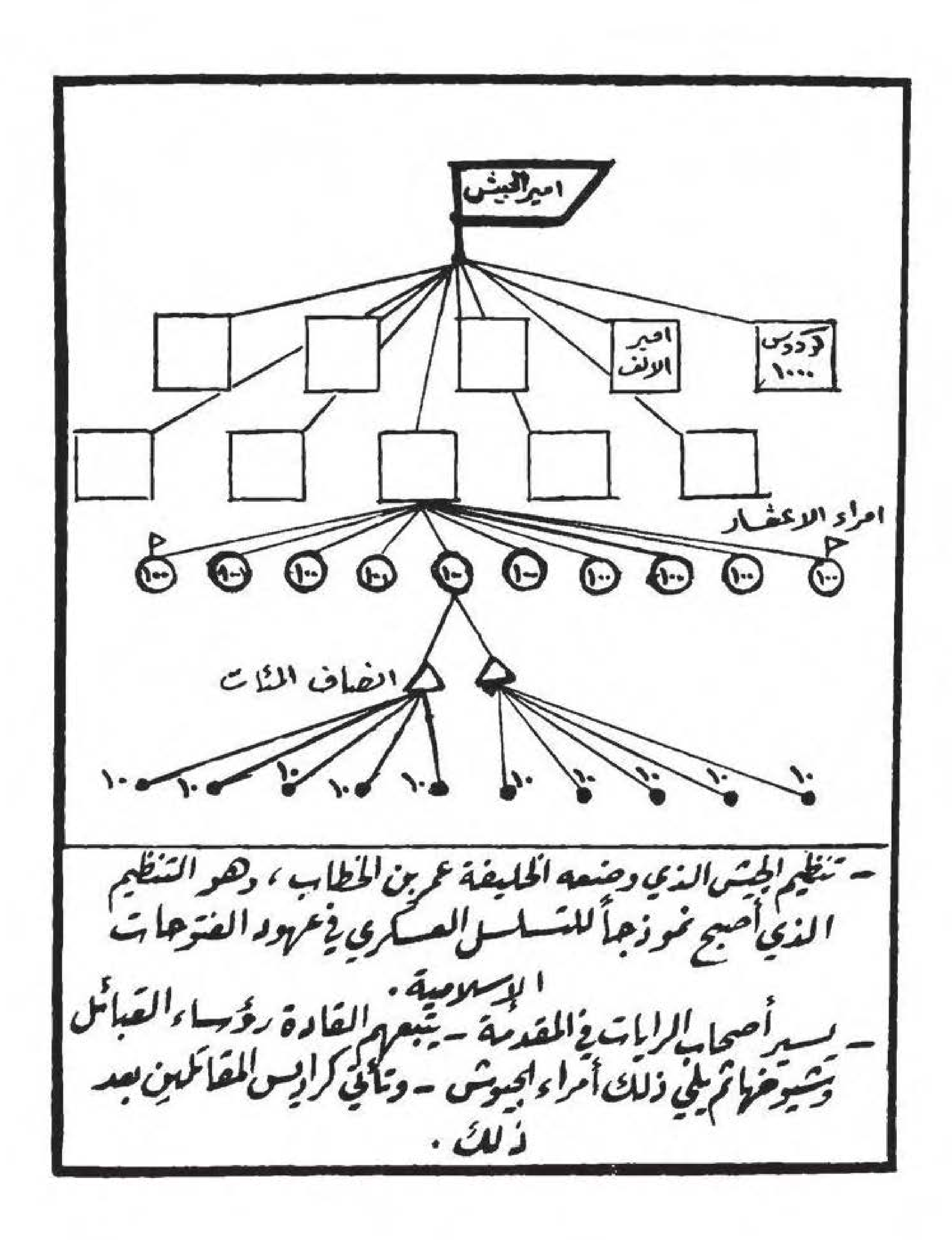
ووصل سعد بجيشه الى القادسية ، وبدأ بدراسة الارض وموقف السكان واستطلاع المناطق المجاورة وتبين له خطورة القلاع والتحصينات التي اقامها الفرس على امتداد الفرات لحماية دولتهم فارسل قوات لازالة المسالح وتدمير التحصينات والقلاع جميعها .

عندما وصل سعد القادسية وكتب الى الخليفة عمر يعلمه بذلك ارسل له الخليفة كتاباً طلب منه وصف الموضع فاجابه :

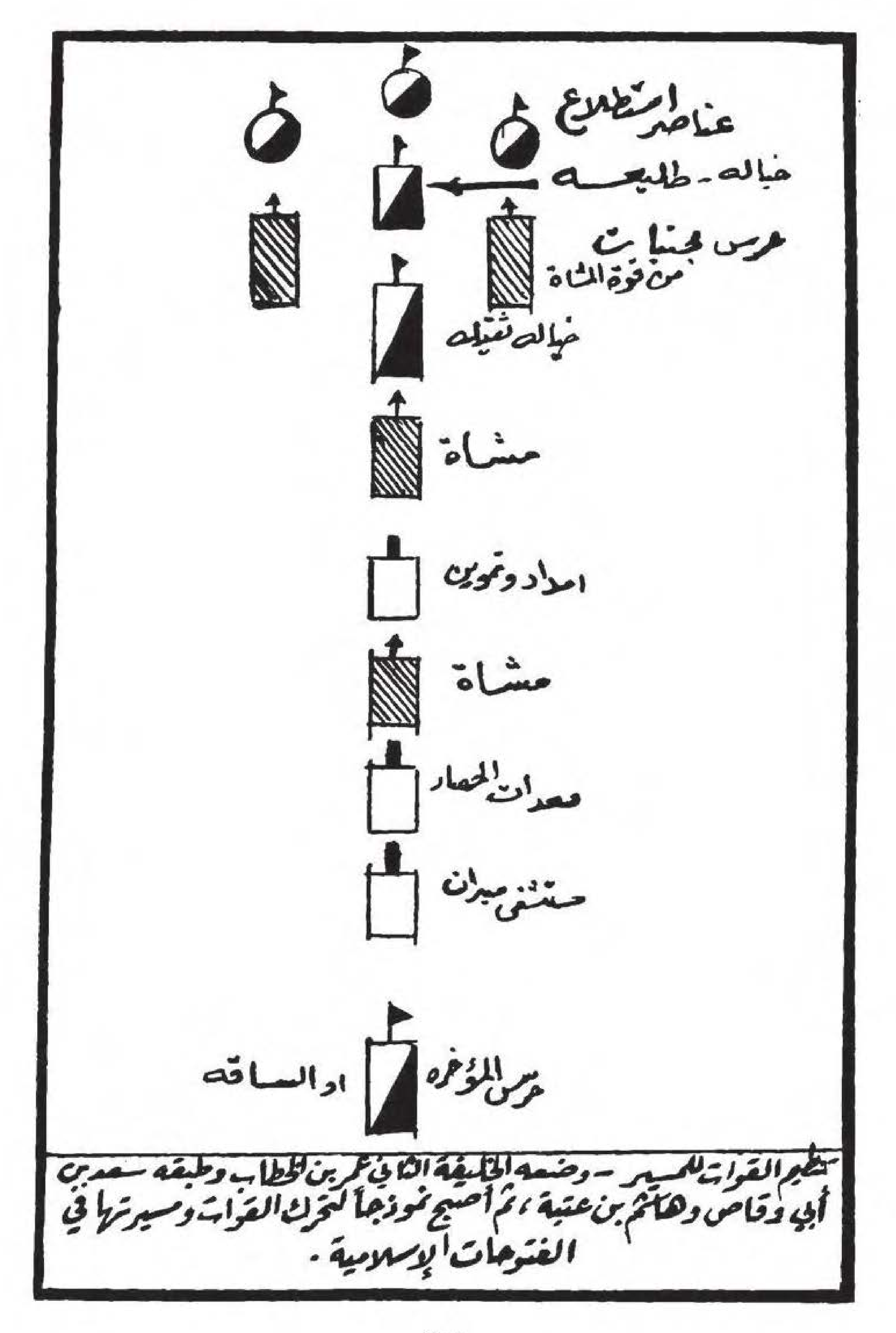
[القادسية – بين الخندق والعتيق ، عن يسار القادسية بحر اخضر في جوف لاح – اي ضيق – يمتد حتى الحيرة بين طريقين ، احدهما على الظهر ، اي داخلي ، وثانيهما على شاطىء نهر يدعى الحضوض ، وهو نهر بين القادسية

---

(١) تاريخ الطبري ٣/٤١٤ .



- تنظيم الجيش الذي وضعه الخليفة عمر بن الخطاب، وهو التنظيم الذي أصبح نموذجاً للتسلسل العسكري في عهود الفتوحات الإسلامية.
- يسير أصحاب الرايات في المقدمة - يتبعهم القادة رؤساء القبائل وشيوخها ثم يلي ذلك أمراء الجيوش - وتأتي كراديس المقاتلين بعد ذلك.



تنظيم القوات للمسير - وضعه الخليفة الثاني عمر بن الخطاب وطبقه سعد بن أبي وقاص وهاشم بن عتبة، ثم أصبح نموذجاً لتحرك القوات ومسيرتها في الفتوحات الإسلامية.

والحيرة ، يطلع بمن يسلكه ما بين الخورنق والحيرة ، اما عن يمين القادسية إلى الولجة فهو فيض من فيوض مياههم .

ان جميع من صالح المسلمين من اهل السواد قبلي إلبُ لأهل فارس . أي عون لهم ، قد خفوا لهم واستعدوا لنا ، فهم يحاولون إنفاضنا ، بمعنى اثارتنا واقحامنا ، ونحن نحاول انفاضهم وابرازهم ، وأمر الله بعد ماض ، وقضاؤه مسلم الى ما قدر لنا وعلينا ، فنسأل الله خير القضاء ، وخير القدر ، في عافية] (١) .

شعر الخليفة عمر بن الخطاب من خلال أسطر قائده سعد بن أبي وقاص ، ان الوضع خطر في العراق فارسل رسالة تضمنت توصياته ووعده بدعمه ، وفي هذه الفترة وصلت انباء هزيمة الروم في الشام ، فارسل الخليفة عمر رسالة الى أبي عبيدة يطالبه باعادة تنظيم الجيوش وتعويض الخسائر من جيش -البدال- الذي أرسله لهذه الغاية ، وتوجيه هاشم بن عتبة بعد ذلك والقعقاع بن عمرو لدعم سعد بن أبي وقاص في العراق .

عندما انتهت مرحلة اعادة التنظيم ، انطلق القعقاع على رأس المقدمة بقوة الف مقاتل ، ووضع على قيادة ميمنته قيس بن هبيرة وعلى قيادة الميسرة الهزهاز بن عمرو العجلي ثم تبعه في اليوم الثاني هاشم بن عتبه بن ابي وقاص على رأس قوة مكونة من خمسة آلاف مقاتل بعد ان كلف عمرو بن مالك الزهري بحماية الميمنة وربعي بن عامر بحماية الميسرة .

مسيرة الفرس الى القادسية :

تحـرك رستم عندما علم بمسيرة جيش المسلمين الى القادسية ، فحشد قوة مكونة من مائة الف مقاتل وسار بهم حتى وصل « ساباط » ما بين المدائن والقادسية ، ثم ما لبث ملك الفرس يزدجرد ان نقل مقر قيادته الى « ساباط » للاشراف على مسيرة اعمال القتال .

---

(١) معجم البلدان - ٨ - ٣٢٩ .

مكث جيش الفرس فـترة أربعة أشهر بهدف تحطيم الروح المعنويـة للمسلمين وإرغامهم على الدخول في المعركة وقيادتهم الى الحرب بالطريقة والمنطقة التي يريدونها ، إلا أن المسلمين التزموا بتوصيات الخليفة عمر ، فلم يغادروا ميدان المعركة الذي وقع اختيارهم عليه ، ولما ضاق رستم ذرعـاً بالمسلمين أرسل اليهم يطالبهم الإنتقال الى جوار معسكره ، فما كان من سعد ابن ابي وقاص إلا أن أرسل قوة اغارة على رأسها عاصم بن عمرو وجابر الاسدي ، واستطاعت قوة الاغارة أن تنزل بقوات الخصم ضربات عنيفة وتكبدهم خسائر فادحة مما أرغم الفرس على مغادرة منطقة حشدهم وقد داخلهم اليأس من اجتذاب المسلمين الى معركة في منطقة تشابه منطقة « الجسر » وايقـاع الهزيمة بهم .

تابع جيش الفرس تقدمه على امتداد نهر العتيق حتى وصل خفان القريبة من القادسية .

كـان لابد لسعد بن ابي وقاص قبل ان يبدأ القتال من اتباع السنة التي سنها الرسول الاعظم في حروبه ، فارسل وفداً الى كسرى مكون من النعمان بن مقرن ، وعمرو بن معد يكرب ، وعاصم بن عمرو ، والمغيرة بن شعبة وآخرين وجرت مساجلات ومناقشات مع يزدجرد كسرى الفرس ، ونفذ الوفد مهمته بأن طلب من خصمه اختيار واحدة من ثلاث :

١ – اتباع دين الاسلام . ٢ – دفع الجزية . ٣ – الحرب .

وتكررت الاتصالات ، ورفض الفرس الدخول في الاسلام او دفع الجزية ، ولم يبق الا الحرب .

مخططات الطرفين والاستعداد للمعركة .

كـان المخطط الاول للفرس هو جر المسلمين الى منطقتهم ثم حصارهم وتدميرهم ، إلا أن المسلمين افادوا من تجربة معركة الجسر ، والتزموا بتوصيات

الخليفة عمر ، فلم يغادروا منطقتهم ، وارغموا الفرس على الدخول في المعركة داخل المجال الذي وقع اختيارهم عليه .

نظم جالينوس قوة جيشه على الشكل التالي :

المقدمة .

قلب الهجوم وقوتها اربعون الف مقاتل ويقودها القائد جالينوس .

الميمنة ويقودها القائد الهرمزان .

الميسرة ويقودها مهران بن بهرام .

المؤخرة او الساقة وقائدها البيرزان .

افـــاد الفرس من قلة خبرة العرب في القتال ، وشهدوا المباغتة التي احدثها وجود الفيلة في معركة الجسر ، فعملوا على زج اعداد منها في معركتهم خلال اليوم الأول والثالث ، وكان عدد الفيلة ٣٣ ، وضع ١٨ منهم في القلب و ١٥ في الاجناب .

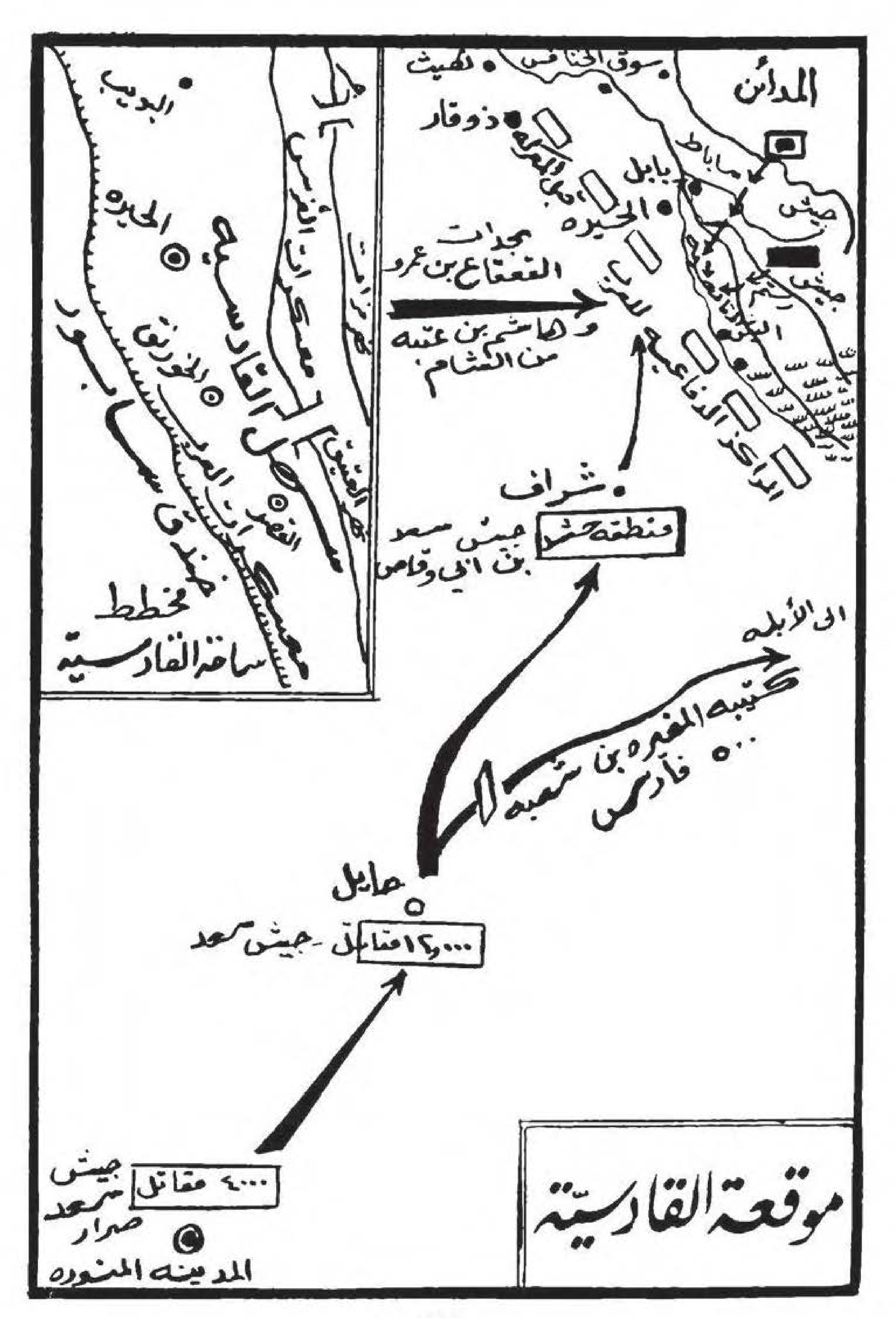
طبـــق في جيش المسلمين نظام الكراديس وقسم الجيش الى ميمنة وميسرة وقلب ، واعتمد المسلمون في التخطيط للمعركة على الفرسان كقوة ضاربة واجبها :

ا ــ دعم هجوم المشاة . ب ــ اجراء المطاردة .

جـ ــ عدم السماح للعدو بالتطويق او الاحاطة .

استـــدعى سعد بن ابي وقاص كبار القادة ، وطلب اليهم الاستعداد للمعركة ، واعطاهم التعليمات النهائية ، وكان من هؤلاء القادة : غالب وعمرو ابن معد يكرب ، الهزيل الاسدي ، بُسر بن ابي رُهم الجهني ، عاصم بن عمرو ، ربيع الاسدي ، ربعي بن عامر ، كما كان فيهم من الشعراء الحطيئة والشماخ ، وكان واجب الشعراء بالدرجة الاولى رفع الروح المعنوية للمقاتلين .

نظـــراً لاصابة سعد بن ابي وقاص بمرض جلدي يعيقه عن الإشتراك في المعركة فقد انتدب لقيادة الجيش خالد بن عرفطه ، واختار القائد سعد مكاناً



المدائن
ساباط
بابل
الحيره
ذو قار
نجدات
القعقاع بن عمرو
وهاشم بن عتبه
من الشام
شراف
منطقة حشد
جيش سعد
بن ابي وقاص
الى الأبله
كتيبه المغيره بن شعبه
٥٠٠ فارس
حايل
١٢,٠٠٠ مقاتل - جيش سعد
٤٠٠٠ مقاتل
جيش سعد
صرار
المدينه المنوره
الحيره
القادسية
الخورنق
مخطط
ساحة القادسية
موقعة القادسية

مرتفعاً يشرف على ميدان القتال ، واعلم القادة أنه سيقود المعركة بنفسه وانه سيرسل تعليماته واوامره اثناء سير القتال الى قائده خالد بواسطة الرقاع - الاوامر خطية - .

ميزان القوى بين الطرفين :

استمرت المعركة ثلاثة ايام وليلة . ووقعت خلال الايام الثلاثة خسائر كبيرة بين الطرفين ، كما وصلت قوات دعم لجيش المسلمين . ولهذا فقد كانت نسبة القوى بين الطرفين على النحو التالي :

قوات الفرس عند بدء المعركة	قوات المسلمين	ملاحظات
١٢٠,٠٠٠ مقاتل	٢٢,٠٠٠	وصلت قوات المسلمين في اليوم الثاني قوة الف مقاتل بقيادة القعقاع ووصلت قوات دعم في اليوم الثالث بقيادة هاشم عددها خمسة آلاف وخسرت قوات المسلمين في اليومين الفي مقاتل - في حين خسر الفرس عشرة آلاف - نسبة التوازن التقريبية خمسة مقابل واحد لصالح الفرس .

سير الاعمال القتالية :

انتظمت صفوف مقاتلي الفرس ، واستعد الجند للقتال ، ووقف جند المسلمين بالمقابل ينتظرون خصمهم حتى يكون هو البادىء بالهجوم وذلك بهدف تحطيم حدة هجومه وكشف نواياه قبل زج قوات المسلمين ، وكاد النهار ينتصف والفرس في مواقعهم، فقرر سعد بن ابي وقاص البدء والهجوم واعطى تعليماته لقائده خالد بن عرفطة ، وحدّد له شارة الهجوم على الشكل التالي :

١ – يكبر سعد بن ابي وقاص التكبيرة الاولى فيردد المسلمون جميعاً التكبيرة ويتخذون مواقعهم في الصفوف .

٢ – يكبر سعد التكبيرة الثانية ، فيحمل المقاتلون المسلمون اعتدتهم واسلحتهم وهم يرددون التكبيرة .

٣ – يكبر سعد التكبيرة الثالثة ، فينطلق الفرسان في صفوفهم المتراصة للبدء بالصدام وهم يكبرون .

٤ – يكبر سعد التكبيرة الرابعة ، فيتقدم جنود المشاة للقاء خصمهم .

واستمرت المعركة ثلاثة ايام حمل كل يوم منها اسماً خاصاً وكانت مسيرة العمليات كالتالي :

١ – يوم ارماث :

جلس سعد بن ابي وقاص في مقر قيادته المشرف على المعركة ، وانطلق المسلمون يصرخون صيحة الحرب « الله اكبر » والتحمت صفوفهم بصفوف الفرس وبدأت المعركة شرسة ، حارة مع ارتفاع شمس الظهيرة ، وشهد سعد بن ابي وقاص مجموعة من الفيلة تنطلق من الجناح الايسر للفرس فتصطدم بالجناح الايمن للمسلمين ، وتصمد صفوف قبيلة « بجيلة » ولكنها لا تستطيع الوقوف طويلا في مجابهة هذا السلاح الجديد ، وتأخذ الفيلة في اثارة الذعر بين الصفوف ، وتفر الخيول ، وتكاد الميمنة تنكشف للفرس ، ويستنجد عمرو ابن العاص بقبيلة طليحة بن خويلد الاسدي فيقف طليحة في قومه ويقول :

[يا عشيرتاه ، لو علم سعد ان احداً أحقُ باغاثة هؤلاء منكم استغاثهم ، فانما سميتم اسداً لتفعلوا فعله ، شدوا ولا تصدوا ، وكروا ولا تفروا ، شدوا عليهم باسم الله] .

وتندفع قبيلة اسد ، ويلاحظ سعد من موقعه الفيلة وقد اخذت تعمل تقتيلا في الجناح الايسر لقواته ، فيرسل الى الرماة اوامره :

[ذبوا ركبان الفيلة عنها بالنبل] .

وتنطلق السهام فتصيب مقاتلي الفرس ممن يقودون الفيلة ويوجهونها ، وتصبح الفيلة عمياء لا تعرف اين تتوجه ، ويرسل سعد الى فئة من المقاتلين باوامره :

[استدبروا الفيلة ، واقطعوا وجنتيها] .

وتسللت فئة المغاوير من خلف الفيلة فاعملوا في وجنات الفيلة قطعاً وتمزيقاً ، وسقطت الصناديق التي كان يحتمي بها المقاتلون وانطلقت الفيلة تحطم في طريقها ركبانها ودبت الفوضى ، وانطلقت الفيلة تسير في كل اتجاه .

استمرت المعركـــة ضارية ، شرسة ، عنيدة ، وسارت ساعات النهار متباطئة ، وغربت الشمس اخيراً وتوقف القتال .

انصرف المسلمون لتضميد جراحهم ، ودفن قتلاهم ، واعادة تنظيم صفوفهم ، وتأمين متطلباتهم الادارية ، انهم لم يحققوا نصراً في نهارهم ، الا انهم استطاعوا احباط مخطط خصمهم في احراز نصر حاسم بواسطة السلاح الذي زج به في المعركة وهو الفيلة .

٢ ـ يوم اغواث :

بـــدأت المعركة منذ الساعات المبكرة للنهار ، ولم تكد حرارة القتال ترتفع حتى كانت امواج الغبار تنطلق الى السماء مبشرة بقدوم نجدات تدعم جيش المسلمين ، وظهرت اول مجموعة من المقاتلين بقيادة القعقاع بن عمرو .

كان القعقـــاع قد غادر الشام في تنظيم المسيرة ، وعندما اقترب مـــن سهل القادسية ، قسم فرسانه وقواته على مجموعات كل واحدة منها تضم مئة فارس واعطاهم تعليماته بالتقدم على فواصل متباعدة حتى الوصول الى ميدان المعركة ، وهكذا شهد الافق دوامات مستمرة من الرمال المتصاعد ، وشهد ميدان القتال دماً جديداً وقوة متماسكة تندفع اليه طوال النهار ، وظن الفرس ان جيش المسلمين قد دعم بقوات كبيرة في حين لم يكن عدد افراد قوة الدعم يزيد على الف فارس .

كان اول ما فعله القعقاع بن عمرو لدى وصوله ميدان القتال طلب المبارزة فبرز له القائد الفارسي ذو الحاجب الذي كان قد هزم المسلمين في معركة الجسر ، وما هي الا جولة حتى اصاب سيف القعقاع مقتلاً من خصمه وسقط ذو الحاجب تحت اقدام القعقاع وارتفعت الروح المعنوية للمسلمين في حين اصيب الفرس بتدهور في روحهم المعنوية .

استمرت المعركة طوال النهار ولم يحرز اي طرف فيها نصراً حاسماً على خصمه .

انتهت معركة اليوم الثاني بغروب الشمس ، واخذ المسلمون في احصاء خسائرهم ، فكان مجموع قتلاهم الفي قتيل في حين وصلت خسائر الفرس حتى عشرة آلاف قتيل . وافاد المسلمون من ظلمة الليل لاعادة تنظيم قواتهم وتنظيم شؤونهم الادارية والاستعداد لليوم الجديد .

٣ – يوم اعماس :

لاحظ القعقاع بن عمرو الأثر النفسي الذي تركه وصول قواته على موجات متعاقبة طوال النهار فارسل مراسلا يبلغ هاشم بن عتبة بن ابي وقاص تطبيق الاسلوب ذاته . ووقف هاشم فقسم قواته المكونة من خمسة آلاف جندي الى مجموعات كل واحدة منها تضم مئة مقاتل ، وأخذت افواج المسلمين تصل المعركة على التتابع فتحول ميدان القتال الى ما يشبه البحر الهائج بامواجه .

بدأت المعركة منذ الصباح المبكر . واخذت حرارتها ترتفع مع ارتفاع حرارة شمس النهار ، وعند الظهيرة عاود الفرس زج الفيلة ، وكان يتقدمها فيل ابيض كبير تميز عن رفاقه بالوحشية ، واخذ فرسان المسلمين يسقطون تباعاً ، كما انطلقت الخيول تهرب من امام الفيلة ، واستعلم سعد بن ابي وقاص من احد جنود الفرس الذين دخلوا في الاسلام عن الموضع القاتلة للفيلة فقيل له : عيونها وخراطيمها .

ارســل سعد بن ابي وقاص تعليماته الى مجموعة من المغاوير بتركيز الضربات على خراطيم الفيلة وعيونها وضرب احدهم الفيل الابيض ، فاصاب منه مقتلا ، فاهتاج الفيل وتوجه نحو النهر ، وتبعته بقية الفيلة ، وتخلص المسلمون من هذا السلاح الذي كان يعترض سبيلهم .

استمرت المعركــة حتى المساء دونما هوادة أو توقف ، وقد أعطى وصول قوات هاشم المستمر الى ميدان المعركة زخماً قوياً ، اثار الحماسة ، وصاعد من حدة القتال .

٤ ـ الاغارة الليلية :

عندمــا هبط الليل وتوقف القتال ، ارسل سعد بن ابي وقاص طليحة بن مزيد ، وعمرو بن معد يكرب بمهمة استطلاع المخاضة الجانبية الواقعة إلى جنوب ميدان القتال ، وذلك خشية أن يستخدمها الفرس للفيلة بحركة تطويق تصل بهم الى ما وراء معسكر المسلمين ، وانطلق الفارسان مع قواتهما الى المخاضة ، وعندما لم يشهدا اثراً للعدو تابعا تقدمهما واذا بهما الى الخلف من معسكر قوات الفرس .

اطلــق فرسان طليحة وعمرو صيحة الحرب ، وارتفع صوت « الله اكبر » يمزق سكون الليل واسرع الفرس الى مواقعهم بعد ان ادركوا ان المسلمين سيباغتونهم بهجومهم من الخلف وظن مقاتلوا المسلمين ان الفرس سيباغتونهم بهجوم ليلي فانطلقوا الى مواقع القتال ، ونادى القعقاع بالمسلمين ، وقام بالهجوم على الفرس ، وأخذت رحى المعركة تتزايد فتطحن برحاها المقاتلين ، واستمرت الحرب طوال الليل دون توقف او هوادة ، واشرقت الشمس وقوات الفرس قد ارهقها التعب ونال منها الجهد بعد ايام ثلاثة ولياليها في قتال مستمر .

عــرف القعقاع بن عمرو ما أصاب خصمه ، فنظم هجومه الحاسم الذي استهدف ميمنة الفرس وميسرتهم ، ونجح الهجوم المنظم بتحطيم الأجنحة

وأخذت قوات المسلمين تتدفق الى ما وراء قلب قوات الفرس . وشاهد القعقاع خيمة رستم فانطلق يبحث عنه ولكنه لم يعثر عليه . وبينما كان واحد من مقاتلي المسلمين وهو هلال بن علقمة يندفع في قتاله اذا به يشهد مجموعة من البغال المحملة فضرب احمال واحد من البغال وسقطت الصناديق وظهر منها فارس ما كاد يصل الارض حتى انطلق في اتجاه النهر يبحث عن طريق للهرب من المعركة . وعرف فيه هلال شخص رستم من خوذته ولباسه فانطلق في أثره ، ونزل رستم في النهر فتبعه هلال حتى منتصف النهر وتماسك الاثنان وتمكن هلال من خصمه فقتله ورفع رأسه على سيفه وصاح :

[قتلت رستم ورب الكعبة] .

وترددت الصيحة في صفوف الفرس فانهارت قوتهم المعنوية وشعر جالينوس باقتراب النهاية ، فأمر جنوده بعبور جسر كانوا قد اقاموه من المحطومات والردم ، إلا أن هذا الجسر لم يلبث أن انهار وتداعى ، وأخذ جنود الفرس الهاربون من السيوف يسقطون في النهر فتصرعهم المياه . وغرق من جند الفرس ٣٠,٠٠٠ مقاتل ، وتابع الفرار كل من وجد اليه سبيلا . وحقق جند المسلمين النصر على خصومهم . وكلف زهرة بن عبدالله بالمطاردة فتابع قوات الفرس حتى ادرك جالينوس وقتله .

الدروس المستفادة من معركة القادسية :

عرف مولتكه الاستراتيجية بقوله :

[الاستراتيجية هي في توزيع مختلف الوسائط العسكرية واستخدامها لتحقيق هدف السياسة] .

واعتمد اللواء الركن مصطفى طلاس الكلمات التالية وصفاً للاستراتيجية العليا حيث قال :

[هي من اعداد الحرب وادارتها ، لتحقيق نصر لا يتعارض مع سلم مقبل] .

اذا اخـذنا بالتعريفين المذكورين من بين مجموعة غير محدودة من التعاريف ، وحاولنا دراسة معركتي اليرموك والقادسية على ضوئهما ، نجد ان المعركتين المذكورتين نموذجاً رائعاً لتطبيق استراتيجية الحرب .

لقـد جرت وقائع المعركتين في تواقت واحد ، وطبقت فيهما مبادىء متماثلة مما جعل منهما نموذجاً لوضوح الفكر الاستراتيجي العربي الاسلامي في تصميمه وتنفيذه .

١ – في توزيع القوى ، وتحديد الافضلية :

كـانت معارك الاسلام داخل الجزيرة محدودة باهدافها ، محدودة في ابعادها ، محدودة في اساليبها ، وكانت الكتلة البشرية التي يتم زجها في المعركة نتيجة لذلك محدودة ايضاً . ولقد فرض واقع الفتوحات خارج الجزيرة تغييراً جذرياً في الفكر الاستراتيجي وفي اسلوب العمل .

ارسـل الخليفة ابو بكر جيشه لفتح الشام ، وأتبعه بجيش آخر لفتح العراق وحدث تطور بالمعركة ، وظهر ان الامكانات المخصصة لتحقيق الهدف غير كافية . وهنا تظهر عبقرية الفكر الاستراتيجي الاسلامي بتوجيه اربعة جيوش الى الشام واعطائها الاولوية مع تجميد جبهة العراق وسحب قسم من قوتها لدعم الجبهة الرئيسية ، كما اعطيت التعليمات بتركيز الجهد الرئيسي من اجل فتح دمشق واعطاء مدينة حمص الافضلية الثانية بهدف تحقيق مبدأ الاقتصاد بالقوى ويعتبر تطبيق هذه المبادىء الاستراتيجية هو العامل الاول فيما حققه المسلمون من نصر على الروم .

عندمـا استقر الامر في الشام للمسلمين ، اصدر الخليفة عمر تعليماته بتحويل مركز ثقل الهجوم الى العراق ، وتوجيه القوات الكافية لذلك ، وبذلك امكن تحقيق الهدف من الحرب .

وقـد يكون غريباً على العقل البدوي استيعاب هذه المبادىء بما اشتملت

عليه من عمق واتساع ، الا ان الايمان بالقضية ، ووجود الاحساس السليم ، او الحاسة السادسة ، قد مكنت القادة من ادراك ابعاد ما يهدفون إليه وتحديد الامكانات والسبل الكفيلة بتحقيق الهدف والتصميم .

٢ ــ اقامة علاقات عامة جديدة وتنظيمها :

لقــد فتحت للمسلمين بانتهاء معركتي اليرموك والقادسية أقاليم جديدة، ولما كان الهدف من الحرب هو اقامة سلم دائم ، فقد حرص القادة المسلمون على تنظيم العلاقات العامة في المجتمع ، ومحاولة اكتساب الرأي العام، وضم اكبر كتلة من الجماهير الى صفوف المسلمين ، وقد اتخذت اجراءات كثيرة لتحقيق هذه الغاية وقد اتصفت هذه الاجراءات بمجموعة من الصفات اهمها : ١ ــ العدالة . ٢ ــ ازالة الفوارق عملا بالآية ــ لا فرق لعربي على أعجمي الا بالتقوى . ٣ ــ الالتزام بنصوص اتفاقيات الصلح . ويمكن ذكر حادثة وقعت في العراق نموذجاً لاسلوب العرب المسلمين في اقامة العلاقات العامة .

لاحظ سعــد بن ابي وقاص ان اولئك الذين اشهروا اسلامهم اثنــاء الفتوحات والعمليات السابقة لا زالوا يضمرون الولاء للفرس . وخشي سعد ان ينضم هؤلاء الى الفرس اثناء معركة القادسية أو يقدموا دعماً فعالاً لجيش الفرس ، فارسل المفارز لجمع الفلاحين من حقولهم والسكان من منازلهم وارسل يبلغ عمر بن الخطاب بذلك ، فما كان من الخليفة عمر الا ان ارسل اليه رسالة يطلب فيها اطلاق سراح المحتجزين مع استمرار مراقبتهم وتوقيع العقاب على من يرتد منهم وفقاً لمعاهدات الصلح المبرمة معهم .

اذا انتقلنــا بعد ذلك الى مسيرة العمليات فاننا نلاحظ تطبيق العرب المسلمين لمباديء الحرب ، ووضوح الفكر العربي الاسلامي في تطبيق هذه المباديء .

١ ــ المركزية في القيادة :

تركزت السلطــة ايام المسلمين في قبضة الخليفة ، واذا ما عرفنا القيادة

انها اتخاذ القرار المناسب وتخصيص الإمكانات اللازمة له وتنفيذه في الوقت المناسب فاننا نجد ان القادة من المسلمين كانوا نماذج رائعة للقادة ويظهر ذلك من خلال ما يلي :

جمـــع المعلومات الدقيقة ، وتحليل هذه المعلومات ، وتكوين صورة اجمالية للموقف .

تقـــدير قوة الخصم وقوة جيش المسلمين وقدرتها على تنفيذ الواجبات المحددة لها .

اتخـــاذ القرارات المناسبة سواء بالنسبة للتعبية العامة وحشد القوات او بالنسبة لتحريك هذه القوات حتى مناطق الحشد . او بالنسبة لزج القوات في القتال

٢ ــ المحافظة على الهدف :

لقـــد حرص عمرو بن العاص على تحقيق الهدف المحدد له، وهو احتلال العراق ، فاتبع كافة السبل لتحقيق ذلك ، واجرى دراسة دقيقة لمسرح القتال، كما عمل على اجراء دراسة نفسية السكان .واتخذ من التدابير ما هو ضروري في سبيل اعداد وتهيئة الظروف المناسبة للحرب ، فازال المعاقل ، ودمر الحصون التي قد تستخدم جيوباً جانبية للمقاومة تعيق عليـــه تحركاته ومن الملاحظ ان الفرس لم يستطيعوا اجتذابه او اغراءه للسير في مخططاتهم بل بقي مخلصاً للهدف المحدد له حتى ارغم خصمة على الدخول في المعركة التى حدد هو مكانها .

٣ ــ امن العمليات :

لعـــل ابرز ظاهرة في معركة القادسية هي اتخاذ ترتيبات الأمن بداية من التحرك ونهاية بالمعركة ، والتنظيم للقتال ، وتعتبر التنظيمات والاجراءات التي فرضها عمر بن الخطاب ونفذها سعد بن ابي وقاص نموذجـــاً للفكر الاسلامي العربي ايام الفتوحات العربية ومن اوضح هذه الاجراءات :

ا ــ وضع تنظيم للمسير يكفل مباغتة العدو وعدم الوقوع في كمين قد يضعه العدو اثناء اقتراب المسلمين من هدفهم مع توفر الشروط المناسبة حتى تستطيع

الكتلة الرئيسية من القوات اتخاذ تشكيل القتال والدخول في المعركة ضمن أفضل الظروف .

ب ـ اتخاذ ترتيبات أمن اثناء التوقف بوضع الحراسة وإرسال مفارز الاستطلاع وتحديد الواجبات لهذه المفارز بدراسة الارض ، والعدو ، ووضع السكان .

ج ـ وضع تنظيم للقتال يستطيع مجابهة تنظيمات العدو ، واجراء المناورة اللازمة بالقوات وتوفير شروط الامن .

٤ ـ التوسع في مبدأ تحرك القوات :

يعتبر تحرك خالد بن الوليد من العراق الى الشام نموذجاً رائعاً لتطبيق مبدأ تحرك القوات ، ثم جاء بعد ذلك تحرك القعقاع بن عمرو ، وهاشم بن عتبة ترسيخاً لمفهوم العرب المسلمين في تحريك القوات من جبهة قتال الى جبهة قتال آخر .

لقد كان تحرك القوات الاسلامية على محاور طويلة نموذجاً للمرونة التي يجب ان يتّصف بها التحرك للقتال ، والواقع ان المرونة في التحرك والسرعة في تنظيم المسير وتنفيذه هي من أهم الميزات التي انفرد بها الجيش العربي الاسلامي خلال فتوحاته والذي يشابه الى حد بعيد ، مع الفارق في الوسائل والامكانات ، ملامح الحرب الصاعقة التي طبقتها المانيا النازية في بداية الحرب العالمية الثانية .

٥ ـ استخدام الاسلوب الهجومي في الحرب :

الهجوم هو الوسيلة الحاسمة لانهاء الحرب ، وقد ادرك سعد بن ابي وقاص ذلك ، فصمم على استخدام كل الوسائل لارغام خصمه على الدخول في معركة تصادمية ـ جبهية . ومن المعروف عن سعد بن ابي وقاص انه ضاق ذرعاً بالفرس عندما تجمعوا ومكثوا اربعة اشهر قبل ان يضطروا اخيراً الى الدخول في المعركة .

كمـــا تميزت معارك المسلمين في القادسية ، وقبل ذلك في اليرموك والشام بتطبيقها لمبدأ الهجوم المستمر ، من اجل تدمير العدو ، والافادة من كل فرصة لارغام الخصم على الدخول في معركة حاسمة .

٦ ـ الاقتصاد بالقوى :

كان ميزان القوى في غير صالح المسلمين . ولهذا حرصوا باستمرار على تركيز قواتهم وتجميعها وعدم الدخول في معارك جانبية او ثانوية قد تستنزف جهدهم قبل الدخول في المعركة الرئيسية ويلاحظ في معركة القادسية ان عمرو ابن العاص قرر اتخاذ الاجراءات التالية :

ا ـ ضم قوات المثنى بن حارثة الشيباني الى قواته .
ب ـ ضم قوة المغيرة بن شعبة وفرسانه الى قومه .
ج ـ الافادة من العناصر التي أسلمت حديثاً في العراق واشراكها في المعركة.
د ـ عدم ارسال القوات حتى مسافة بعيدة تجعلهـــا معزولة عن القوى الرئيسية .
هـ ـ تصفية كل جيوب المقاومة حتى لا يضطر الى تخصيص قوات لها .

٧ ـ حشد القوى :

لعـــل الظاهرة المميزة لمعركة القادسية هي اسلوب تحرك القوات وتخصيص مناطق للحشد ، ووضع أسلوب لتنظيم التموات في منطقة الحشد .

لقـــد كان التقسيم العشري للجيش في معركة القادسية من ابرز الشواهد على تصميم المسلمين من اجل تطوير جيوشهم وجعلها قادرة على تلبية متطلبات المعركة الحديثة ، وقد سبق العرب المسلمون بهذا الاسلوب غيرهم في هـذا المجال الذي اصبح الاساس في تنظيم الجيوش حتى ايامنا هذه ، وكان من اول نتائج هذا التنظيم ايجاد سلم التسلسل العسكري وما يعقبه من تحديد للواجبات والمسؤوليات .

امــا في مجال اختيار مناطق الحشد فيمكن اعتبار القادة المسلمين من الرواد الأوائل الذين وضعوا نظام مناطق الحشد، وما يجب ان يتوفر بها من شروط أمنية وحياتية مع ما يجب ان يتخذ فيها من اعمال واجراءات استعداداً للقتال .

٨ ـ المباغتة :

حــاول الفرس في معركة القادسية مباغتة المسلمين بادخال اسلحة جديدة ، كما حاول المسلمون البحث عن وسيلة للمباغتة ، حتى استطاعوا تحقيق المباغتة المكانية في التسلل الى ما وراء معسكر الفرس وتوجيه ضربة حاسمة ، ومما لا ريب فيه هو ان المباغتة المكانية والصمود في المعركة هما من العوامل الرئيسية التي مكنت جيش سعد بن ابي وقاص من ايقاع الهزيمة بخصومهم .

٩ ـ التمويه العملياتي :

تميزت معركــة القادسية بظاهرة جديدة في دخول القوات ميدان القتال .

لقــد اقتحم القعقاع بن عمرو ميدان القتال بعد ان قسم قواته الى مجموعات وكذلك فعل هاشم بن عتبة في اليوم الثالث مما حمل الفرس على الاعتقاد ان هناك جيوشاً جرارة تتقدم لدعم قوات المسلمين ، وانه لا قبل لهم بالوقوف امام هذه الجيوش الكبيرة، وكان لذلك اثره النفسي في تحطيم ارادة القتال عند الفرس وانسحابهم من المعركة .

الروح المعنوية :

كــانت الروح المعنوية العالية هي العامل الاساسي والحاسم فيما حققه المسلمون من نصر على الفرس .

لقــد دخل المسلمون المعركة وهم يعرفون انهم قلة في مجابهة عدوهم .

وبوغــت جيش سعد بهجوم الفيلة الا انه صمد للمباغتة وتلمس الطريق لاحباطها .

ان الــروح المعنوية في الحرب ــ وكل حرب ــ هي الدعامة الاولى للجيش في قتاله ضد اعدائه ، وقد تمثلت هذه الروح بأوضح صورها خلال المفاوضات التي اسبقت المعركة وقد استمدت هذه الروح معينها من :

[الايمان بالقضية ، قضية نشر لواء الاسلام] .

الثقة بالقائد ، وضرورة تنفيذ اوامره .

الثقــة برفاق السلاح وضرورة التضامن وروح الغيرية دونما حدود مما تميز به الانسان العربي .

الكفاءة البدنية :

استمرت معركة القادسية ثلاثة ايام بلياليها .

وتحركــت أرتال المسلمين من الشام الى العراق ، ودخلت المعركة فوراً ، ولا ريب أن مرحلة المسير الطويلة ، والدخول في المعركة ، يتطلب كفاءة بدنية عالية . ولقد كانت القسوة والصلابة وتحمل المشاق هي من الطابع المميز للجندي العربي .

لقــد وصل الجيشان المقتتلان في نهاية المعركة الى مرحلة واحدة مــن الاجهاد وهنا تظهر ميزة الجيش الأكثر ايماناً بقضيته ، والأكثر صلابة في تحمل المشاق وإن الإيمان والصلابة هي التي مكنت جيش المسلمين من الصمود لفترة اكثر فكان لهم النصر .

قال عمرو بن شماس الاسدي في يوم ارماث ، وكانت أسد في هذا اليوم (١) مكلفة « بالرده » الاحتياط والحماية ، فقتل منها ٥٠٠ مقاتل :

جلبنا الخيل من أكناف نيق ... الى كسرى فوافقها رعالا (٢)
تركن لهم على الاقسام شجواً ... وبالحقوين اياماً طوالا
وداعية بفارس قد تركنا ... تبكّي كلما رأت الهلالا
قتلنا رستماً وبنيه قسراً ... تثير الخيل فوقهم الهيالا
تركنا منهم حيث التقينا ... فئاماً ما يريد وان ارتحالا (٣)
وفر البيرزان ولم يحامي ... وكان على كتيبته وبالا
ونجى الهرمزان حذار نفس ... وركض الخيل موصله عجالا

وقال القعقاع بن عمرو(٤) :

حَضَّضَ قومي مضرحيُ بن يعمري ... فلله قومي حين هزوا العواليا
وما خام عنها يوم سارت جموعنا ... لأهل قديس يمنعون المواليا
فان كنت قاتلت العدو فللته ... فاني لألقى في الحروب الدواهيا
فيولاً أراها كالبيوت مغيرة ... أسمّلُ اعياناً لها وماقيا .

واصيب علباء بن جحش العجلي يوم ارماث بضربة سيف مزقت بطنه واخرجت احشاءه ، فصرخ من يعينني ؟ واقبل عليه مقاتل وأعانه على اعادة احشاءه فامسك علباء بصفاق بطنه يضغطه بيده واستل سيفه واندفع يقول :

ارجو بها من ربنا ثواباً ... قد كنت ممن احسن الضرابا (٥)

---

(١) التاريخ الكامل لابن الأثير ٣٢٧/٢ . تاريخ الطبري ٥٤٢/٣ .
(٢) رعالا : جماعة من الخيل .
(٣) الفئام : الجماعة من القوم .
(٤) التاريخ الكامل لابن الاثير ٣٣٣/٢ . تاريخ الطبري ٥٤٠/٣ .
(٥) التاريخ الكامل لابن الاثير ٣٢٩/٢ . تاريخ الطبري ٥٤٣/٣ .

القسم الثاني

الفصل الثاني

- العمليات على الجبهة الشرقية (فارس)
- المرحلة الاولى -
- من القادسية الى نهاوند -

« كم تركوا من جنّات وعيون
وزروع ومقام كريم
ونعمة كانوا فيها فاكهين
كذلك وأورثناها قوماً آخرين»

صدق الله العظيم

- الوضع العام
- يوم بابل ١٤ هـ
- يوم بهرسير ١٤ هـ
- يوم المدائن ١٤ هـ

- يوم جلولاء ١٦ هـ
- يوم تكريت ١٦ هـ
- يوم ماسبذان ١٦ هـ
- يوم قرقيساء ١٦ هـ
- يوم الاهواز ١٦ هـ
- يوم طاووس ١٧ هـ
- يوم تستر ١٧ هـ
- يوم الفرس ١٧ هـ
- معركة نهاوند « فتح الفتوح » ؟



معركة نهاوند «فتح الفتوح»

١٩ هـ - ٦٣٩ م

الوضع العام قبل المعركة

بعـــد هزيمة الفرس في القادسية ، اصدر الخليفة عمر بن الخطاب تعليماته بالتوقف عن متابعة العمليات القتالية . ومن المحتمل ان يكون المبرر لذلك ما يلي :

١ - سقوط عدد كبير من قتلى المسلمين في معارك فتوح الشام والعراق ، وخشية الخليفة عمر على العنصر العربي من الانهيار وهو الذي يقع عليه واجب حمل الرسالة ونشر الاسلام .

٢ - ضرورة التوقف . لفترة ، من اجل اعادة تنظيم الاقاليم التي تم فتحها ، وترسيخ جذور الدين الاسلامي فيها ، واعدادها حتى تكون قاعدة امنية للعمليات المقبلة .

٣ - توفير الجهد على جبهة الشمال . من اجل تركيز الجهد على المحور الغربي ، ومتابعة العمليات لفتح مصر .

٤ - انشاء جيل مؤمن في الاقاليم المفتوحة ، وتكليفه بحمل الامانة ونشر الدعوة الاسلامية .

لاحظ الخليفـــة عمر خلال الاعوام التالية . ان اقليم العراق في تقلب مستمر بين الولاء للعهد الجديد والتنكر له ، بين دعم العهد الجديد وبين العمل على تقويضه ، بين التسليم له وبين الثورة عليه . وأقلق هذا الوضع المضطرب الخليفة عمر فجلس في يوم الى وفد من اهل البصرة واخذ يتحدث معهم ثم طرح سؤاله بصورة مباغتة :

[لعل المسلمين يغضون الى اهل الذمة بأذى ، وبأمور لها ، فينتقضون بكم]

واجابه أهل البصرة بالاجماع :

[ما نعلم الا وفاء ، وحسن ملكه] .

وتساءل الخليفة :

[فما بالهم ينتقضون] .

جاءت الاجابات متناقضة ، غير مقنعة ، واخيراً ارتفع صوت الاحنف بن قيس :

[يا امير المؤمنين ، اخبرك انك نهيتنا عن الانسياح في البلاد ، وأمرتنا بالاقتصار على ما في ايدينا . وان ملك فارس حي بين اظهرهم ، وهم لا زالوا يساجلوننا ما دام ملكهم فيهم . ولم يجتمع ملكان فاتفقا حتى يخرج احدهما صاحبه ، وقد رأيت انا لم نأخذ شيئاً بعد الا بانبعاثهم وغدرهم ، وان ملكهم هو الذي يبعثهم ، ولا يزال هذا دأبهم حتى تأذن لنا فنسيح في بلادهم ، ونزيل ملكهم ونخرجه من مملكته وعز أمته ، فهنالك ينقطع رجاء اهل فارس] .

لمس الخليفة عمر بن الخطاب في كلمات الاحنف ، الحل الصحيح والوصف الدقيق لعلاج الموقف . واخذ يسترجع الاحداث الماضية ، والايام التي اعقبت القادسية ، وتذكر موقعة الجسر التي هزم فيها المسلمون بسبب تجاوزهم نهر الفرات ، ثم تذكر احداث يوم طاووس ، ومحاولة الفرس القضاء على المسلمين بعد تطويقهم وعزلهم ، وأخذ يوازن الاحتمالات المختلفة.

كان الفرس اصحاب امبراطورية لها تاريخها الطويل ، ولها جيشها القوي ، وكانت هذه الامبراطورية تعامل العرب طوال عهدها ، كمجموعات تتصرف بهم حسبما تشاء وتسخرهم كما تريد ، ولذا اعتبر الفرس ، هزيمتهم في القادسية مجرد خسارة معركة لا اكثر في حرب لا نهاية لها وحتى يتم لهم

فرض ما يريدونه . انهم لم يدركوا حتماً عمق الثورة التي جاء بها العهد الاسلامي ولم يدركوا قوة المجتمع الجديد في ترابطه وتماسكه ، فاستمروا في محاولاتهم لتقويض دعائم العهد الجديد .

عـرف الفرس قيام العرب بغزوات كثيرة قبل الاسلام ، وتعرضت المدن الفارسية لهجمات واغارات كثيرة من القبائل البدوية ، وكانت بعض هذه الغزوات تحقق انتصارات موضعية ، وظن الفرس ان شأن هذه الغزوة شأن الغزوات التي سبقتها ، وانها لا تستطيع الصمود طويلا في مواجهة دولتهم « العظمى » . ونتيجة لذلك استمروا في ممارسة دورهم التآمري واعمالهـم التخريبية ضد البلدان التي فتحها المسلمون .

لم تكـن لدى القبائل العربية التي استوطنت منذ عهد بعيد عند اطراف الرافدين الثقة بقدرة العرب المسلمين على الاستمرار ، وكان عهدهم بالدين جديداً بحيث ان جذور الايمان ترسخ في اعماق نفوسهم ، ونظراً لخبراتهم الطويلة مع الفرس وعمق الروابط التي خلفها الفرس في نفوسهم فانهم اتخذوا موقفاً وسطاً . كانوا يشعرون انهم اقرب الى ابناء عمومتهم من العرب المسلمين ، وكانوا يشعرون باعتزاز لما احرزه المسلمون من انتصارات ، الا انهم لم يتنكروا نهائياً للفرس ، ولم يقطعوا كل اتصال بهم . ومن هنا كانت الثغرة التي نفذ منها الفرس واخذوا يشيعون في البلدان المفتوحة الثورات والاضطرابات ويثيرون المتاعب في وجه الولاة المسلمين .

لم يقف الولاة المسلمـون ـ سعد بن ابي وقاص خاصة ـ موقف المهادنة ، بل كانوا حرباً على كل تآمر ، سدّاً في وجه كل تحرك مشبوه ، الا ان ايديهم كانت مقيدة بأمر الخليفة عمر ، ولهذا لم يكن امامهم سوى قمـع الفتن والاضطرابات مع الاستمرار في ترسيخ دعائم المجتمع الجديد ونشر تعاليم الاسلام ، وكانت بينهم وبين الفرس خلال الفترة ما بين القادسية ونهاوند ايام خالدات .

اتخــذ الخليفة عمر قراره بعد موازنة الموقف ، واصدر تعليماته بمتابعة العمليات وتصفية قاعدة العدوان .

كــانت الفترة ما بين القادسية وبين الاستيلاء على عاصمة الفرس «نهاوند» ستة اعوام ، تخللتها عمليات مهدت السبيل للمعركة النهائية في الاستيلاء على العاصمة . وسنستعرض مسيرة هذه العمليات وما رافقها من احداث خلال الصفحات التالية :

١ – يوم بابل (١) ١٤ هـ :

تحتــل مدينة بابل موقعاً متوسطاً بين القادسية ، ونهاوند(٢) وهي تحتمي وراء نهر الفرات ، وقد اراد الفرس تنظيم المقاومة فيها دفاعاً عن عاصمتهم واستعداداً لهجوم مضاد ، واخذوا ينظمون دفاعهم ، ويستقدمون قوات الدعم من الداخل علاوة على اعادة تنظيم القوات التي فرت من القادسية .

نظــم الفرس مواقع دفاعية متقدمة بهدف توفير الفرصة الكافية لاعادة التنظيم ، فوضعوا النخيرجان على رأس قوة بسيطة للدفاع عن موقع الكوفة .

ثم نظمــوا موقعاً دفاعياً آخر « في برس » اسندوا قيادته الى البصهبري ، ومعه عدد من القادة الذين شهدوا الهزيمة يوم القادسية ومنهم النخيرجان ، ومهران الرازي والنيرزان .

توفــرت المعلومات عند سعد بن ابي وقاص بتجمع قوات الفرس في بابل ومحاولتهم تنظيم هجوم مضاد للثأر من هزيمة القادسية ، ولم ينتظر سعد ، فاصدر تعليماته الى زهرة بن الحوية بالتقدم ومطاردة الفرس حتى موقع الكوفة والبقاء فيها حتى تنضم إليه القوات الرئيسية وتلحق به قوات الدعم .

---

(١) المرجع ، تاريخ الطبري ج ٤ – ص ١٧٩

(٢) معجم البلدان ، ج ١ ص ١٢٩ .

تحـــرك زهرة بن الحوية على رأس قواته حتى وصل الكوفة ، وعندما شهد النخيرجان طلائع قوات المسلمين ، أخلى ميدان المعركة وانسحب دون قتال .

وصلـــت قوات الدعم بسرعة يقودها القادة : عبدالله بن معتم ، وشرحبيل ابن السمط ، ثم لحق بهم خالد بن عرفطة .

نظـــم زهرة بن الحوية قواته للتحرك ، وعين خالد بن عرفطة لحماية المؤخرة ، وانطلق في اتجاه بابل ، وعندما وصلت المقدمة اصطدمت بقوات الفرس ، ووقعت اشتباكات بين الطرفين ثم تطورت الى معركة قصيرة اصيب فيها البصهبري ولم يلبث ان مات . واخذت قواته تتلمس طريق الفرار .

اسرع سعـــد على رأس القوات لاستثمار الظفر ، وانطلق الجيش في اتجاه بابل ، وكان الفرس قد استعدوا للقتال، الا ان هذا الاستعداد لم يكن جيداً نظراً لعدم امهال المسلمين لهم وعدم توفر فرصة كافية امامهم من اجـــل الاستعداد للمعركة والتنظيم لها ...

نظـــم المسلمون هجوماً قوياً ، وانطلقت قواتهم كالعاصفة المدمرة ، فلم يتمكن المدافعون عن بابل من حمايتها ، وتراجعوا عنها كل يبحث عن محور للانسحاب .

- فانسحب الهرمزان الى الاهواز .
- وتراجع الفيرزان الى نهاوند .
- وهرب مهران الرازي الى المدائن ومعه النخيرجان .

دخـــل المسلمون بابل واحرزوا انتصاراً آخر ولما يمض على القادسية سوى شهران .

٢ - يوم بهرسير - ١٤ هـ :

علـــم سعد بن ابي وقاص ان كسرى ملك الفرس ، قد انتقل الى « بهرسير »

واخذ يشرف على تحصين المدينة وتنظيم المقاومة فيها بهدف تحطيم هجوم المسلمين وعدم تمكينهم من متابعة التقدم والوصول الى عاصمته .

اصــدر سعد بن ابي وقاص اوامره الى زهرة بن الحوية ، لمتابعة التقدم ومطاردة القوات المنسحبة من بابل ، وعدم السماح لها بفرصة لتنظيم مقاومات جديدة .

تقــدم زهرة حتى « ساباط » على محور الطريق الى المدائن ، وعندما اقترب جيش زهرة ، خرج أهل « ساباط » وصالحوا سعد بن ابي وقاص على دفع الجزية .

تابــع زهرة تقدمه حتى وصل « بهرسير » ، فوجد أن القوات الفارسية قد تحصنت في المدينة . فنظم الحصار حولها ، وعزلها عن كل امكانات لدعمها ثم نصب المسلمون عشرين منجنيقاً ، واخذوا يقصفونها ، واستمر الحصار طوال شهرين ، وعندما شعر كسرى انه لا يستطيع الصمود في هذا الطوق من العزلة ، أفاد من حدوث اشتباك بين قوات المسلمين وقواته ، وهرب من المدينة ، وعندما علم اهل « بهرسير » بفرار ملكهم اسلموا مدينتهم لجيش المسلمين .

٣ ـ يوم المدائن ـ ١٤ هـ :

طــارد جيش سعد زمر المنسحبين من معركة « بهر سير » حتى وصل نهر دجله ، وظهر القصر الابيض عند الطرف الآخر من النهر ، وبه ايوان كسرى» فارتفعت الروح المعنوية للمسلمين وشعروا بقيمة الانتصارات التي انجزوها .

توقف سعــد بقواته عند طرف دجلة ، وارسل مفارز الاستطلاع لدراسة النهر وتحديد :

١ ـ عمق النهر ، والاماكن التي يمكن العبور منها وسرعة التيار فيها .

ب ـ طبيعة ارض النهر ، وامكانية مرور المشاة والفرسان .

١

جـ ـ اطراف النهر التي يمكن العبور منها .

بعـــد ان توفرت المعلومات ، وتم تحديد محور العبور ، نظم سعد عملية العبور على النحو التالي :

الرائـــدة ، بقيادته ، وتتكون من ستين فارساً ، مهمتها العبور حتى الطرف الآخر والتمركز عنده حتى عبور الجيش بكامله .

قـــوة الحمايـــة بقيادة عاصم بن عمرو ستمائة فارس ، مهمتها التمركز عند طرفي النهر من جهة العبور ، بمهمة حماية عملية اختراق النهر ، واعاقه العدو من مطاردة المسلمين او الهجوم عليهم اثناء العبور .

تقـــدم سعد بن ابي وقاص مع الرائدة وكان معه سلمان الفارسي ، وعندما وصلت الرائـــدة منتصف دجلة قامت مجموعة من فرسان العدو بالهجوم عليه وانطلقت السهام من قوة الحماية تفتك بجنود الفرس ، وطلب سعد من قوة الحماية تركيز السهام على جباه الخصم وعيونهم ، واستطاع بعض جنود الخصم الوصول الى قوة الرائدة ، واشتبكوا معها ، وامكن لقوة الرائدة بالتعاون مع قوة الحماية الحاق الهزيمة بجنود الفرس ، واستمرت عملية العبور .

نظـــم سعد قواته بعد انتهاء عملية العبور ، وسار بهم في اتجاه المدائن بعد ان عين زهرة بن الحوية لقيادة المقدمة .

كـــان مهران الرازي والنخيرجان ، قد كلفا القائد شهريار « دهقان كوثي » بقيادة القوات وتنظيم عملية الدفاع .

عندمـــا اقتربت المقدمة من المدائن تصدى لها شهريار دهقان ، وتحدى ان يخرج له قائد الجيش ، ورفض زهرة التحدي وكلف جندياً من جيش المسلمين هو نائل بن جعشم الاعرجي ، لمبارزة دهقان ، وبعد معركة قصيرة استطاع نائل ان يقتل خصمه وسقط القائد شهريار منذ بداية المعركة .

اشتبكت قوة المقدمـــة مع قوات الفرس ، وبعد معركة قصيرة ، انهار

تنظيم جيش شهريار لا سيما بعد ان قتل قائده ، واخذت زمر الجنود تنسحب من المعركة بعد ان تركت وراءها خسائر كبيرة فوق ارض المعركة .

تابع جيش سعد تقدمه حتى وصل المدائن ، ونظم الحصار حولها ولم تمض سوى فترة قصيرة حتى هرب كسرى من المعركة الخاسرة ، وفتح اهل المدائن ابواب مدينتهم لجيش المسلمين . وصالحهم سعد على دفع الجزية ، ثم انطلق بجيشه الى الايوان ، ودعى الناس للصلاة ووقف يقرأ فيهم :

[كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ، ونعمة كانوا فيها فاكهين ، كذلك واورثناها قوماً آخرين] .

٤ - يوم جلولاء - ١٦ هـ (١) :

تقع جلولاء الى شرق دجلة ، على بعد اربعين ميلاً شمال المدائن ، عند مفترق الطرق الى خراسان .

هرب مهران الرازي من المدائن ووصل « جلولاء » ومعه قوة صغيرة ، ثم انضمت اليه زمر من استطاع الفرار ومغادرة المدائن ، واخذ مهران في تنظيم هذه القوة ، وطلب دعماً من كسرى .

عندما علم سعد بن ابي وقاص بأمر هذه القوة ، ارسل الى الخليفة عمر ، فاصدر الخليفة تعليماته بارسال قوة كافية لتدمير هذه المقاومة وتعيين هاشم ابن عتبة قائداً لها .

نظم هاشم قواته المكونة من (١٢,٠٠٠) مقاتل وتحرك في اتجاه جلولاء ، وعندما وصلها كان مهران الرازي قد انهى استعداداته ، ووزع جنوده على الخنادق والتحصينات المحيطة بالمدينة . وكانت القوة الفارسية التي تدافع في جلولاء تقارب (١٥٠,٠٠٠) .

---

(١) معجم البلدان ، ياقوت الحموي ، ج ٣ ص ١٢٩ .

لم يكـن ميزان القوى بجانب المسلمين ، كما ان طبيعة الارض لم تكن مساعدة لهم ، لا سيما وانهم يجابهون خصماً يتمركز خلف تحصيناته الدفاعية ورغم ذلك صمم هاشم بن عتبة على انتزاع النصر فضرب حصاراً حول مواقـع العدو ، ونظم مراكز المراقبة ، واخذ ينتظر الفرصة المناسبة للقيام بهجوم حاسم .

طـالت فترة الحصار ، ووقع خلال هذه الفترة ثمانون اشتباكاً بين قوات الفرس وقوات المسلمين ، الا ان هذه الاشتباكات لم تسفر عن نتائج حاسمة .

اصبحت قـوة الفرس المحاصرة في حاجة للامداد من قواعدها الخلفية ، فاضطرت الى ردم بعض اجزاء الخندق الذي يفصل بينها وبين المسلمين ووصلت الامدادات التي ارسلها يزدجرد فعلاً .

حـددت مراكز مراقبة جيش المسلمين نقاط العبور الى هذه الممرات ، وتحرك القعقاع بن عمرو على رأس مفرزة من الفرسان ، وتسلل حتى مرابض خيول الخصم ، ثم انطلق في اغارة مباغتة وهو يصيح :

[يا معشر المسلمين هذا اميركم قد دخل خندق القوم وأخذ به، فاقبلوا إليه ، ولا يمنعكم من بينكم وبينه دخوله] (١)

لقـد اراد القعقاع بذلك حمل المسلمين على الاعتقاد ان سعد بن ابي وقاص قد دخل الخندق فيثير حماستهم .

وانـدفعت قوات المسلمين ، فتحطمت امام ثقل هجمتهم ميمنة جيش مهران وميسرته . واخذ جند الفرس يبحثون عن طريق الفرار بعد ان سدت جميع المنافذ في وجوههم ، وبعد ان حجز هاشم بن عتبه عنهم خيولهم .

انتهت المعركـة بسقوط ما يقارب (١٠٠,٠٠٠) قتيل من قوات الفرس ، وكانت خسائر جيش المسلمين محدودة وقليلة بالنسبة لخسائر خصمهم .

---

(١) تاريخ الطبري ، ج ٤ ، ص ١٨١ .

٥ - يوم تكريت - ١٦ هـ :

تقــع تكريت شمال المدائن ما بين بغداد والموصل (١) .

ارســل يزدجرد عملاءه للاتصال بالقبائل العربية من اياد وتغلب والنمر ، وطلب اليهم دعمه من أجل القيام بهجوم مضاد وثورة في الاقاليم التي احتلها المسلمون ، ووافق شيوخ القبائل على دعمه ، فحدد لهم تكريت منطقة للتجمع. كما ارسل الى تكريت بقايا جيوشه المهزومة امام جيوش المسلمين في المعارك السابقة ، وبدأت اعمال تحصين المدينة استعداداً للقتال .

جمع سعد بن ابي وقاص المعلومات الكاملة عن الموقف ، وارسل الى الخليفة عمر يعلمه ويطلب اليه الاجراء الواجب اتخاذه ، فأرسل الخليفة إبن الخطاب تعليماته الى سعد بالقتال ، وتشكيل جيش على النحو التالي :

تعيين عبدالله بن معتم قائداً للجيش المكون من خمسة آلاف مقاتل ، لغزو تكريت .

تعيين ربعي بن الافكل العنزي لقيادة المقدمة .

تعيين الحارث بن حسان الذهلي لقيادة الميمنة .

تعيين فرات بن حيان العجلي لقيادة الميسرة .

تعيين هانيء بن قيس لقيادة المؤخرة « الساقة » .

تعيين عرفجة بن هرثمة لقيادة قوة الفرسان « الخيالة » .

نظم عبدالله بن معتم قواته ، وسار بجيشه حتى تكريت وحاصرها فترة اربعين يوماً حدث خلالها ٢٤ اشتباكاً بين قوات الفرس وقوات المسلمين . وتكبد الطرفان الخسائر الفادحة .

اتصل عبدالله بن معتم خلال فترة الحصـار ، بابنـاء العمومة مـن العرب ودعـاهم للاسلام ، فاجابـه شيوخ القبائل عـلى دعوتـه ،

---

(١) تاريخ الطبري ، ج ٤ ص ١٨١ .

فاتفق معهم على ان يبقوا في صفوف الفرس حتى يبدأ هجومه الكبير ، وعندما يسمع هؤلاء تكبير المسلمين ، صيحة الحرب ، يفتحون ابواب بابل للقوات المسلمة .

نظم عبد الله جيشه للهجوم ، واعطى شارة الانقضاض ، وارتفع صوت المسلمين بالتكبير وهم يندفعون كالسيل الجارف ، واجابهم افراد قبائل تغلب واياد والنمر من وراء الاسوار وفتحت ابواب « بابل » ووقع الفرس بين سيوف هؤلاء الذين يندفعون من خارج الاسوار ، وبين هؤلاء الذين انضموا الى ابناء عمومتهم واصبحوا في عداد المسلمين وابيدت قوة الفرس بكاملها تقريباً .

اراد عبد الله بن معتم الافادة من القوة التي انضمت إليه واختبار ولاء المسلمين الجدد فكلف الافكل العنزي بقيادة قبائل تغلب واياد والنمر والاسراع في مطاردة فلول القوات المنسحبة ، واحتلال الموصل ونينوى . ولما وصل عبدالله الى المدينتين اجريت الاتصالات مع القبائل العربية ، ونجح قادة تغلب واياد والنمر وشيوخها في اقناع ابناء عمومتهم بالانضمام الى العرب المسلمين ، واكتسب المسلمون قوة جديدة ، اضيفت الى قوتهم ، ودخل في الصلح من رفض الدخول في الدين وصالح على الجزية ، وهربت فلول الفرس .

٦ – يوم ماسبذان ١٦ هـ (١) :

كانت « ماسبذان » مدينة تقع الى الشرق من حلوان في الطريق الى همذان تمركز اذين بن الهرمزان في ماسبذان ، واخذ ينظمها للدفاع ، وتجمعت عنده فلول القوات الفارسية التي انسحبت من المعارك السابقة .

علم الخليفة عمر بامر هذا التجمع فارسل تعليماته الى سعد بن ابي وقاص بتصفية هذه المقاومة بسرعة وتشكيل جيش يقوده ضرار بن الخطاب الفهري .

---

(١) تاريخ الطبري ، ج ٤ ص ١٨٧ .

تقـــدم ضرار بعد ان انهى تنظيمه في اتجاه ماسبذان ، واصطدمت مقدمة جيش المسلمين بقوات أذين في سهل « ماسبذان » وبعد اشتباك قصير ، قتل أذينة ، وتمزقت قواته التي لم تتوفر لها الفرصة الكافية من أجل الاستعداد للمعركة والتنظيم للقتال .

تابـــع ضرار مطاردة القوات حتى وصل السيروان ، ومنها الى « ماسبذان » حيث سقطت المدينة في قبضته دون قتال .

٧ – يوم قرقيساء – ١٦ هـ :

قرقيساء مدينـــة تقع عند ملتقى نهر الخابور بنهر الفرات على الحدود ما بين العراق والشام . .

تابـــع يزدجرد دوره التآمري ، فاتصل باهل الجزيرة طالباً اليهم القيام بثورة ضد المسلمين . واجابه اهل الجزيرة بالموافقة ، وتجمع المقاتلون منهم في « هيث » على شاطىء الفرات . وارسل يزدجرد اليهم دعماً من فلول قواته المنهزمة .

علـــم هاشم بن عتبة بذلك ، وارسل معلوماته الى الخليفة عمر ، فارسل الخليفة تعليماته بالهجوم على قرقيساء ، وتمزيق المقاومة .

نظـــم سعد قوة الهجوم بالاستناد الى توجيهات الخليفة على النحو التالي :

عمرو بن مالك قائداً للجيش .

الحارث بن يزيد العامري لقيادة المقدمة .

ربعي بن مالك لقيادة الميمنة .

مالك بن حبيب لقيادة الميسرة .

انطلـــق عمرو بن مالك على رأس جيشه في اتجاه الجزيرة ، ولما وصلها وجد أن اهلها قد نظموا دفاعهم ، وتحصنوا في خنادقهم ، فنظم قواته لحصارهم ولما طال الحصار ترك قسماً من جيشه بقيادة الحارث بن يزيد العامري ، وانطلق

مع نصف القوة الثاني بهدف إحكام طوق الحصار . والإمساك بمحاور الإقتراب وقطع الطريق على الدعم والامدادات التي كان يرسلها يزدجرد الى القوات الواقعة في قبضة الحصار .

وصـــل عمر الى قرقيساء فقاتله اهلها ، واستطاع عمر انتزاع النصر ، وفتح المدينة وفرض الجزية على اهلها .

اضعـــف سقوط قرقيساء من ارادة القتال لدى القوات المحاصرة ، واجرى عمرو بن مالك الاتصالات مع القبائل العربية، ونجح في اقناعها بالتخلي عن الفرس والانضمام لقوته . وبقيت قوة الفرس قليلة لا تستطيع الصمود بعد أن خذلهم العرب ، فانسحبوا من الجزيرة دون قتال ، وزال خطر هذه المقاومة الجانبية التي كانت تهدد المسلمين في قلب البلاد المفتوحة .

٨ - يوم الاهواز - (١) ١٧ هـ :

كـــانت كلمة « الأهواز » تطلق على الاقليم الممتد في شرق الخليج العربي من شرق البصرة وحتى رأس هرمز ، اما المدينة التي تقع الى الشرق من البصرة فكانت تسمى « سوق الاهواز » .

هـــرب القائد الهرمزان بعد معركة بابل الى الاهواز ، وأخذ ينظم قواته ، ويتصل بيزدجرد طالباً دعمه ، ولما شعر بقوته انطلق في ارسال الاغارات وتنظيم الهجمات ضد البصرة .

ارســـل سعد بن ابي وقاص جيشاً بقيادة عتبة بن غزوان بمهمة التصدي لقوات الهرمزان . ثم نظم جيشين آخرين بقيادة نعيم بن مقرن ونعيم بن مسعود بمهمة دعم عتبة بن غزوان .

وفي الـــوقت ذاته وجه سعد بن ابي وقاص جيشاً بقيادة سلمى بن العين التميمي وحرملة بن عرفطة بمهمة احتلال المرتفعات الجبلية وراء نهر تيري . وعزل المنطقة وقطع الامدادات عنها .

---

(١) تاريخ الطبري ، ج ٤ ص ٢٠٨ .

وصـــل جيش سلمى بن العين وحرملة بن عرفطة الى مواقعهما المحددة لهما ، وتمركزت القوات عند المرتفعات ، وبدأ سلمى اتصالاته مع قبائل «ابن مالك» طالباً منها التخلي عن الفرس ، ودعم ابناء عمومتهم من العرب المسلمين ، والدخول في الاسلام .

وعندمـــا استجاب له شيوخ ابن مالك طلب إليهم إشعال نار الثورة في الاهواز على امتداد المنطقة ما بين ، مناذر ، ونهر تيري واتفق معهم على البدء بهذه الثورة بتواقت واحد مع هجوم جيش المسلمين .

انتهــت الاستعدادات للمعركة ، وتقدمت قوات «سلمى وحرملة» من المواقـــع التي يحتلُّها الفرس بـــين نهر تيري والدلتا ، ودارت رحى معركة شرسة قاتل فيها الهرمزان وجنده بضراوة ، ووقعت خسائر كبيرة بـــين الطرفين .

اشتعلـــت نيران الثورة خلال المرحلة الحاسمة من المعركة ، ووجد الهرمزان وجيشه انهم وقعوا في الكمين الذي أعد لهم بدقة ،فانهارت روحهم المعنوية وتحطمت لديهم ارادة القتال فاخذوا في التراجع والتملص من المعركة ، واسرع جند المسلمين بالمطاردة ، وسقط في ايديهم اعداد كبيرة من القتلى والاسرى ووصلت طلائع المسلمين حتى نهر دجيل .

عـــرف الهرمزان انه لا يستطيع الاستمرار في الصمود ، وان مصير معركته انتهى بالهزيمة فطلب الصلح من قادة جيش المسلمين ، ووافقوه على طلبه ، وتم التوقيع على اتفاقية بقيت بموجبها الاقسام التي احتلت بالقوة في قبضة المسلمين ، وفرضت الجزية على بقية الاهواز كلها . وتولى سلمى بن العين امارة مناذر ، كما تولى حرملة امارة تيري بالاضافة الى ريف البصرة ، واخذت قبائل ابن مالك تنزل البصرة وتلتحق بقوات المسلمين .

اعـــاد الهرمزان تنظيم قواته ، واستعان بالاكراد ، وارسل الى المسلمين يعلمهم نقض الاتفاقية المعقودة بينه وبينهم ،فارسل سعد بن أبي وقاص جيشاً

يقوده حرقوص بن زهير السعدي بمهمة تدمير جيش الهرمزان ، وانضم سلمى ابن العين وحرملة بن عرفطة مع قواتهما الى جيش حرقوص

وصـــل جيش حرقوص الى « سوق الاهواز » ووقعت معركة بين الطرفين ، قاتل فيها الهرمزان بعناد وضراوة ، ووقعت خسائر فادحة في قوات المسلمين الا انهم نجحوا في انتزاع النصر وانتهت المعركة بفرار الهرمزان وبعض قواته من ميدان القتال وانسحابهم الى « رامهرمز » .

٩ – يوم طاووس – ١٧ هـ (١) :

كـــان العلاء الحضرمي عاملاً على البحرين ، وعندما شهد فتوح العراق على يد سعد بن ابي وقاص ، رغب في منافسته ، فاستنفر اهل البحرين ، ودعاهم لقتال الفرس ، وعبر بهم الخليج ، ونزل عند الطرف الآخر ،وتقدم في اتجاه « اصطخر » دون علم الخليفة عمر بن الخطاب .

كـــان اول عمل قام به الفرس هو تدمير المراكب التي نقلت قوة العلاء الحضرمي ، وبذلك قطعوا عليه كل محور للانسحاب ، ثم قاموا بضرب حصار حوله .

حـــاول العلاء الحضرمي التقدم ، واشتبك مع الفرس في معارك طاحنة ، ولم يتمكن من تحقيق نصر على خصومه ، وشعر ان حلقة الحصار محكمة حوله ، فحاول اختراقها والانسحاب في اتجاه البصرة والمواقع المتقدمة للمسلمين . لكن الفرس امسكوا بمحاور الطرق واعاقوه عن الانسحاب .

علـــم الخليفة عمر بن الخطاب بما فعله العلاء الحضرمي ، فتوعده شراً ، وارسل الى عتبة بن غزوان يأمره بالتحرك لانقاذ قوة العلاء الحضرمي ، والاسراع لنجدة المسلمين قبل ان يتمكن الفرس من ابادتهم .

---

(١) الطبري ، ج ٤ ص ٢١٢ .
معجم البلدان ، ج ٦ ص ١٠ .

تحـــرك غزوان بن عتبة على رأس جيش مكون من (١٢,٠٠٠) مقاتل ، ودفع في المقدمة أبو سبرة بن ابي رهم ، وعندما علم الفرس بتقدم جيش المسلمين. زجوا قوات كبيرة لمجابهتها ووصلت قوات دعم للمسلمين من اهل البصرة .

اصطـــدمت قوات الطرفين في معركة ضارية ، اظهر فيها اهل البصرة عنادهم وتصميمهم على انتزاع النصر ، ونجح المسلمون في رفع طوق الحصار عن قوة اهل البحرين رغم تفوق قوات الفرس واستعدادهم المسبق للقتال ، وانتصر المسلمون رغم ما أظهره الفرس من شجاعة ، وتمزقت قوات الفرس واخذت في الانسحاب واخلاء ميدان القتال .

١٠ – يوم تُسْتُر – ١٧ هـ (١)

تُسْتُر مـــن اعظم مدن خوزستان ، شيدت على اطراف نهر تستر ، وقد بنى الملك سابور الشاذروان – اي السد – لحجز المياه وتنظيم اعمال الري ، واستفاد في ذلك من خبرات الروم وأسراهم عندما وقعوا في قبضته خلال الهجوم الذي قاده الامبراطور ڤاليريان سنة ٦٢٠ م. ويعتبر سد تستر مـــن السدود الكبرى في العالم .

امـــا اقليم خوزستان فهو الاقليم الذي يحده شرقاً اقليم فارس وغرباً اقليم الاهواز .

تابــع يزدجرد دوره التآمري ضد العرب المسلمين ، فاتصل بالعناصر الموالية له من فارس والاهواز وحدد لهم إقليم خوزستان للحشد بهدف القيام بهجوم مضاد على جيش المسلمين ، واخذ يزدجرد ينظم هذه القوات للدخول في معركة حاسمة مع خصومه .

عـــرف ابو موسى الاشعري عن طريق عناصر الاستطلاع بنوايا خصمه ، فكتب الى الخليفة عمر وجاءت تعليمات الخليفة على النحو التالي :

---

(١) تاريخ الطبري ، ج ٤ ص ٢١٤ .

[الى ابي موسى الاشعري ، أمير البصرة ، ابعث الى الاهواز بعثاً كثيفاً ، مع سهل بن علي ودعمه بقوات أهل البصرة واهل الكوفة جميعاً بقيادة أبي سبرة بن أبي رهم وكل من اتاه . الى عمار بن ياسر ، امير الكوفة ، ابعث الى الاهواز بعثاً كثيفاً مع النعمان بن مقرن وعجل . ابعث سويد بن مقرن وعبد الله بن ذي السهمين ، وجرير بن عبدالله الحميري ، وجرير بن عبد الله البجلي ، فليتزلوا بازاء الهرمزان حتّى يتبينوا امره] (١).

نظـــم عمار بن ياسر قواته على النحو التالي :

المقدمة ، ويقودها جرير بن عبدالله البجلي .

الميمنة ، ويقودها البراء بن مالك ، اخو انس بن مالك .

الميسرة ، ويقودها مجزأة بن ثور السدوسي .

الفرسان ، ويقودهم انس بن مالك .

كما نظم عمار بن ياسر جيش النعمان على النحو التالي :

كتلة المشاة ، بقيادة النعمان بن مقرن المزني .

الميمنة ويقودها البراء بن عازب الانصاري .

الميسرة بقيادة حذيفة بن اليمان العبسي .

الفرسان او الخيالة ، بقيادة قرظة بن كعب الانصاري .

اما المقدمة فقد تركت قيادتها الى جرير بن عبدالله البجلي .

بـــدأ النعمان مسيرته في اتجاه العدو ، وتجاوز دجلة عند ميسان وتابع تقدمه على محور الاهواز ، نهر تيري ، مناذر ، سوق الاهواز . وعندما وصل سوق الاهواز ترك حرقوصاً بن زهير السعدي وسلمى بن العين وحرملة بن عرفطة بمهمة تنظيم قاعدة خلفية للهجوم ، وتابع تقدمه حتّى وصل برامهرمز ، حيث كانت قوات الهرمزان تتمركز فيها .

---

(١) معجم البلدان ، ياقوت الحموي ، ج ٢ ص ٣٠ .

اصطـــدمت قوات الهرمزان بجيش النعمان ، في أريك ، ووقعت معركة طاحنة ، قاتل كل طرف من الطرفين بعناد وشراسة ، واستطاع النعمان ان ينتزع النصر ، واخذت قوات الهرمزان في تنظيم الانسحاب من المعركة ، الا ان قوات النعمان اسرعت في مطاردتها حتّى وصلت مدينـــة برامهرمز ، واحتلتها في حين تابعت بقايا قوات الهرمزان انسحابها في اتجاه تُسْتُر .

كـــان جيش البصرة في سوق الاهواز عندما وقعت المعركة بين النعمان والهرمزان ، ولما وصلته انباء المعركة اسرع في سيره متوجهاً نحو تستر . وفي الوقت ذاته تحركت قوات حرقوص وسلمى وحرملة باتجـــاه تستر . والتقت القوات كلها ، واحاطت بالمدينة .

وصلـــت المعلومات الى الخليفة عمر ، فارسل الى ابي موسى الاشعري يطلب اليه دعم الهجوم على تستر .

حوصرت تســتر اشهراً عديدة ، ووقعت خلال فترة الحصار هجمات كثيرة بين الطرفين . الا ان الاشتباكات لم تحقق نتيجة حاسمة ، وكان حجم الخسائر يتزايد يوماً بعد يوم .

بعـــد فترة الحصار الطويلة ، نظم المسلمون هجوماً حاسماً . وصلوا به الى خنادق الفرس وأجلوهم عن مواقعهم ، ثم هاجم البراء بن مالك القوات المنسحبة حتّى وصل احد ابواب المدينة واستطاع ان يقتل في هذا الهجوم تسعمائة من جنود الفرس مع اسر ستمائة جندي . وقتل البراء بن مالك عند ابواب تُسْتُر . واعتصم الهرمزان وجنده في المدينة .

خـــلال استجواب الاسرى ، اعلن احدهم إسلامه ، واظهر استعداده لدعم الهجوم و توجيهه نحو مدخل سري للمدينة .

ارسلت مفرزة استطـــلاع بقيادة أشرس بن عوف ، وكان الفارسي الذي اعلن اسلامه يوجه الفرسان بين الممرات الجبلية الضيقة في الليل . ووصلت القوة

الى نقطة مهيمنة ظهر منها مجرى ماء يصل الى المدينة من الخلف ، وعندما رجعت مفرزة الاستطلاع قال اشرس :

[انهدوا من قبل مخرج الماء فانكم ستفتحونها] .

تعهـــد الفارسي ، دليل الهجوم ، بقيـــادة القوة التي ستتسلل الى المدينة ووضعها في اماكن مخفية ومموهة حتى بداية الهجوم .

ارسلـــت قوة الاغارة الليلية على مجموعتين الاولى وتتألف من اربعين مقاتلا والثانية وتتكون من ٢٠٠ مقاتلا وانطلقت قوة الاغارة مستخدمة الممرات الجبلية .

تسللت المجموعـــة الاولى ، ووجهها الدليل ، الى اماكن مموهة ، ثم عاد الدليل فوجه المجموعة الثانية ، وانتهت الاستعدادات قبل اول ضوء .

انطلقـــت الجيوش المحيطة بالمدينة بهجومها منذ الصباح المبكر ، وارتفعت صيحات الحرب ، فأجابهم أفراد قوات الإغارة من الداخل ، وفتحوا لهم الأبواب . وبدأت اعمال قتال شرسة واخذ جند الفرس يفرون مـــن القتال ، والذعر يتملكهم ، وهرب الهرمزان ولاحقه المسلمون حتى اصبح بعزلة ، وواجهه المسلمون ، فطلب اليهم قبوله أسيراً على ان يتركوا امره للخليفة عمر ، والا فانه سيتابع رمي سهامه حتى يقتل .

وافـــق النعمان على ما طلبه الهرمزان وارسله برفقة حراسه خاصه الى المدينة

تابـــع المسلمون تصفية المقاومات في تُسْتُر وسجل العرب فتحاً جديداً في سجل انتصاراتهم .

وصـــل الهرمزان الى المدينة وبحث الحرس عن الخليفة عمر فلم يجدوه في منزله ، ولم يعثروا عليه في المسجد ، ووجههم الناس الى مكان يجدون فيه الخليفة ، وعندما وصلوا المكان المحدد كان الخليفة عمر ينام بعمق ، تحت ظل شجرة ، ملتحفاً ببردة عتيقة ، دونما حراسة فاطلق كلمته : عدلت ، فأمنت ، فنمت .

اشهـــر الهرمزان اسلامه امام عمر ، الا ان الخليفة اخذ يناقشه في اسباب ارتداده مرات عديدة ، وكان مصمماً على قتله ، الا أنّ الهرمزان استأمنه خلال حديثه . وعندما شعر الهرمزان بتصميم عمر ، قال له انك تريد قتلي لكنك لا تستطيعه لانك أمنتني . وعندما وجد الخليفة عمر انه لا يستطيع النكث بعهده فرض عليه الاقامة الاجبارية في المدينة (١) .

يوم السوس – ١٧ هـ (٢) :

كـــانت السوس بلدة كبيرة في خوزستان .

عندمـــا انسحب الملك « يزدجرد » بعد معركة «جلولاء» انتقل الى اصطخر في اقليم فارس ووجه الهرمزان الى « تستّر » ، كما وجه « سياه » الى السوس في محاولة لانتزاعها من قبضة المسلمين .

كـــان ابو موسى الاشعري يحاصر السوس ، عندما وقعت المعركة في جلولاء .

وصلت انبـــاء هزيمة الفرس في جلولاء ، وانتشرت في كل مكان من ايران ، وعرف أهل جلولاء انهم لا يستطيعون الصمود طويلاً امام جيش المسلمين ، لا سيما بعد ان يئسوا من كل امل في وصول دعم او امدادات تنقذهم من حصارهم . فارسلوا وفداً الى ابي موسى الاشعري يفاوضونه على الصلح ، واستشار ابو موسى الخليفة عمر ، فوافق على الصلح ووقعت اتفاقية على اساس دفع الجزية .

عندمـــا وصل « سياه » الى السوس ، وجد ان الامر قد استقر للمسلمين ،

---

(١) تابع الهرمزان اعماله التخريبية ، فاخذ يتصل بالفرس ويغريهم باثارة الفتنة ، ولما يئس من ذلك ، اشترى خنجراً مسموماً اعطاه الى الفارس ، أبي لؤلؤة ، ودفعه لقتل الخليفة عمر ، وعندما اجتمع المسلمون عند سماعهم نبأ مقتل الخليفة ، كلفوا ابنه عبدالله ، بالثأر لابيه وقتل الهرمزان ، وحملوه حتى منزل الهرمزان فقتله .

(٢) تاريخ الطبري ، ج ٤ ، ص ٢١٨ .

فارسل وفداً الى ابي موسى يعرض عليه الدخول وجيشه في الاسلام فوافق ابو موسى على ذلك وعلى ان يكون لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين .

انضمت قوات «سياه» الى قوات أبي موسى ووقفت الى جانبه في حصار تستر . ولاحظ ابو موسى عدم حماسة سياه وجنده للقتال ، فاستدعاه ابو موسى وسأله عن سبب ذلك التهاون وعن مبرر تلك الظاهرة من اللامبالاة . فكان جواب سياه واضحاً وصريحاً وجريئاً :

[لسنا مثلكم في هذا الدين ، ولا بصائرنا كبصائركم، ولم تلحقنا بأشرف العطاء] .

كتب ابو موسى الى الخليفة عمر يستشيره ، ويعرض عليه الحادثة فأجابه الخليفة :

[ألحقهم على قدر البلاء في أفضل العطاء، وأكثر شيء أخذه أحد من العرب] .

عندما علم «سياه» باجابة الخليفة عمر ، صدق إيمانه ، واندفع مع جنده في القتال ، وأظهر حماسة دفعته ان يستخدم الدهاء والمكر حتى فتح أحد الحصون وحده .



معركة نهاوند « فتح الفتوح »

مؤتمر التعبئة :

توفـرت المعلومات عند الخليفة عمر بن الخطاب عن تجمع الفرس في نهاوند ، وعرف ان بقاء عاصمتهم وملكهم هو السبب في المؤامرات واعمال التمرد التي تكرر وقوعها في عدد من المناطق ، فقرر عقد مؤتمر لمناقشة الموقف وحضر كبار القادة والصحابة الى المسجد فوقف الخليفة عمر ، وشرح الموقف وطلب الى الحضور تقديم مقترحاتهم . وكان سعد بن ابي وقاص من حضور المؤتمر ، بعد ان استخلف على الكوفة عبدالله بن عبدالله بن عتبان .

اقترح الخليفة عمر في هذا المؤتمر تنظيم جيش يقوده بنفسه ، الا ان الصحابة عارضوه في ذلك . وعندما ظهر التردد في تقديم المقترحات حث عمر الحضور على طرح آرائهم قائلا لهم :

[ان هذا يوم له ما بعد من الايام] .

اقترح طلحة بن عبدالله تشكيل جيش قوي وتكليف من يقوده .

اقترح عثمان بن عفان تسيير اهل الشام واهل اليمن في جيش قوي يقوده الخليفة عمر .

عارض علي بن ابي طالب تسيير اهل الشام واهل اليمن خشية انقضاض الروم على الشام والحبشة على اليمن ، كما عارض في قيادة الخليفة عمر للجيش خشية وقوع هزيمة تدمر الروح المعنوية للمسلمين ، وترفع من ارادة القتال لدى الفرس .

ترك الامر الى الخليفة عمر ليقرر ما يراه .

كـــان النعمان بن مقرن عاملاً على كسكر في فارس ، وقد عينه سعد بن ابي وقاص على جباية الخراج ، الا ان هذا العمل لم يعجبه فكتبَ الى الخليفة راجياً اعفاءه من عمله وإرساله الى الجهاد ، فقرر عمر تعيينه قائداً لقوات الهجوم على نهاوند .

شكل الخليفة عمر جيشاً من المدينة فيه كبار الصحابة مثل عبدالله بن عمر ابن الخطاب وجرير بن عبدالله البجلي ، والمغيرة بن شعبة ، وعمرو بن معد يكرب الزبيدي، وطليحة بن خويلد الأسدي وقيس بن مكشوح المرادي.

كتب الخليفة عمر رسالة الى حذيفة بن اليمان بتشكيل جيش من اهل الكوفة والانضمام الى النعمان بن مقرن .

كتب الخليفة عمر رسالة الى أبي موسى الاشعري طالباً منه التوجه عـــلى رأس جيش اهل البصرة لدعم النعمان والعمل على قيادته .

وكتب الخليفة عمر بعد ذلك رسالة الى النعمان بن مقرن رسالة جاء فيها :

[انه بلغني ان جموعاً من الأعاجم كثيرة قد جمعوا لكم بمدينة نهاوند فاذا أتاك كتابي هــــذا فسر بأمر الله وبعون الله وبنصر الله بمن معك مـــن المسلمين ، ولا توطئهم وعراً فتؤذيهم ، ولا تمنعهم حقهم فتكفرهم ولا تدخلنهم غيضة فان رجلا من المسلمين أحب الي من مائة الف دينار] .

وفي الوقت ذاته كتب الخليفة عمر رسالة الى سلمى بن العين وحرملة ابن عرفطة وأمراء الجند الذين كانوا عماله على اقاليم الاهواز رسالة هـــذا نصها :

[أشغلوا فارس عن إخوانكم ، وحوطوا بذلك أمتكم وأرضكم وأقيموا على الحدود ما بين فارس والأهواز حتى يأتيكم أمري] .

كانت هذه الاجراءات كافية لضمان الأمن ريثما تنتهي الاستعدادات للمعركة ، وعندما وصلت القوات وتجمعت عند النعمان، وانتهت عملية التنظيم

كتب بذلك الى الخليفة عمر الذي أعطاه الامر بالتحرك الى نهاوند ، مع التعليمات التالية :

[اذا حدث بك حدث فعلى الناس حذيفة بن اليمان فان حدث بحذيفة حدث فعلى الناس نعيم بن مقرن] .

طبيعة ارض المعركة ومخططات الطرفين :

تقع نهاوند في منطقة وعرة ، تحيط بها الجبال العالية التي تكسوها الثلوج على امتداد ايام السنة ، وتحيط بها ينابيع المياه والاشجار الباسقة ، والحقول الخصبة ذات التربة السوداء (١) . وتقع محاور الاقتراب الى نهاوند داخل مناطق جبلية ولهذا دفع النعمان بن مقرن عناصر الاستطلاع قائلا :

[قَتَلَتْ أَرْضٌ جاهِلَها ، وقَتَلَ أرضاً عالمها] .

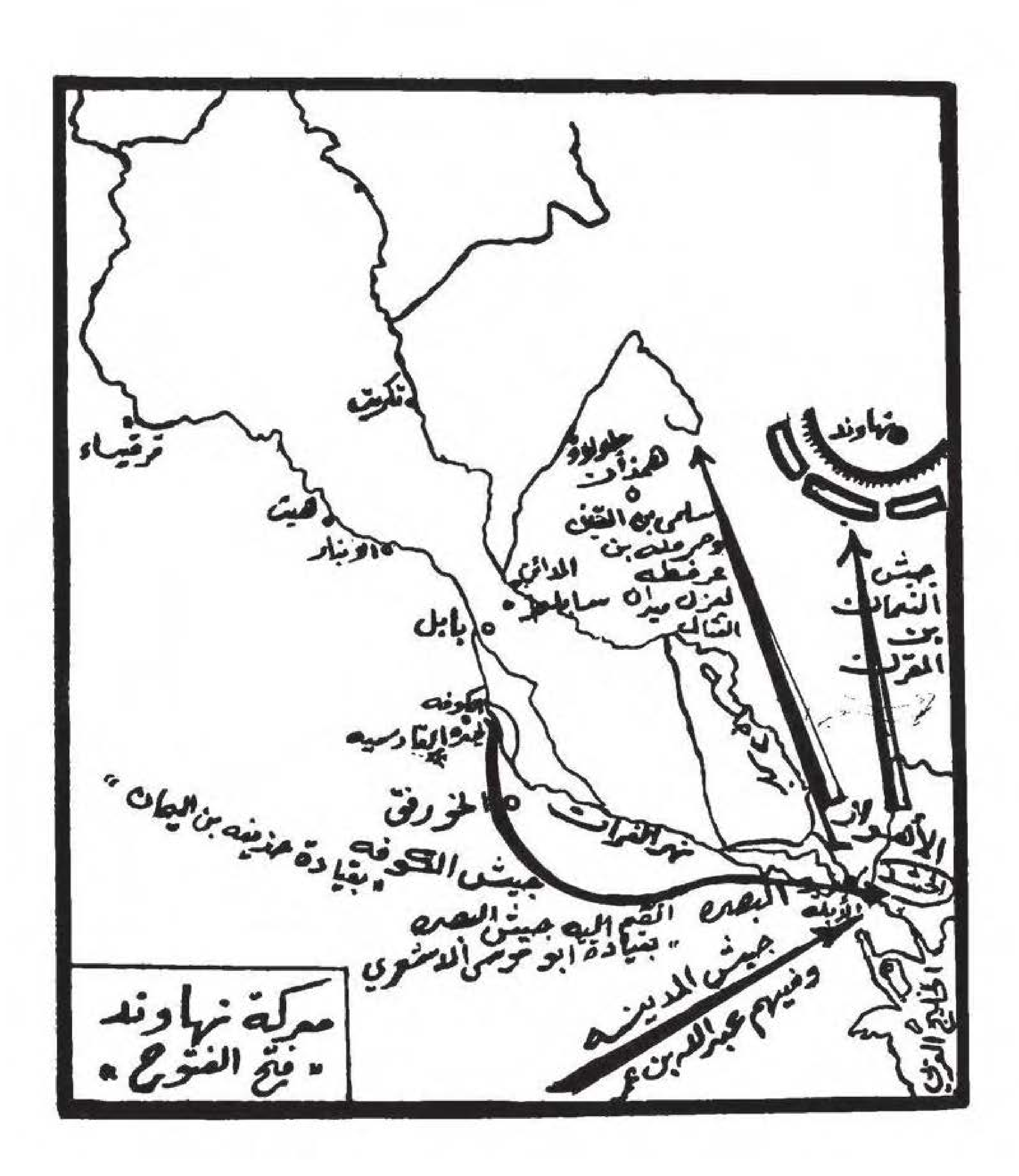
اراد الفرس الافادة من طبيعة الارض ، فنظموا دفاعهم خارج المدينة وحفروا الخنادق ، وتحصنوا بها ، وأخذوا في انتظار جيش المسلمين وذلك لتحطيم هجومهم ثم تدميرهم .

كان المخطط الاساسي للمسلمين يستند إلى عزل نهاوند عن كل امكانات لدعمها ثم إرهاق العدو بالهجمات الموضعية المستمرة ، والافادة من الفرصة المناسبة للقيام بالهجوم العام .

توازن القوى :

قوات الفرس	قوة المسلمين	نسبة التوازن	ملاحظات
١٥٠,٠٠٠	٣٠,٠٠٠	$\frac{1}{5}$ لصالح الفرس	نظراً لطبيعة الارض الجبلية استخدم المسلمون البغال في التحرك ونقل امتعتهم

(١) معجم البلدان ، ياقوت الحموي ، ج ٤ ، ص ٨٣٧ .



نهاوند
جلولاء
همذان
تكريت
قرقيسياء
هيت
الأنبار
المدائن
بابل
الكوفة
الخورنق
نهر الفرات
جيش الكوفة
بقيادة حذيفة بن اليمان
البصرة
الأبلة
الأهواز
الخليج العربي
جيش النعمان بن المقرن
ضم إليه جيش البصرة
بقيادة أبو موسى الأشعري
جيش المدينة
وفيهم عبد الله بن عمر
معركة نهاوند
"فتح الفتوح"

لم يكـن ميزان القوى لصالح المسلمين وكانت نسبة التفوق خمسة لواحد، فاذا ما اضفنا الى ذلك صعوبة مسرح العمليات سواء في طبيعته وبرودته ، او في منطقتة الجبلية وهي ما لم يكن سكان الجزيرة قد ألفوه أو اعتادوا عليه ، أدركنا مدى ما تحمله المسلمون في يوم نهاوند ، وقد ادرك الخليفة عمر ذلك فجعل القسط الأكبر من اعباء هذه المعركة على عاتق اهل البصرة نظراً لوجود بعض ملامح التشابه بين الاقليمين .

مسيرة الاعمال القتالية :

تقـدم جيش المسلمين في مسيرته حتى أشرف على المواقع التي نظمها الفرس وتحصنوا وراءها ، وكان الملك يزدجرد قد عهد قيادة قواته الى القائد الفيرزان .

نظـم المسلمون طوق الحصار حول مواقع الفرس ، وبدأت معارك فرعية على شكل اغارات مباغتة صمد لها الفرس ، ووقعت خسائر كبيرة في صفوف المسلمين ، واستمر الموقف طوال يومين ، وخشي المسلمون ان يطول بهم الحصار في هذه المناطق الصعبة ، فعقد النعمان مؤتمراً للقادة من أجل دراسة الموقف وحدد له موعداً بعد صلاة الجمعة .

طـرح الموقف على قادة المسلمين ، واقترحت فيه عدد من المقترحات منها تضييق الحصار والانتظار ، ومنها القيام بهجوم عام وعندما جاء دور طليحة الاسدي وقف يقول :

[ايها الامير ، ارى ان تبعث خيلا مؤذية ، فيحدقوا بها ، يرموهم لينشبوا القتال ويحمشوهم(١) ، فاذا استحمشوا واختلطوا بهم وارادوا الخروج ، ارزوا الينا استطراداً (٢) ، فانا لم نستطرد لهم في طول ما قاتلناهم ،

---

(١) يغضبونهم ، ويستثيرونهم للقتال .

(٢) ارزوا ، بمعنى رجعوا فرادى في قتال تراجعي الى منطقة ازدلاف تحدد لهم مسبقاً فيجتمعوا فيها .

وانا اذا فعلنا ذلك ، ورأوا ذلك منا ، طمعوا في هزيمتنا ، ولم يشكوا فيها ، فخرجوا ، فجادونا وجاددناهم حتّى يقضي الله فينا وفيهم ما احب] .

وافـــق القادة على اقتراح طليحة ، وأقره النعمان ، واتخذ الاجراءات لتنفيذه على النحو التالي :

يقـــوم القعقاع بن عمرو قائد المقدمة ومعه قوة من فرسانه بتنظيم اغارة على خنادق الفرس ومواقعهم وبعد ان يشتبك معهم ، يبدأ بالانسحاب في قتال تراجعي حتّى مواقع قوات المسلمين .

تحتـــل قوات المشاة مواقع ثابتة مستفيدة من الأرض ، وتبقى في مواقعها حتّى وصول قوات الفرس اليها ثم تشتبك معها في معركة جبهية .

تبقـــى الكتلة الضاربة الرئيسية موزعة في مناطق مخفية ومموهة حتّى اعطاء شارة الهجوم .

انطلق النعمـــان بعد ذلك لتفقد المواقع التي احتلها المسلمون، ولينظم التعاون مع القادة ، ويستثير حماسة المقاتلين ، ثم حدد لهم شارة الهجوم على النحو التالي :

يقف النعمـــان في نقطة تستطيع جميع القوات ان تراه منها . ويهز بعلمه للمرة الأولى فيكبر المسلمون تكبيرة واحدة ويسرعوا الى اسلحتهم وثيابهم استعداداً للمعركة .

عندمـــا يهز العلم للمرة الثانية يكبر المسلمون ايضاً ، ويتخذوا تنظيم القتال

وفي المـــرة الثالثة يكبر المسلمون وينطلق كل كردوس في الاتجاه المحدد له

وفي صبيحـــة اليوم التالي ، انطلق القعقاع على رأس الفرسان ووقعت معركة شرسة استبسل فيها المسلمون ، ثم اخذوا في الانسحاب وفق المخطط المحدد لهم ، وانطلق الفرس في مطاردتهم كما كان متوقعاً ، وغادر جنود الفرس جميعهم المواقع حتّى لم يبق على ابواب المدينة احد منهم .

دارت معركـــة طاحنة بين جند الفرس وجند المسلمين وتحول ميدان القتال الى بركة كبيرة تغطيها الدماء وجثث القتلى ، وضاق المسلمون ذرعاً بسبب تأخر النعمان في اعطاء شارة بدء الهجوم ، وارسلوا المراسلين يستحثونه فكانت اجابته ؛ رويداً رويداً .

قـــاربت الشمس على الغروب ، وعندئذ اعطى النعمان شارة الهجوم وانطلق المسلمون في هجومهم فتحطمت ميمنة الفرس وميسرتهم وتمزقت صفوفهم ، ونظراً لتقييد كل عشرة جنود من الفرس بسلسلة معدنية واحدة فقد افاد المسلمون بضرب واحد او اثنين من المجموعة فتسقط المجموعة بكاملها

انطلق النعمـــان في هجومه ، وبعد فترة انزلقت فرسه بسبب الدماء الغزيرة التي غطت ارض المعركة ، واصيب النعمان بسهم فقتل واسرع أخواه سويد بن مقرن ومعقل بن مقرن يرفعان الراية ، واقبل حذيفةبن اليمان وتقرر كتم خبر مقتل النعمان حتى انتهاء المعركة وذلك حتى لا تتأثر الروح المعنوية للمسلمين .

شعــر الفرس ان نهاية المعركة في غير صالحهم ، وارادوا الافادة من ظلمة الليل للانسحاب ففر يزدجرد ، وحاول الفيرزان الهروب والتملص من القتال الا ان عيون المسلمين اليقظة تابعته فاشار معقل بن مقرن الى القعقاع ، واخذ القعقاع في مطاردة فلول المنسحبين وادرك الفيرزان عند ثنية جبل ، وكانت مجموعة من القرويين تحمل العسل على البغال قد اعترضت طريقه فاعاقته ووقع عليه سيف القعقاع فقتله .

دخـــل المسلمون نهاوند ، وقام العامل على الخراج بتوزيع الاسلاب ، وتقدم احد خدم القصرمن المسلمين فهداهم الى مخابىء كنوز يزدجرد ، فاستولوا عليها وارسلوها الى المدينة بعد اخذ الفيء منها .

نتائج سقوط نهاوند :

كـــانت معركة نهاوند وسقوطها في قبضة المسلمين ذات نتائج حاسمة في المجالات السياسية والاستراتيجية والعسكرية .

١ – من الناحية السياسية :

١ – تغيير خارطة العالم القديم الذي كانت تتنازعه قوتان كبيرتان هما الفرس والروم .

٢ – تعزيز مكانة العرب المسلمين ، واظهارهم بمظهر المصممين على بلوغ اهدافهم وتحقيق تطلعاتهم مهما كان الثمن ، وبأية وسيلة .

٣ – تعريف العالم بالقيم التي جاء بها الاسلام ، وتوفير الظروف الموضوعية الملائمة لنشر الدين الجديد .

٢ – ومن الناحية الاستراتيجية :

ا – وضعت حداً نهائياً لتصفية قاعدة العدوان ، وزال الخطر بالتهديد ، واصبح باستطاعة المسلمين ان يتصرفوا بثقة وطمأنينة لبناء مجتمعهم الجديد .

ب – اصبح بالامكان استخدام ما وراء دجلة من الشرق كقاعدة انطلاق متقدمة لمتابعة الفتوحات .

جـ – أسفرت مجموعة العمليات القتالية التي سبقت نهاوند عن احتلال جيوش المسلمين لكافة الاقاليم الواقعة في شرق دجلة والخليج العربي بداية من رأس هرمز في الجنوب ونهاية بالحدود التركية في الشمال .

٣ – من الناحية العسكرية :

١ – تكوين حصالة من التجارب العسكرية وخبرات الحرب ، كان لها الاثر الكبير خلال الفتوحات التالية :

٢ – تكوين كادرات قيادية ، قادرة على تطبيق مبادىء الحرب ، وقيادة مجموعات كبرى الى المعركة ، وحشدها ثم زجها في المعركة وفق خطة مدروسة.

٣ – اكساب الجندي العربي المسلم الثقة بقدرته على تحقيق النصر وانتزاعه مهما كانت الظروف صعبة وشاقة .

٤ – اكساب المقاتل الصلابة اللازمة للعمل في كل الظروف وفي مختلف الاجواء والقتال في مختلف الاراضي .

الدروس المستفادة :

يمكن تلخيص الدروس المستفادة من المعارك التمهيدية التي سبقت نهاوند ومن معركة نهاوند ذاتها بما يلي :

١ ـ في امن القتال :

ا ـ ان اول ظاهرة مشتركة في مجموعة العمليات السابقة هي توفر المعلومات الدقيقة عن تحركات الخصم وتنسيق هذه المعلومات ودراستها ورفعها الى أعلى سلطة مسؤولة ، واتخاذ القرارات المناسبة على ضوئها .

ب ـ تطبيق مبادىء الامن ، سواء في مرحلة التحرك او في مناطق الحشد او في التنظيم للقتال بحيث لم تقع للمسلمين اية حادثة غير متوقعة او يجابهوا بموقف مباغت باستثناء معركة طاووس التي خرج فيها القائد العلاء الحضرمي دون إذن من الخليفة .

٢ ـ في مركزية القيادة :

هنـــاك تعريف عام للعمليات العسكرية تتلخص بكلمة « القرار » والقرار يصدره القائد الاعلى ، وتظهر مركزية القيادة بشكل واضح في كافة العمليات القتالية بحيث كان الخليفة وهو القائد العام للقوات المسلحة يمارس العمليات التالية :

ا ـ جمع المعلومات عن طريق عماله، والوفود، واستجواب الاسرى .

ب ـ اصدار القرارات المناسبة بالتحرك والهجوم وتحديد مناطق التجمع والحشد .

جـ ـ تخصيص الامكانات اللازمة ، حسب الواجب ، وحسب طبيعة المعركة وحجم قوات العدو واهمية الهدف .

د ـ تعيين القادة الذين يجد فيهم الخليفة الكفاءة اللازمة لقيادة اعمال القتال.

٣ ـ في مسيرة العمليات :

تميزت مجموعة اعمال القتال ما بين القادسية ونهاوند بالميزات التالية :

ا ـ المرونة والسرعة في التحرك ، لقد كان العرب المسلمون حديثوا العهد بتحركات القوات الكبيرة ورغم ذلك فقد تميزت عملياتهم بالسرعة والمرونة ، والتحرك لمباغتة الخصم قبل ان ينهي استعداداته للقتال .

ب ـ الافادة من ميدان القتال ويظهر بوضوح ان القادة العرب كانوا يظهرون اهتماماً كبيراً في دراسة ميدان المعركة ، ورصد تحركات عدوهم والافادة من كل ثغرة زمانية او مكانية لتوجيه ضربة مباغتة وحاسمة .

جـ ـ استثمار النصر ، دونما تردد ، والاسراع في مطاردة القوات المنسحبة وعدم تمكينها من تنظيم مقاومات جديدة .

د ـ الاستعداد الدائم للقتال ، ويظهر ذلك من اعمال الحصار الطويلة في بعض المعارك مع المحافظة على تدابير الامن ، والتحرك في كل وقت ، ومجابهة كافة المواقف .

٤ ـ في الروح المعنوية :

لقد برهنت العمليات المتابعة على روح معنوية عالية ، وظهرت هذه الروح المعنوية في كل معركة فكانت البديل عن عوامل التفوق العددي ، ومساوىء الأرض ، وقسوة العوامل الجوية .

خاض العرب المسلمون معاركهم في مناطق غريبة عنهم ، ومع قوات تفوقهم بحيث لم يكن ميزان القوى في صالحهم ابداً ، كما كانت الاحوال الجوية قاسية بالنسبة لهم ، ورغم ذلك تمكنوا من انتزاع النصر في جميع معاركهم .

للمطالعة

من ادب الحرب

قصيدة القعقاع بن عمرو في يوم نهاوند :

رمى الله من ذمّ العشيرة سادراً ... بداهية تبيض منها المقادم
فدع عنك لومي ، لا تلمني ، فانني ... أحوط حريمي والعدو الموائم
فنحن وردنا في « نهاوند » مورداً ... صددنا به والجمع حران داحم
ونحن حبسنا في نهاوند خيلنا ... لشر ليالٍ أنتجت للأعاجم
وراكضهن الفيرزان على الصفا ... فلم ينجه منها انفساح المخارم
ألا أبلغ أسيداً حيث سارت ويممت ... بما لقيت منا جموع الزمازم
غداة هوّوا في « وادخرد » فأصبحوا ... تعودهم شهب النسور القشاعم
قتلناهم حتى ملأنا شعابهم ... وقد أفعم اللهب الذي بالصرائم

القسم الثاني

الفصل الثالث

- من عمليات الجبهة الشرقية -
- (فارس) إيران -
- عمليات المحور الشمالي -
- عمليات المحور الأوسط -
- عمليات المحور الجنوبي -

القطاع الشمالي

١ ـ فارس قبل الفتح الاسلامي

٢ ـ فتح قزوين وزيجان والديلم

٣ ـ فتح اذربيجان ٢٢ هـ.

٤ ـ باب الابواب

٥ ـ فتح جرجان وطبرستان

٦ ـ فتح نيسابور ، طوس ـ مرو ، هراة بادغيش

٧ ـ الصلح مع الجوزجان الفاريات الطالقان

القطاع الاوسط

١ ــ يوم اصبهان

٢ ــ يوم همذان

٣ ــ يوم واج روذ

٤ ــ فتح الري وقومس

٥ ــ فتح كرمان

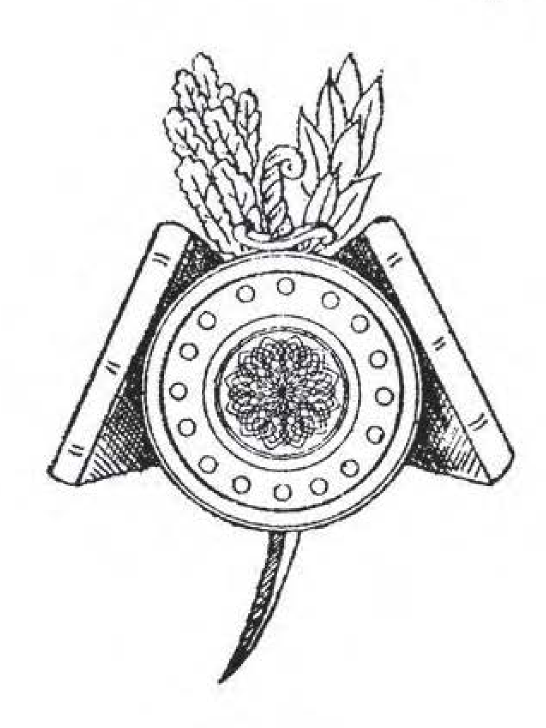
المحور الجنوبي

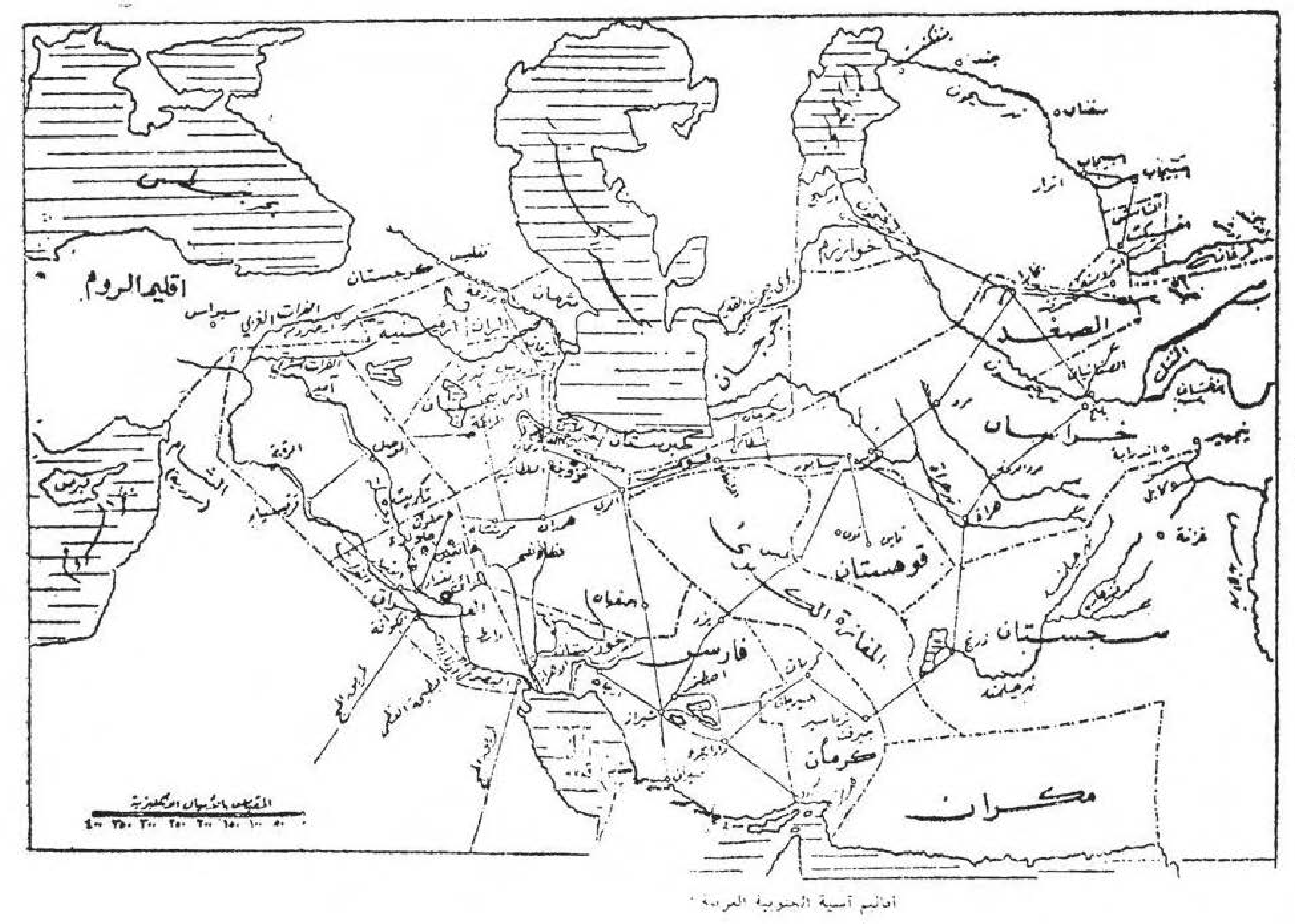
١ ــ فتح اصطخر

٢ ــ فتح فسا ودرا بجرد

٣ ــ فتح توج

٤ ــ فتح اقليم مكران





أقاليم آسية الجنوبية الغربية

فارس « ايران »
قبل الفتح الاسلامي »

سَجّـــلَ يوم نهاوند نهاية المرحلة الأولى من عمليات الجبهة الشرقية ، وأصبح المجال مفتوحاً أمام جيوش المسلمين للتوغل حتى أعماق الهضبة الايرانية والوصول بفتوحاتهم الى حدود الصين .

كـــانت قيادة الفرس قادرة على اجتذاب الجيوش الإسلامية وفرض المعركة عليها ، حتى يوم نهاوند . فقد كانت هي التي تختـــار مناطق حشد قواتها ، وهي التي تحدد مواقع القتال ، وكانت القوات العربية الإسلامية ، في المرحلة الأولى مرغمة على مطاردة اعدائها من خندق الى خندق ومن موقع الى موقع ومن مدينة الى مدينة بهدف تدمير المقاومات التي تحشد ضدها ، وعلى الرغم من اختيار القادة الفرس لمسارح عملياتهم ، ورغم تفوقهم العددي، ورغم خبراتهم بطبيعة الأرض ، فقد نجح المسلمون في انتزاع النصر تلو النصر حتى سيطروا على شرق دجلة ما بين الأهواز وحدود ارمينيا سيطرة تامة.

تغـــير هذا الوضع بعد معركة نهاوند ، ولم يعد باستطاعة الفرس تنظيم عملياتهم بسبب زوال وحدة القيادة وأصبح بامكان القادة المسلمين اجراء فتوحاتهم وانجاز عملياتهم بعيداً عن ارادة الخصم وتأثير مخططاته .

إن تدمـــير قوات الفرس في معارك متتابعة بداية من القادسية ونهايـــة بنهاوند ، قد حطم الكتلة الضاربة الرئيسية لقوات الفرس ، وأسقط كيان الدولة الساسانية . وبذلك زالت هيمنة الوحدة السياسية العسكرية ، وأصبح

الأمر متروكاً للملوك والأمراء في مختلف المقاطعات . وهذا مما يعتبر عاملا مساعداً لضرب كل قوة بمعزل عن القوى الأخرى .

ان سقـــوط الدولة الساسانية والاستيلاء على عاصمتها ، حطّم دونما ريب ارادة القتال عند امراء الأقاليم وملوكها . وهذا لا يعني ، بداهة ، انتهاء كل محاولات لإيقاف زحف الجيوش الاسلامية ، الا انه اصبح من المتوقع أن تكون القوات التي ستتصدى للمسلمين ،أقل عناداً في قتالها وأقل تصميماً في ارادتها ، وأقل حماسة في عملياتها ضد جيوش المسلمين .

أصبـــح باستطاعة الجيوش الإسلامية بعد فرض سيطرتها على المناطق الواقعة الى الشرق من نهر دجلة ، الانطلاق في عملياتها من مناطق متقدمة وقواعد أمامية . وهكذا تحولت البصرة في الجنوب والكوفة في الشمال الى مناطق حشد للجيوش ، يتم فيها الحشد ، وتنظيم القوات ، والاستعداد للحرب قبل التحرك الى ميادين القتال .

لقد تم فتح بلاد فارس على مرحلتين :

ا ــ المرحلة الأولى من العمليات : وهي التي بدأت بازالة الفرس وانتهت بما أحرزه المسلمون من انتصارات خلال مرحلة حكم الخليفة الثالث عثمان بن عفان . وتوقفت بعد ذلك بسبب انصراف المسلمين الى النزاع على السلطة مع ما رافق ذلك من فتن وثورات في جميع المناطق .

ب ــ المرحلة الثانية من العمليات ، وهي التي قام بها ولاة الأمويين بوصول الجيوش العربية الإسلامية حتى حدود الصين .

نفذت عمليات المرحلتين المذكورتين على محورين :

ا ــ المحور الشمالي من همذان الى أصبهان ، واج روذ ، الري ، قومس ، جرجان ، طبرستان ، أذربيجان ، الباب في ارمينيا .

ب ــ المحور الجنوبي ، ويتمثل في عمليات اقاليم الأهواز ، وكرمان ،

وفارس ، وسجستان . إن تقسيم سير العمليات على محاور ، لم يكن عائقاً امام نقل محور ثقل الجيوش الإسلامية وتعديل مسيرة العمليات وفقاً لمتطلبات أعمال القتال . فكثيراً ما كان يتّم نقل القوات العاملة من محور الى محور آخر اذا ما تطلبت ضرورة العمليات ذلك ، وكان يتّم تنفيذ التحرك بسرعة ومرونة مما أعطى الجبهة الشرقية صفة الوحدة المتكاملة على مخطط العمليات .

لقد كان لطبيعة الارض ، والتوزيع السكاني ، دور هام في فرض محاور العمليات ، كما هو الامر في كل اعمال القتال ، ولهذا فانه امر حتمي التعرض لبعض ملامح الأقاليم قبل البدء في دراسة الأعمال العسكرية على الجبهة الشرقية .

١ ــ الطبيعة الجغرافية :

١ ــ الجبال : تتكون جبال « فارس » من مجموعتين رئيسيتين :

المجموعة الأولى وهي :

٢ ــ المجموعة المجاورة لحدود العراق وهي تتصل شمالا بجبال آرارات ثم تمتد جنوباً حتّى رأس هرمز . وتعرف هذه السلسلة الجبلية باسم جبال « زاغروس » .

يصل ارتفاع هذه السلسلة في بعض نقاطها حتّى ٤٣٠٠ م. عن سطح البحر وتقسم الى مجموعات تحمل أسماء المدن أو الأقاليم التي أقيمت عند منحدراتها . وهذه السلسلة تنحدر غرباً حتّى تتصل بسهول العراق ، كما تنحدر تدريجياً لتتصل شرقاً بالمفازة الكبرى « وادي شور ودشتي كفير » المعروفة باسم الصحراء المالحة الكبرى .

يتفرع عن هذه السلسلة « جبل البرز » الذي يسير بصورة عرضانية موازياً للقاعدة الجنوبية من بحر الخزر « بحر قزوين حالياً » .

ان هذه السلسلة الجبلية مقطعة وغير متصلة ، وتمر الطرق من هذه الفجوات

لتوفر الاتصال ما بين ايران والعراق ومن اهم هذه الطرق ، الطريق الشمالي عبر الموصل ، حلوان قرميسين « كرمنشاه » ، همذان ، الري . وكان يسمى « طريق خراسان العظيم » .

والمجموعة الثانية هي :

د ـ سلسلة جبال هيمالايا والتيبت ، شرقاً وهي جبال مرتفعة ، يصل الارتفاع في بعض مناطقها حتى تسعة آلاف متر تقريباً في قمة جبال الهيمالايا. وتنحدر عن هذه السلسلة ، مجموعة من الجبال « مرتفعات كشمير حالياً » ٧٠٠٠ م تقريباً ، وجبال افغانستان ٥٢٠٠ م .

جـ ـ المفازة الكبرى « هضبة ايران » وتقع بين سلسلتي الجبال المذكورتين تمتد من بحر قزوين شمالا حتى المحيط الهندي جنوباً ، وهي صحراء قاحلة ، فيها بعض الواحات . ذكرها العرب باسماء واحة جرمق وواحة تايوند وواحة سنيج » وبها بحيرات ملحية .

ب ـ السهول : السهول في ايران ضيقة وممدودة وهي تنحصر بصورة عامة بين سفوح الجبال والبحر ويمكن تقسيم السهول الى ثلاث مجموعات :

١ ـ المجموعة الشمالية ، وهي ما بين سفوح جبل البرز وبحر قزوين في الشمال ، وسهول الترك « تركمنستان السوفييتية حالياً » .

٢ ـ المجموعة الجنوبية ، من الاهواز حتى « بلوخستان » «باكستان حالياً ».

٣ ـ المجموعة الشرقية ، في حوض نهر السند الذي يصب في المحيط الهندي عند دبيل « كراتشي حالياً » .

جـ ـ الانهار ، الانهار في ايران كثيرة نظراً لغزارة الامطار ووفرتها ، الا ان القسم الأكبر من هذه الانهار قصيرة ، ومن اشهر الانهار في زاغروس من الشمال الى الجنوب نهر المراغة ونهر ارس ونهر سفيدروز في اذربيجان ، وانهار الكر والرس في كرجستان « جورجيا » وانهار زندة وقم ونهاوند

في اقليم الجبال وانهار كارون « دجيل » والشاذروان ، والمسرقان والمسوس ، وكرخة وتستر في خوزستان وانهار سكان ، توج ، رتين ، اخشين ، جرستق طاب ، شيرين ، الشاذكان ، الكر وباوار في فارس ، وهناك انهار كثيرة في بقية الأقاليم . اما النهران الرئيسيان فهمـــا « سيحون وجيحون » ، « نهر سيرداريا وأموداريا » اللذان يصبان في بحر آرال « خوارزم قديماً) .

لقد كان نهر السند شرقاً ونهرا سيخون وجيحون شمالا هما حدود «فارس» ايام حكم العرب . أما الأقاليم التي تقع الى شرق السند فكانت تسمى مـــا وراء النهر .

٢ ـ المناخ :

نظـــراً للتفاوت في الإرتفاع بين الجبال المرتفعة والسهول المنخفضة ، ونظراً لامتداد ايران من بحر قزوين شمالا حتى المحيط الهندي جنوباً ، فقد تميز اقليمها بوجود مناطق مختلفة في درجات حرارتها وفي مناخها ، ويغلب على المناطق الشمالية البرودة وكثرة الثلوج في الشتاء في حين تكون الأقاليم الجنوبية معتدلة في الشتاء حارة في الصيف .

أمـــا منطقة « الهضبة الإيرانية » فيغلب عليها مناخ الإقليم الصحراوي نظراً لعدم تأثرها بمناخ الشمال او الجنوب بسبب عزلتها ووقوعها بين سلسلة من الجبال المحيطة بها .

٣ ـ الزراعة والتجارة :

تعتـــبر ايران من الأقاليم الزراعية الخصبة ، فالمياه فيها متوفرة بكثرة ، وتربتها خصبة وان اختلاف المناخ والأحوال الجوية قد ساعدها على انتاج الزراعات المختلفة ، فيكثر في الجبال الجوز والتين والفواكه المختلفة .

وتـــزرع في السهول المنخفضة ، وفي الدلتا ، قصب السكر والرز والقطن ، والحبوب المختلفة .

كما اشتهرت ايران ايام العرب بصناعاتها الجلدية وصناعة السيوف والدروع نظراً لتوفر النحاس والفضة والذهب والزئبق في فرغانة .

وكانت فارس سوقاً لتصدير المواد الغذائية والاسماك المجففة والشمع والعنبر والعسل واللحوم والماشية والملح وأصناف الجبن المتنوعة .

وكانت فارس ايضاً تستفيد من موقعها ووجود طريق باب الحديد ، المعبر الوحيد الذي يصل بين سمرقند والهند ، لاستيراد التوابل والمواشي وغيرها من الهند لنقلها الى الشرق والعكس .

وكانت فرغانة وسمرقند السوق الرئيسية لتصدير الفراء الفاخر ، من الدلق والسمور والثعالب والسنجاب .

وقد اشتهرت فارس بصناعات البسط ، والديباج ، والأنسجة الحريرية ، والصباغ وعرف عنها في تلك الفترة صباغ اللون اللازوردي الذي اخذه الغرب باسم Azur .

٤ – المدن والتوزع السكاني :

تنتشر المدن في ايران على محورين رئيسيين محور شمالي ، ومحور جنوبي ويعود السبب في ذلك الى وجود ينابيع المياه وتوفر سبل الحياة والاستيطان .

تميزت مدن فارس القديمة بتنظيمها الدفاعي فقد كانت مواقع المدن حصينة تستند الى العوارض الطبيعية والجبال ، ويراعى في بنائها حمايتها بالحصون المنيعة والأقبية وإحاطتها بالخنادق بحيث تشكل كل مدينة موقعاً دفاعياً منعزلاً ومستقلا يحقق الاكتفاء الذاتي ، والسبب في ذلك هو كثرة تعرض المدن الايرانية لغزوات التتار الوافدين من أواسط آسيا .

٥ – المعطيات البشرية :

١ – تعرضت ايران في تاريخها لغزوات التتار ومن أشهر هذه الغزوات التي يذكرها التاريخ الغزوات التالية :

ا ـ غارات الرحل ، وهي همجية انطلقت من آسيا الوسطى ، عبر الشمال الغربي للصين ، وقد إستطاعت فريتا « بريتا » ان تصد هذه الهجمة مما ساعد على اقامة السلالة الايرانية الحاكمة التي عرفت باسم « الفرتيون » .

ب ـ البرابرة الكاستيين ، ١٥٢٠ ـ ١١٤٠ ق.م. وهي التي دمرت دولة حمورابي ، العموريين .

جـ ـ قبائل الهون ، في القرن الخامس الميلادي ، قاد هذه القبائل « اتيلا » .

د ـ زحف التتار ، في القرن الثالث عشر الميلادي ، وقاد هذا الزحف جنكيزخان ، وخليفته اوكتاي وهولاكو .

هـ ـ زحف التتار وقبائل التركستان ، في القرن الرابع عشر الميلادي ، وقاد هذا الزحف تيمورلنك .

لقد كانت هذه القبائل هي التي نزحت الى اوربا ، وشكلت العـرق الآري « الأوربي ، الهندي » ونظراً لتأثير هذه القبائل الكبير على فارس ، فقد صنف علماء الاجناس « الأنثربولوجيا » شعب ايران ضمن الشعوب الآرية ، وليس من بين الشعوب السامية .

٢ ـ لقد قامت على ضفاف الرافدين حضارات سامية ، حمل لواءهـا العرب الذين نزحوا من الجزيرة العربية ، ونظراً لاتصال فارس بالعرب ، ونزوح بغض القبائل من طرف الى الطرف الآخر ، فقد كانت هناك تفاعلات متبادلة ، عرقياً وحضارياً ، استطاع اليونان احتلال ايران وحكموها فترة قرنين ، وحاولوا الاختلاط بالسكان عن طريق التزاوج . ومن المؤكد حدوث تفاعلات حضارية وعرقية بين اليونان الحاكمين والفرس المحكومين . وهذا هو العنصر الثالث في التكوين البشري لسكان فارس .

ـ ثم جاءت الفتوحات الاسلامية ، فزالت الحدود ، ونزحت كثير من القبائل العربية فاستوطنت ايران وحدث العكس ايضاً اذ هاجرت مجموعات كبيرة من سكان ايران فاستوطنت العراق وسوريا ومصر ، وان ذكر هذا

العنصر الاخير ما هو الا لإيضاح فكرة زوال العرق النقي الذي يطرحه البعض حالياً ولإثبات وجود التمازج العرقي في ايران عبر التاريخ .

تكونت ايران ، مثـل كل دول العالم القديم ، فكان البدو الرحل فـي البداية ثم الاستيطان القبلي عند الانهار وينابيع المياه ثم المدن المستقلة، ثم الدولة الموحدة .

وشهدت فارس حكم ثلاث سلالات وحدتهـا ، وكانت الاسرة الساسانية ثالث هذه الاسر . وفي نهاية حكم هذه الاسرة كان الوضع الاجتماعي في حالة من التمزق على نحو ما شهدناه في الفصول السابقة .

زالت الاسرة الساسانية ، واصبح حكم ايران في يد حاكم كل ولاية او اقليم « كورة » او ناحية . وقد بلغ عدد الاقاليم المنفصلة ما يقارب الثلاثين اقليماً .

يقول الكاتب والمؤرخ « ل. لوكهارت » في وصف ايران عشية الفتح الاسلامي ما يلي (١) :

[كانت فارس في عصر الساسانيين تنزف دماً منذ عهد طويل ، تموت به موتاً بطيئاً ، وذلك نتيجة كفاحها المتواصل مع روما ، وبيزنطه ، ولهذا لم تكن في حال تستطيع معها رد الهجوم الهائل الذي شنه عليها الاسلام والذي لم يكن مادياً خالصاً . هذا من ناحية ومن ناحية اخرى ، كان العرب قبل الاسلام فريسة الانقسام ، ووحدهم بعد ذلك الشعور الديني الجارف على نحو لم يكن لهم] .

ويقول كتاب آخرون :

[ومن مراحل هذه الفترة الاحتضارية نجد ايضاً ان الفرس انفسهم لم يكونوا

---

(١) ايران والعرب ، سليم واكيم ، ص ٨٨ و ٩٠ . —

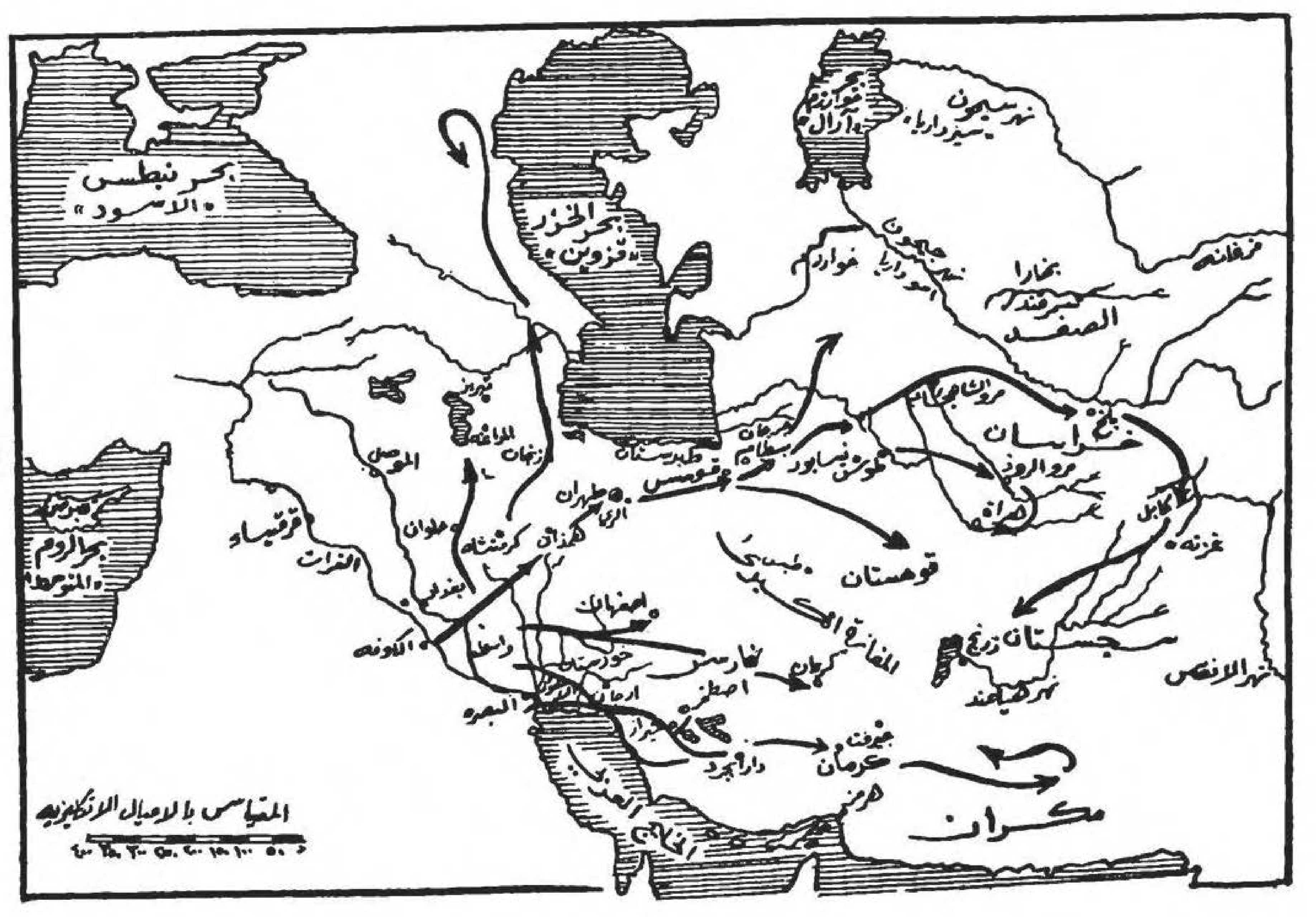
متحمسين للدفاع عن عرش الملك ضد الغزو العربي ، بسبب احوالهم الاجتماعية السيئة اولاً ، وبالتالي بسبب ما شاع عن استبداد الملوك الآخرين والفوضى الرهيبة التي سادت بلادهم ، فكان ذلك عاملا فعالاً في نصرة جنود المسلمين العرب لا يمكن نفيه] .



عمليات المحور الشمالى

- فتح قزوين وزيجان والديلم ٢٢ هـ.
- يوم ازربيجان ٢٢ هـ.-
- يوم باب الابواب ٢٣ هـ.-
- فتح جرجان وقبرستان ٢٩ هـ.-
- فتح نيسابور - طوس - مرو الروز - مرو الشاهجان - فتح هراة وبادغش ٢٥ هـ.-





بحر نبطس
« الاسود »
بحر الخزر
« قزوين »
بحر خوارزم
آرال
نهر سيحون
سيرداريا
نهر جيحون
اموداريا
خوارزم
بخارا
سمرقند
الصغد
فرغانه
خراسان
بلخ
مروالروذ
هراة
كابل
غزنه
قوهستان
المفازة الكبرى
سجستان
زرنج
نهر الاندس
فارس
اصفهان
اصطخر
شيراز
كرمان
جيرفت
هرمز
مكران
الخليج العربي
البصرة
الكوفة
بغداد
حلوان
همذان
كرمنشاه
زنجان
تبريز
المراغة
الموصل
الفرات
قرقيسياء
بحر الروم
« المتوسط »
قبرص
طبرستان
قومس
طهران
الري
نيسابور
طوس
المقياس بالاميال الانكليزية

فتح قزوين وزيجان والديلم ٢٢ هـ (١)

لقد كان هذا المحور ، هو محور الجهد الرئيسي بالنسبة لعمليات فتح ايران ، وعلى الرغم من أهميته ، فقد تأخرت اعمال القتال بسبب رغبة الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في علم زج المسلمين ضمن اقليم لا زالت المعلومات عنه منقوصة غير كاملة .

الموقع والطبيعة الجغرافية :

قزوين ، واسمها بالفارسية ، كشوين ، ومعناها « الحد المحفوظ » .

تقع في الشمال من اقليم فارس ، وهي تحتل موقعاً منيعاً على محاور الطرق الذاهبة الى الشمال في اتجاه ارمينيا ، والى الشرق حيث اقاليم قومس ، وطبرستان .

تتوفر في قزوين الينابيع والمياه نظراً لوقوعها في سفح جبل البرز الذي تغطيه الثلوج طوال ايام السنة .

اشتهر اهل قزوين بفروسيتهم وعنادهم في القتال ، وصمودهم في وجه غزوات القتال .

اما زنجان فتقع الى الغرب من قزوين .

وتقع الديلم عند الطرف الآخر من جبل البرز ، بحيث يقف الجبل حداً فاصلا بين مدينتي قزوين والديلم .

المسيرة والفتوح :

عين الخليفة عمر بن الخطاب المغيرة بن شعبة والياً على الكوفة في عام ٢٢ هـ . وكلفه بتسيير جيش لفتح قزوين وزيجان والديلم بقيادة البراء بن عازب . فنظّم المغيرة جيشاً من خمسة آلاف مقاتل .

---

(١) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٣٢١ ، معجم البلدان ، ياقوت الحموي .

تحرك البراء بن عازب من الكوفة في اتجــاه الديلم ، على محور اعلم ، اوه ، خرقان حتّى وصل « ابهر » وتوقف بها وعرض على اهلها الصلح ، ففضل سكان المدينة الدخول في الاسلام .

تابع البراء بن عازب مسيرته حتّى وصل « قزوين » . وبعــد حصارها عرض عليهم البراء الصلح ، فوافقوا وانضموا الى جيش المسلمين .

انطلق البراء بن عازب شمالا حتّى وصل الديلم ، فتقدم اهلهــا وطلبوا الصلح وفضلوا الدخول في الاسلام ، وذهبت قواتهم ومقاتلوهم الى الكوفة حيث انضموا الى جيش « زهرة بن حوية » وأصبحوا يعرفون باسم « حمراء الديلم »

اما زيجان فانها لم تستسلم فقاتل البراء اهلها ، وضرب حصاراً حولها حتّى ارغم اهلها على الاستسلام ، وفرض عليهم الجزية .

تابع البراء فتوحاته ، فصالحه اهل « جيلان والببر والطيلسان » على اساس دفع الجزية .

قال جندي في جيش فتح قزوين وزيجان والديلم :

قد علم الديلم اذ تحــارب   حين اتى في جيشه ابن عازب
بان ظن المشركين كاذب   فكم قطعنا في دجى الغياهب
من جبلٍ وعر ومن سباسب

يوم اذربيجان — ٢٢ هـ

الموقع والطبيعة الجغرافية :

اصل كلمة اذربيجان باللغة الفهلوية مكون من قسمين : اذر ، ومعناها النار ، بايكان ، ومعناها الحافظ او الخازن فيكون اصل الكلمة «بيت النار » او« خازن جهنم » . وقد حرف العرب كلمة اذر-بايكان الى اذربيجان.

يحد اذربيجان من الشرق بحر الخزر « قزوين » ومن الشرق العراق ، ومن الشمال ارمينيا ، ومن الجنوب اقليم الجبال .

من اهم مدن اذربيجان « تبريز » ، والمراغة ، واردبيل ، وكانت « المراغة » هي العاصمة القديمة للاقليم .

يقع القسم الأكبر من اقليم اذربيجان في مناطق جبلية ، وبساتين الاقليم خصبة ، المياه فيه وفيرة ، يعتمد في زراعته على الأشجار المثمرة المتنوعة ، وتزرع فيه الخضار والحبوب المختلفة .

مسيرة الاعمال القتالية :

كان عتبة بن فرقد يتقدم في اقاليم اذربيجان ، وعلم ان اسفنذياذ بن الفرخذاذ ملك اقليم اذربيجان يحشد قوات كبيرة لقتال المسلمين ، فكتب رسالة الى الخليفة عمر ، يشرح فيها الموقف ويطلب دعمه .

ارسل الخليفة الى نعيم بن مقرن بتوجيه قوات لدعم عتبة بن فرقد وتعيين سماك بن خرشة على رأس هذه القوات ، وانتظر نعيم بن مقرن ريثما انتهت معركة واج روذ بانتصار المسلمين فأصدر تعليماته الى سماك بالتوجه الى اذربيجان ودعم عتبة بن فرقد .

في الوقت ذاته كان بكير بن عبدالله يتقدم بقواته متوجهاً الى الباب في ارمينيا .

اثناء مرحلة المسير ، اصطدمت قوات بكير بن عبدالله الليثي بقوات « اسفنذياذ بن الفرخذاذ » خلال انسحابها بعد هزيمتها في معركة واج روذ ، ووقعت معركة كبيرة بين الطرفين ، انتهت بهزيمة اسفندياذ على مقربة من مدينة « جرميذان » ووقوع الملك اسيراً في قبضة بكير .

وعد الملك بكير اسفندياذ بتوقيع اتفاقية الصلح مع جيش المسلمين ولكنه طلب ترك الحرية له في تحديد موعد اعتماد هذه الاتفاقية ، كما طلب الاحتفاظ

به اسيراً حتى يحين هذا الموعد وذلك لاحباط روح المقاومة عند قومه، وعدم اعطائهم فرصة الهروب الى الجبال، لتشكيل مقاومات جديدة في وجه جيش المسلمين.

التقت جيوش بكير بن عبدالله وسماك بن خرشة ، وعتبة بن فرقد ، فقام بكير بتسليم الملك اسفنذياذ الى عتبة بن فرقد ، وتابع مسيرته كمقدمة للقوات .

كان بهرام بن الفرخذاذ ، اخو الملك اسفنذياذ يتوقع المحور الذي ستتحرك عليه قوات المسلمين فنصب كميناً بجيشه ، واصطدمت قوات بكير بقوات الكمين ، ووقعت معركة طاحنة ، انتهت بانتصار جيش بكير ، وهروب بهرام . وعندئذ صرح الملك «اسفنذياذ» برغبته في توقيع اتفاقية الصلح مع المسلمين قائلا : الآن تم الصلح .

وقام عتبة بن فرقد وسماك بن خرشة بالتوقيع نيابة عن المسلمين ووقعها الملك اسفنذياذ نيابة عن اهالي اقليم « اذربيجان » .

يوم باب الابواب – ٢٢ هـ (١)

باب الابواب ، مدينة كانت تحتل موقعاً متوسطاً ما بين باكو وكروزني على الساحل الغربي من بحر قزوين ، وهي تقع في سفح جبال القوقاز الممتدة ما بين بحر القزوين والبحر الاسود .

اوامر التحرك :

اصدر الخليفة عمر تعليماته الى والي البصرة ، ابي موسى الاشعري ، بتوجيه سراقة بن عمرو ذو النور لفتح الباب وتعيين عبد الرحمن بن ربيعة الباهلي لقيادة المقدمة ، وتعيين حذيفة بن أسيد الغفاري لقيادة المجنبة ، وتعيين بكير بن عبد الله الليثي لقيادة المجنبة الاخرى .

---

(١) تاريخ الطبري ، ج ٤ ص ١٥٢ – معجم البلدان ، ياقوت الحموي ، ج ١ .

كان بكير بن عبدالله ، يخوض معركته مـع قوات عتبه بن فرقد لفتح اقليم اذربيجان ، ولم ينتظر سراقة بن عمرو وصول بكير ، فكتب له ان يلحق به الى « باب الابواب » .

وفي الوقت ذاته ،صدر الخليفة عمر تعليماته لتوجيـه حبيب بن مسلمة على رأس جيش « أهل الجزيرة » بهدف دعم سراقة .

التقى جيش حبيب بن مسلمـة وبكير بن عبدالله بجيش سراقة قريباً من منطقة الباب واعاد المسلمون تنظيم جيشهم واندفع عبد الرحمن بن ربيعة على رأس المقدمة .

شعر شهربراز ، قريب ملك اقليم ارمينيا ، انـه لا يستطيع ايقاف زحف جيش المسلمين فخرج بنفسه يطلب الصلح من عبد الرحمن بن ربيعة ، فاعلمه عبد الرحمن انه لا يستطيع عقد الصلح لانه غير مكلف بذلك من قائد الجيش ، وارسل معه قوة رافقته حتى مقر قيادة سراقة بن عمرو ووافق سراقة على عقد الصلح ، ووقع وثيقة الصلح سراقة بن عمرو نيابة عن المسملين وشهربراز نيابة عن اهل ارمينيا .

عين سراقة بعد ذلك عبد الرحمن بن ربيعـة لولاية الاقليم ووجه قواته على النحو التالي :

١ ـ بكير بن عبد الله على رأس قوة لفتح اقليم « موقان » الواقع عـلى بحر قزوين .

---

(١) المرجع ، تاريخ الطبري ، ج ٤ ص ١٥٥ - معجم البلدان ، ياقوت الحموي ، ج ١ ص ٢٤٥ .

٢ – حبيب بن مسلمة لفتح محور « تفليس » في وسط جبال القوزاق « اللان » (١) .

٣ – حذيفة بن أسيد الى المنطقة الجبلية من « القوازق » « جبال اللان » .

٤ – سليمان بن ربيعة لفتح السهول الشمالية من القوزاق « أراضي الاتحاد السوفييتي » .

لم تمض سوى فترة قصيرة حتى توفي سراقة بن عمرو ، واقر الخليفة تعيين عبد الرحمن بن ربيعة وكلفه بمتابعة فتح « بلاد الترك » .

فتح جرجان وطبرستان ٢٢ هـ

يوم جرجان (٢)

يحتل اقليم جرجان قسماً من الجهة الشرقية لبحر قزوين « الخزر » . اما مدينة جرجان فهي عاصمة الاقليم ويمر بها النهر الذي يحمل اسمها . وتقع المدينة في سفح جبل بحيث تضم مناظرها السهل والجبل والبحر في وقت واحد . « مدينة كراسنوفودسك السوفييتية حالياً » .

يحد اقليم جرجان شرقاً اقليم خراسان . اما من الشمال فسهول وجبال « الأورال » .

يتميز اقليم جرجان بمياهه الغزيرة ، وبثروته الزراعية وتربية المواشي .

المسيرة الى جرجان :

عين الخليفة عثمان ، والياً على البصرة هو عبدالله بن عامر بن كريز بن

---

(١) كان جبل القوزاق يعرف عند العرب باسم جبل « القبق » اما السهول الشمالية فكانت تسمى سهول اللان ، وكان اهل ارمينيا قد اقاموا مجموعة من القلاع لحماية بلادهم من غزوات التتار ومن اشهر هذه القلاع القلعة القريبة من « تفليس » وهي من اشهر الروائع العالمية ، لانها مبنية في الصخور الصماء فوق المرتفعات وهي اشبه « بعش نسر » معلق في السماء . تشرف على جميع الاودية ومحاور الاقتراب ، ولا يمكن الوصول اليها ارضاً إلا فوق الجسر القائم فوق نهر « تفليس » . وفي القلعة ينبوع ماء عذب ، فتحها مسلمة بن عبد الملك واقام بها حامية عربية .
« المؤلف »

(٢) المراجع تاريخ الطبري ج ٤ ، ص ١٥١ والواقدي تاريخ البلاذري ص ٤٦٧ ، معجم البلدان لياقوت الحموي ص ١١٩ .

ربيعة بن حبيب بن عبد شمس . وطلب اليه متابعة الفتوحات الاسلامية في فارس .

وصلت رسالة من مرزبان طوس الى عبدالله بن عامر يطلب فيها تحرك الجيوش الاسلامية لبلاده من اجل عقد صلح معها .

ارسل عبدالله بن عامر جيشاً الى فارس يقوده سويد بن مقرن . وعندما وصل الجيش بسطام ، ارسل وفداً الى رزبان صول ملك جرجان يعرض عليه الصلح فبادره رزبان صول بقبول الصلح .

يوم طبرستان :

يحتل اقليم طبرستان الحدود الجنوبية من بحر قزوين ويقع القسم الأكبر من الاقليم في المناطق الجبلية وفي سفوح جبال البرز .

ان اصل كلمة « طبر » باللغة الفهلوية » هي الفأس ، وزنان تعني النساء، وهكذا فان اسم الاقليم هو الفؤوس والنساء .

كانت السهول الساحلية اكثرها مرزغية تكثر فيها الحميات وامراض الملاريا بسبب وفرة المستنقعات .

الصلح مع طبرستان :

أرسل سويد بن مقرن وفداً الى طبرستان « الأصبهبيذ » عارضاً عليه الصلح على الأسس المعروفة :

١ ـ الدخول في الاسلام ٢ ـ دفع الجزية ٣ ـ الحرب .

فصالح ملك طبرستان على دفع الجزية .

انتقضت طبرستان مرات وصالحت بعد كل نقض ، وكانت آخر مرة هي تلك التي أرسل فيها معاوية جيشاً من عشرة آلاف مقاتل يقوده مصقلة ابن هبيرة بن شل ، ونصب أهل طبرستان كميناً في الجبال ، واستخدموا

الصخور لسد محاور الطرق وإبادة جيش مصقلة ، فقتل قسم كبير من الجيش وذهب هذا الجيش مثلا حيث يقال (حتّى يعود مصقلة من طبرستان) . وفي النهاية استقر أمر الاسلام في اقليم طبرستان .

فتح نيسابور – ٢٩ هـ
فتح طوس – ٢٩ هـ
مرو الروذ – ٢٩ هـ
فتح هراة وبادغيش وبادغيش ٢٩ هـ

الموقع والطبيعة الجغرافية لنيسابور :

تقـــع نيسابور في اقليم خراسان ، في الطريق الى طوس ومرو . تشتهر بمياهها الجوفية الغزيرة ، وتكثر فيها الينابيع ، تربتها خصبة وثروتها الزراعية كبيرة ومتنوعة .

بعـــد توقف عبدالله بن عامر بن كريز في « بسطام » وتوقيع الصلح مع جرجان وطبرستان توجه الى نيسابور ، ودفع الاحنف بن قيس على رأس المقدمة ، وعندما وصل جيش عبدالله بن عامر الى نيسابور وجد أن اهلها قد تحصنوا ، فنظم الحصار حول المدينة وأقام على اسوارها فترة طويلة ، ولما عرف « الأسوار » ملك نيسابور أن طول الحصار لم يضعف من إرادة القتال لدى المسلمين ، اتصل بعبدالله وعرض عليه الصلح ووافق عبدالله .

من نيسابور الى طوس ٢٩ هـ :

تضم طـــوس قسمين « الطابران ونوقان » تبعد مسافة ٥٠ ميلا تقريباً الى الشرق من نيسابور ، وفيها قبر هارون الرشيد وقبر علي بن موسى الرضى .

عندما شعر « كنـــازا » ملك طوس ، انه لا يستطيع ايقاف زحف جيش المسلمين . عرض على عبدالله بن عامر الصلح ، ووافق عليه .

من طوس الى مرو – ٢٨ هـ (١) :

هناك بلـــدان يحملان اسم مرو ، الأولى في الشمال عند منتصف المسافة ما بين نيسابور وبخاري وتعرف بمرو الشاهجان والثانية تسمى مرو الروذ لتمييزها وتقع الى الجنوب من الأولى والروذ معناها « بلغة خراسان » النهر . ومرو ، حجارة بيضاء ، ويصبح معنى مرو الروذ نهر الحجارة البيضاء .

اما مرو الشاهجان ، فمعنى الشاه « الملك » وجان الروح او النفس، فيصبح الاسم « روح السلطان » .

عند ما علم اهل مرو بسقوط نيسابور وطوس في يد المسلمين ارسلـــوا وفداً الى عبدالله بن عامر ، وصالحوه على الجزية .

فرض الجزية على هراة ويوغيش وبادغيش ٢٩ هـ (٢) :

هراة من اكبر مدن خراسان ، تقع عـــلى نهر هراة الى الجنوب الغربي من مرو الروذ تشتهر بحقولها الخصبة ومياهها العذبة ، دمرها التتار أثناء غزواتهم

كان كثير مرد ملكاً عـــلى هراة ويوغيش وبادغيش ، وعندما علم بقدوم لمسلمين أرسل يعرض عليهم الصلح ، ووافق عبدالله بن عامر على عقد اتفاقية صلح معهم على اساس دفع الجزية .

عقد الصلح مع الجوزجان – ٢٩ هـ :

كانت الجوزجان او « الجوزجـــانان » مدينة تحتل موقعاً متوسطاً بين مرو الروذ وبلخ . ويقال لمركزها « اليهودية » ومن اهم مدنها الأنبار ، وفاريات وكلار .

عندما علم سرخس ، ملك الغـــاريات والطالقان ، باقتراب جيش المسلمين

---

(١) معجم البلدان ، ياقوت الحموي ، ج ٥ – ص ١١٢ .

(٢) معجم البلدان ، ياقوت الحموي ، ج ٥ ، ص ٣٩٦ .

تحصن في الجوزجان ، ولما اقترب عبد السائب بن الأقرع على رأس مقدمة جيش المسلمين بقوة ألف فارس تصدت له قوات الملك ، وأبادت القوة بكاملها تقريباً . عندئذ وجه عبدالله بن عامر جيشاً كبيراً بقيادة الأحنف بن قيس ، فاستسلمت له المدينة وعقد صلحاً مع اهلها .

لم تلبث مدينـــة الجوزجان أن أعلنت تمردها ، وكان عبدالله قد ذهب الى المدينة لقضاء العمرة فقاد الأحنف قوات الجيش والتقى بالمتمردين في منتصف المسافة بين مرو والزرود ودارت معركة عنيفة بين الطرفين انتهت بانتصار المسلمين . وتابع الأحنف بن قيس زحفه حتّى وصل باخ . فخرج ملك بلخ « نوان » وعقد صلحاً مع الأحنف على دفع الجزية .

الصلح مع الغاريات والطالقان

الغاريات والطالقان مـــن المدن التابعة لخراسان .

عندما علم سرخس ملك الغاريات والطالقان باقتّراب جيش المسلمين خرج اليهم وصالح عبدالله بن عامر ، وأقر له بدفع الجزية .

فتح زرنج وكابل :

كابل من المدن الرئيسية في اقليم سجستان (افغانستان حالياً) ينبع منهـــا احد روافد نهر « الاندس ــ السند » وهي متاخمة لحدود الهند ، اشتهرت بالزراعة والتوابل .

أما زرنج فتقع عند مصب نهر هيلمند قريباً من البحيرة التي تحمل اسمها .

وجـــه عبد الله بن عامر قائده عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب بن عبد شمس لفتح اقاليم سجستان واصطدم عبد الرحمن بمقاومة عنيدة قرب زرنج. وبعد معركة شرسة انتصر عبد الرحمن ودخل المدينة وفرض على أهلها الجزية.

---

(١) فتوح البلدان ، البلاذري ، ص ٣١٠ .

تابع عبد الرحمن زحفه حتى كابل ، وحاصرها سنة كاملة ، ثم استسلمت له المدينة ، ففرض الصلح على أهلها .

وبانتهاء هذه العمليات يكون عبدالله بن عامر قد حقق انجازاً كبيراً في الاستيلاء على كامل اقاليم فارس وكرمان وسجستان وخراسان .

القطاع الاوسط

- عمليات إقليم الجبال -
- فتح اصبهان - كرمان - واج - روذ - الري

تقع همذان والري الى الشمال من نهاوند .

وتقع كرمان الى الغرب من نهاوند .

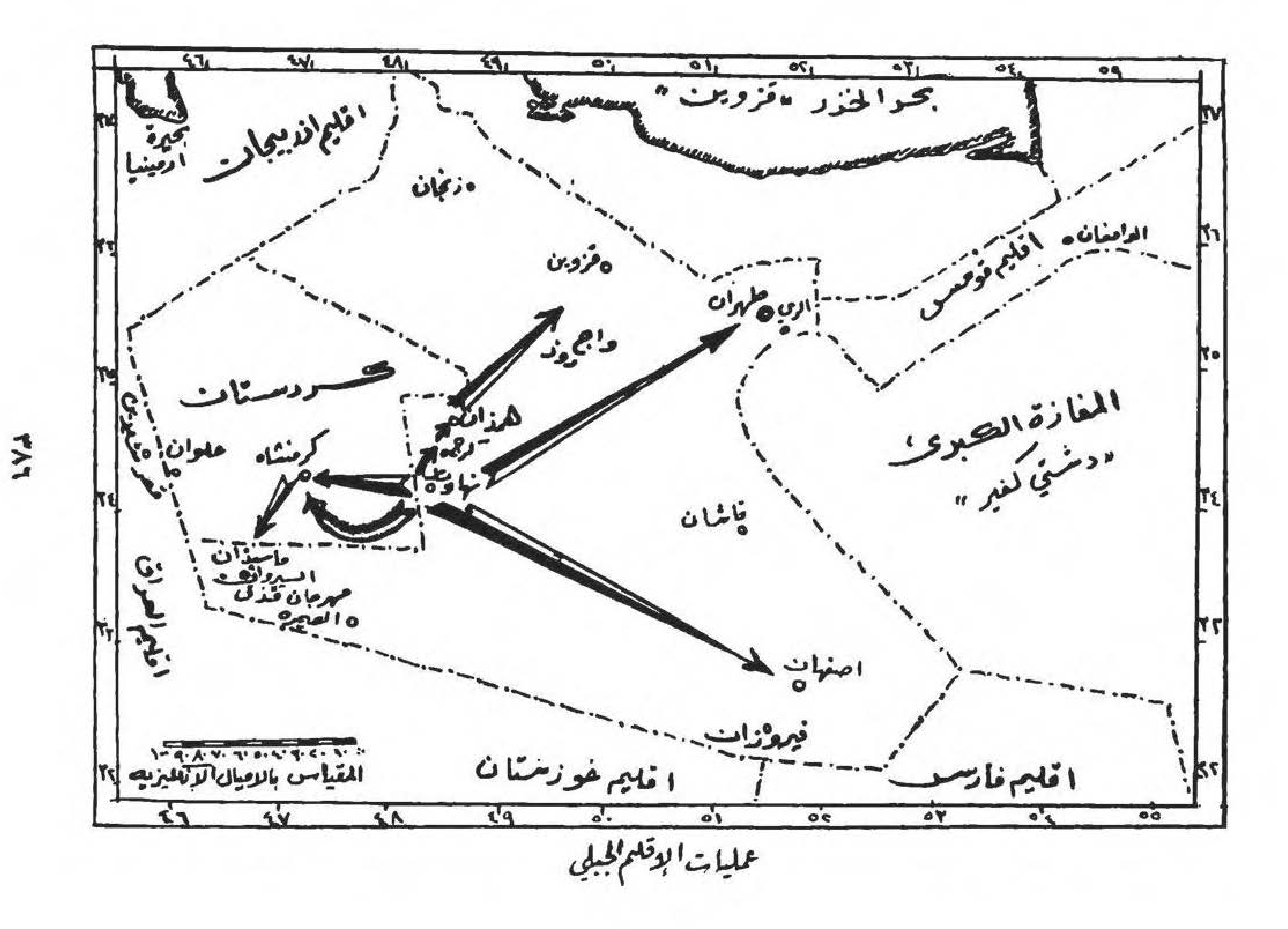
وتقع اصبهان الى الجنوب .

هذا الاقليم ، اقليم الجبال كما كانوا يسمونه لوقوع القسم الاكبر منه على جبال زاغروس هو اقرب اقاليم «ايران» الى العراق وهو يماثله طبيعة وتكويناً ومناخاً .

يحد هذا الإقليم من الشرق المفازة الكبرى ويحده غرباً ريف العراق ويحده شمالاً اقليم طبرستان واذربيجان . اما من الجنوب فاقليمي فارس وخوزستان .

مياه اقليم الجبال وفيرة وتربته خصبة ، اشتهر منذ القدم بصناعة الصوف والأصبغة وصناعة البسط السجاد وتربية المواشي .

ونظراً لقرب هذا الاقليم من العراق ، فقد كان بدهياً ان يستهدفه المسلمون بالدرجة الأولى حتى يصبح قاعدة للانطلاق في عمليات التوغل حتى آخر خراسان .



عمليات الإقليم الجبلي

يوم اصبهان ـ ٢١ هـ (١)

انتهت معركة نهـاوند ، وأفاد أبوموسى الأشعري من الروح المعنوية العالية التي اكتسبها المسلمون فأسرع بجيشه ، وتوغل في اقليم فارس متوجهاً الى «اصبهان»(*) . ولما وصل «قم» ضرب حصاراً حولها ، وبعد أيام قليلة فتحها وصالح أهلها على الجزية . ثم دفع الأحنف بن قيس « الضحاك بن قيس التميمي » الى قاشان ، فصالح أهلها بعد أن فتحها عنوة ثم لحق به . ولما وصل اصبهان « خرج ملك فارس القاذوستان » وصالحه على الجزية ، وعاد ابو موسى الأشعري .

لم يلبث القاذوستان فترة ، إلا وأعلن تمرده وخروجه على اتفاقيـة الصلح ، فأرسل ابو موسى يستشير الخليفة عمر . وكانت اجابة الخليفة الثاني تتضمن تسيير جيش الى اصبهان على النحو التالي :

١ ـ عبدالله بن عبدالله بن عتبان الانصاري ، قائداً للجيش .

٢ ـ عبدالله بن ورقاء الرياحي ، قائداً للمقدمة .

٣ ـ عبدالله بن ورقاء الأسدي ، قائداً للمجنبة .

تحرك الجيش بعـد أن أكمل تنظيمه واستعداده ، وبدأ عملياته القتالية بالتوجه الى جي (٢) ففتحها ثم انتقل الى اليهودية ، فخرج اهلها وصالحوا عبدالله على دفع الجزية ، وتابع عبدالله تحركه حتى وصل اصبهان .

---

(١) الاصب بالفارسية « بلد » و« هان » ، الفارس ، فتكون بلد الفرسان ، معجم البلدان ياقوت الحموي ، ج ١ ـ ص ٢٠٦ .

(*) وجه ابو موسى الاشعري في الوقت ذاته قوة بقيادة عتبة بن فرقد السلمي لفتح حلوان وشهرزور والصامغان ودراباز ، فصالحه أهل هذه المدن على الجزية دون قتال . وحلوان هذه واحدة من ثلاث مدن تحمل الاسم ذاته ، حلوان مصر ، وحلوان العراق ثم هذه واسمها حلوان فارس قريبة من نيسابور . (المؤلف)

(٢) جي ـ دمرت وقامت على انقاضها « شهرستان » .

كان « القاذوستان » قد نظم دفاعه ، فحاصره عبدالله وشدد القيود ، ولما عرف القاذوستان أن معركته خاسرة اختار أربعين فارساً ، وخرج بهم على شكل إغارة مباغتة يريد كسر طوق الحصار والفرار في اتجاه كرمان ، إلا أن عبدالله استطاع أن يلحق به ومعه مجموعة من الفرسان المسلمين . فعرض القاذوستان على عبدالله أن يقاتله بنفسه ، وبعد معركة قصيرة تمكن عبدالله من خصمه وقتله وانهارت الروح المعنوية للمقاتلين الفرس ، فاستسلموا ، وعاد أهل « أصبهان » الى سابق عهدهم ، والتزموا بتنفيذ بنود اتفاقية الصلح التي كان قد أبرمها معهم أبو موسى الأشعري .

كان السهيل بن عدي يقاتل في كرمان ، فجاءت رسالة من الخليفة عمر إلى عبدالله يأمره فيها التوجه الى كرمان وترك عبدالله السائب بن الأقرع لولاية اصبهان ، وسلم عبدالله خلفه وسار الى حيث أمره الخليفة .

قال عبدالله بن عتبان في يوم اصبهان :

الم تسمع وقد أودى ذميماً	بمنعرج السراة من اصبهان
عميد القوم اذ ساروا الينا	بشيخٍ غير مسترخي العنان

• • •

من مبلغ الاحياء عني فانني	نزلت على جي وفيها تفاقم
حصرناهم حتّى سروا ثمت انتزوا	فصدهم عنا القنا والصوارم
وصاولها « القاذوسقان » بنفسه	وقد دهدهت بين الصفوف الجماجم
فثاورته حتّى اذا ما علوته	تفادى وقد صارت اليه الخزائم
وعادت لقوحاً اصبهان باسرها	يدر لنا فيها القوى والدراهم
واني على عمد قبلت جزاءهم	غداة تفادوا والعجاج فواقم
ليزكوا لنا عند الحروب جهادنا	اذا انتظمت في المأزقين المماهم

يوم همذان ـ ٢٢ هـ (١)

موقع همذان :

همـــذان عاصمة اقليم « دستبي » وهي من اقاليم الجبال ، وتعتبر همذان وأصبهان توأمان في تاريخهما ، ويعني اسم همذان بالفارسية « المحبوبة » . وكانت أيام الأكاسرة مصيفاً لهم .

تقـــع همذان في سفح جبل « أروند » الأخضر ، وبها مياه غازية ، مناخها صحي ، مناظرها رائعة تغطي الثلوج مرتفعات الجبل الشاهقة ، شتاؤها بارد جداً .

أمر القتال :

وصلت انباء النصر في نهاوند الى الخليفـــة عمر بن الخطاب ، فأرسل رسالة الى نعيم بن مقرن هذا نصها :

[سر حتى تأتي همذان ، وابعث على مقدمتك سويد بن مقرن ، وعلى مجنبتك ربعي بن عامر ومهلهل بن زيد ، هذا طائي وذاك تميمي] .

نظم قواته ، وتحرك في اتجاه همذان ، وعند مروره ببلدة « ماه » تعرضت له بعض القوات المتفرقة ، فهاجمها ، فلجأت هذه القوى إلى قلاعها الجبلية ، فترك عندها النسير بن ثور مع قبائل عجلى * وحنيفة لحصارها ، وتابع تقدمه حتى ثنية العسل ، حيث قتل الفيرزان على يد القعقاع بن عمرو .

بعد تجاوز ثنيـــة العسل ، انضمت قوات القعقاع بن عمرو ، وتابع حذيفة مسيرته حتى وصل همذان ، فوجد ان « خسرو شنوم ملك اقليـم دستبي » قد اعتصم وقواته وراء اسوار المدينة .

---

(١) تاريخ الطبري ، ج ٤ ، ص ١٤٦ .

(*) معجم البلدان ، ياقوت الحموي ، ج ٥ ص ٤١ .

مسيرة العمليات :

نظم نعيم بن مقرن قواته للإحاطة بالمدينة وعزلها ، وأقام فترة على حصارها . وخاف أن يطول الحصار فتشعر قواته باليأس ، فترك حامية تحيط بالمدينة ، وانطلق بقواته عبر الإقليم واستسلمت له كثير من المواقع فصالحها على الجزية .

رأى خسروشنوم ان المعركة لن تكون لصالحه ، وشعر أنه أصبح في عزلة عن كل الأقاليم وأنه ما من سبيل لوصول إمدادات إليه . فصالح حذيفة على مثل ما صالح به أهل نهاوند . وأصبح إقليم دستبي خاضعاً لسيطرة المسلمين بكامله .

لم يمض سوى أشهر قليلة على توقيع اتفاقية الصلح حتى أعلن اهل همذان تمردهم ، فأرسل الخليفة عمر أوامره الى المغيرة بن شعبة بتوجيه جرير ابن عبدالله البجلي لإعادة فتح همذان .

وصل جرير في عام ٢٣ هـ وحاصر همذان واصابه سهم اقتلع عينه فقال :

[احتسبتها عند الله ، زين بها وجهي ونوّر لي ما شاء ثم سلبنيها في سبيله]

ثم قام جرير وجيشه بهجوم كبير تمكنوا به من فتح همذان ، بعد معركة طاحنة ، وفرض على أهلها الجزية مثلما كانت عليه قبل التمرد .

يوم واج روذ - ٢٢ هـ

موقع واج روذ :

مدينة بادت وكانت تقع في الطريق ما بين همذان وقزوين(١) .

توفرت المعلومات عند نعيم بن مقرن بعد معركة همذان أن هناك تجمع كبير في واج روذ يضم قوى كثيرة ، وان هذا التجمع يتكون من :

---

(١) تاريخ الطبري ، ج ٤ ص ١٥٠ - ١٥١ .

١ – جيش الديلم ، ويقوده « موتا » ملك الديلم .
٢ – جيش اذربيجان ويقوده اسفندياذ اخو رستم .
٣ – جيش الري ويقوده الفرخان بن الزينبدي « ويسميه العرب الزينبي ».

أرسل حذيفة المعلومات الى الخليفة عمر ، فكتب ابن الخطاب رسالة الى عامله على الكوفة عمار بن ياسر ، يطلب توجيه جيش من ثمانية آلاف مقاتل بقيادة عروة بن زيد الخيل الطائي بمهمة فتح الري ودستبي .

وفي الوقت ذاته ارسل حذيفة على جيشه سلمة ابن عمرو بن ضرار الضبي ، وهو البراء بن عازب للقاء تجمع قوات العدو .

مسيرة العمليات :

كان جيش نعيم بن مقرن يضم ١٢,٠٠٠ مقاتل ، واندفع سلمة الضبي ومعه سويد بن مقرن حتى وصل واج روذ ونزل في موقع يجاور قوات التجمع .

كانت قوات الخصم متفوقة عددياً بما يعادل خمسة الى واحد . ولهذا كانت المعركة طاحنة جداً اظهر فيها الطرفان ارادة قوية ، واستطاع جيش المسلمين انتزاع النصر . وتمزقت قوات التجمع ، وانسحبت من المعركة .

فتح الري وقومس – ٢٢ هـ

عندما وصل عروة بن زيد الخيل الطائي ، كانت معركة واج روذ قد انتهت فتوجهت قوات الجيشين الى الري . وفي الطريق طوقت قوات المسلمين حصون « الزينبي » ملك الري وقومس ودستبي الرازي ، فخرج « الزينبي » وعرض على المسلمين الصلح . كما أظهر لهم استعداده لمساعدتهم على فتح الري التي كانت تابعة له بعدما تحصن فيها الملك سياوخش بن مهران بن بهرام شوبين .

كان سبب انضمام الزينبي لجيش المسلمين هـو وقوع خلاف بينه وبين سياوخش اثناء معركة واج روذ ، مما دفعه الى الإنضمام لجيش المسلمين ضد عدوه .

نجح « الزينبي » في فصل أهـل دنباوند ، وطبرستان وقومس وجرجان عن الملك سياوخش وبذلك ضعفت قوته . إلا أنه لم يقبل الصلح الذي عرضه عليه عروة الطائي .

حدثت معركة شرسة بين قـوات سياوخش وبين جيش المسلمين وانتهت المعركة بانتصار جيش المسلمين فتراجع سياوخش الى الري وتحصن فيها .

وجـه « الزينبي » جيش نعيم بن مقرن عبر المسالك الجبلية إلى موقع يقع خلف المدينة . وتسللت مجموعة من الفرسان مستفيدة من الليـل وقاموا باغارتهم المباغتة مع أول ضوء . وفي الوقت ذاته انطلق المسلمون بهجوم جبهي ، فسقط في المعركة من القتلى ما يعادل خسائر الفرس يوم فتح المدائن. واستطاعت بعض زمر « سياوخش » الفرار بعيداً عن ميدان المعركة .

صالح نعيم أهـل الري بموجب الإتفاق المعقود مع « الزينبي » إلا أنه لم تمض سوى فترة حتى عادت فنكثت بالإتفاقية وأعلنت الخروج على سلطة المسلمين فعادوا وأخضعوها ، وتكررت العملية مرات عديدة ، وكان آخر من فتحها قرظة بن كعب الأنصاري .

انتقل نعيم بن مقرن الى الري بعـد فتحها وجعلها مقراً له ، كما وجه جيشاً لدعم بكير بن عبدالله عملا برسالة الخليفة عمر التي كان قد ارسلها اليه قبل المعركة وجاء فيها :

[استخلف على همذان ، وأمد بكير بن عبدالله بسماك بن خرشة ، وسر حتى تقدم الري ، فتلقى جمعهم ، ثم أقم بها فانها اواسط تلك البلاد ، واجمعها لما تريد] .

انطلق سماك بن خرشة لدعم بكير بن عبد الله الذي كـــان يحاصر اذربيجان ويفتح اقاليمها .

وتم تعيين يزيد بن قيس الهمذاني ، خلفـــاً لحذيفة بن اليمان في نهاوند .

واصبحت الري ، مقر الولاية .

قصيدة نعيم بن مقرن في واج روذ :

فلما اتاني ان « موتا » ورهطـــه	بني باسل جروا جنود الاعاجم
صدمناهم في « واج روذ » بجمعنا	غداة رميناهم باحدى العظائـــم
فما صبروا في حومة الموت ساعة	بحد الرماح والسيوف الصـــوارم
اصبنا بها « موتا » ومن لف لفه	وفيها نهاب قسمها غير غانـــم
كأنهم في واج روذ وجـــــره	ضئين اغانتها فروج المخارم

فتح كرمان ـ ٢٣ هـ :

بعد انتهاء أبو موسى الأشعري من عمليات فتـــح أصبهان تابع مسيرته للسيطرة على إقليم الجبال . فقرر فتح كرمان لأنها بقيت بمثابة موضع جانبي معزول .

وجه أبو موسى الأشعري جيشاً بقيادة سهيل بن عدي الخزرجي ومعه النسير بن عمرو العجيلي بمهمة التحرك على محور « القرى » والوصول الى جيرفت ثم التوجه الى كرمان .

كما وجـــه عبدالله بن عبدالله على رأس قوة أخرى بمهمة التحرك عـــلى محور مفازة شتيرة وتطويق المدينة ودعم جيش النسير .

وصل جيش سهيل الى المدينة وضرب حصاراً حولها ثم تمكن مـــن اقتحامها وبعد معركة قصيرة استسلمت المقاومة .

فتح الدينور وماسبذان ومهرجا نقذف– ٢٢ هـ :

انطلق حذيفة بن اليمـــان بعد ذلك في اتجاه الجنوب فوصل الدينور، وضرب حصاراً حولها لفترة أربعة أيام . وفي اليوم الخامس ، وقعت معركة بين جيش أبو موسى وأهل المدينة واستمرت المعركة طوال النهار ، وانتهت بانتصار المسلمين واستسلام المدينة .

تقـــدم أبو موسى الأشعري جنوباً حتى وصل ماسبذان ، فخرج أهلها وصالحوه على الجزية .

ثم تابع تحركه حتى وصل السيروان ، فصالح أهلها ايضاً .

أراد أبو موسى الأشعري متابعة عملياته والتوجه لفتح خراسان ، لكن الخليفة عمر رفض دفع المسلمين داخل الأقاليم قبل ان تتوفر معلومات كافية عنها وطلب إلى أبو موسى الأشعري العودة الى البصرة ، فرجع بجيشه عن طريق «سن سميرة»(١) أو القلعة الشرقية .

يوم الاهواز في بروز – ٢٤ هـ :

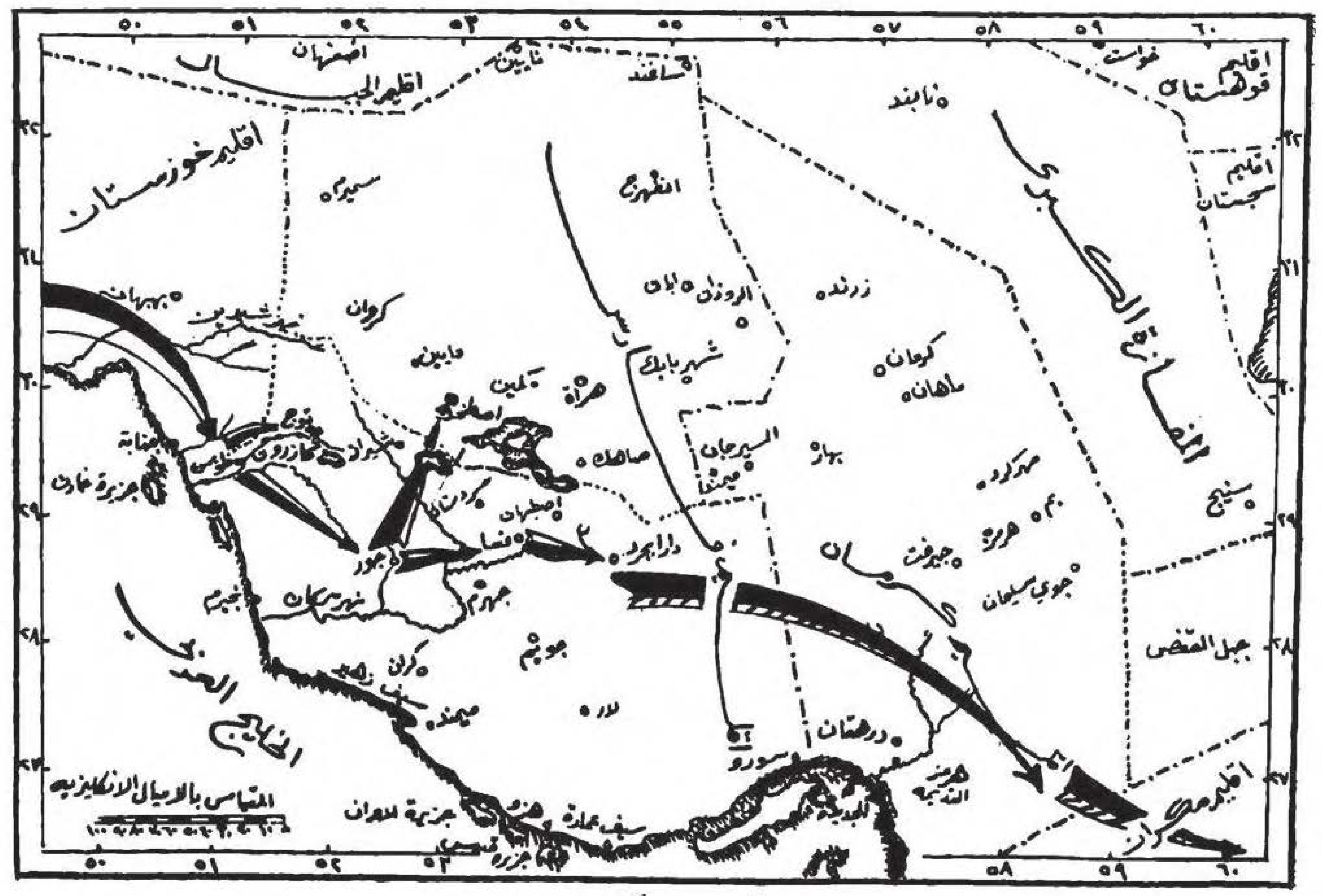
تجمـــع المقاتلون من أهل فارس والأكراد في «بروز» من منطقة الأهواز

عندما علم أبو موسى الأشعري بذلك ، انطلـــق بجيش البصرة حتى وصل الى المنطقة ما بين مناذر ونهر تيري . ودارت رحى معركة قاتل فيها الطرفان بعناد . وانتهت المعركة بانتصار الأشعري . وترك أبو موسى الأشعري الربيع بن زياد لتصفية بقية المقاومة وتابع تحركه في اتجاه اصبهان بهدف تقديم الدعم الى جيش الكوفة الذي كان يحاصر «جي»(٢) وبعد فتحها عاد الى البصرة .

---

(١) سميره : هي امرأة من ضبة من بني معاوية بن كعب بن ثعلبة بن سعد بن ضبة ، مـــن المهاجرات عندما مر المسلمون للمرة الأولى من العراق الى نهاوند وتجاوزوا المضيق الجبلي ، شبه أحدهم الجبل المرتفع «بسن سميره» وبقي هذا الاسم معروفاً طوال فترة الفتوح .

(٢) جي ، مدينة من نواحي اصبهان ، دمرت وقامت على انقاضها شهرستان .



إقليما فارس وكرمان

عمليات المحور الجنوبي

- عمليات إقليم فارس، المحور الجنوبي

الطبيعة الجغرافية والموقع (١) :

اقليم فارس من الأقاليم الجنوبية ، يحده شرقاً المفازة الكبرى واقليم كرمان ، ويحده من الغرب « الخليج العربي » كما يحده الخليج العربي من الجنوب ايضاً ، ويحده من الشمال اقليم فارس واقليم الأهواز .

من أشهر المدن التي كانت أيام الفتوح : اصطخر ، اردشير خرة ، دارا بجرد ، سابور ، قباذ خرة ، ولكل مدينة ونواحبها الميزات التالية :

١ ـ اصطخر (٢)

اول من بناها اصطخر بن طهموث ملك فارس وهي من أقدم مدن الإقليم وكانت العاصمة قبل ان ينقل الملك اردشير عاصمته الى «جور» ، وبها مسجد سليمان ، تحيط بها الجبال العالية الوعرة ، يتوفر فيها الحديد ، كما يتوفر الزئبق في احدى قراها القريبة من دار أبجرد . من أهلها الإمام عبدالله بن أحمد حنبل وعلي عبد العزيز البغوي .

٢ ـ توج (٣) :

تقع في غور منخفض قريبة من كارزون ، شديدة الحرارة في الصيف ، دافئة في الشتاء . اشتهرت بزراعاتها ووفرة مواسمها وثروتها الحيوانية .

---

(١) تاريخ الطبري ـ معجم البلدان ، ياقوت الحموي ، ج ٤ ص ٢٢٦ .

(٢) معجم البلدان ، ياقوت الحموي ، ج ١ ص ٢١١ .

(٣) معجم البلدان ، ياقوت الحموي ، ج ٢ ص ٥٦ .

٣ ـ أردشير خرة :

شيدها اردشير بن مالك الساساني ، وتشتهر بمروجها وسهولها الخصبة وثروتها الحيوانية .

٤ ـ دارا بجرد (١)

تتميز بموقعها الهام والحصين ، وهي من أقدم مدن فارس بعد اصطخر ، تمتد حتى البحر ، شديدة الحرارة ، كثيرة الثمار والخضار.

٥ ـ جور :

معناها بالفارسية النزهة الطيبة ، اسماها عضد الدولة ـ « فيروز آباد » ومعناها « أتم دولته » . وتحيط بها البساتين والحقول . تشتهر بورودها وأزهارها وإليها ينسب الورد الجوري .

٦ ـ فسا :

مدينة قديمة تقـــع في ثلث المسافة ما بين كارزون وشيراز . تتميز عن شيراز بهوائها النقي واتساعها . يكثر فيها الجوز والبلح والنارنج .

الموقف العام :

حاول العلاء الحضرمي فتح اقليم فارس ، فتوجه بقوة من اهـــل البحرين وعبر بهم الخليج فدمر الفرس زوارق النقل . وتركوا العلاء يتوغل حتى وصل توج . ثم أطبقوا عليه وعندما علم الخليفة عمر أصدر تعليماته بدعم القوة وانقاذها وكانت معركة طوس سنة ١٧ هـ .

---

(٤) معجم البلدان ، ج ١ ص ١٤٦ .
(٥) معجم البلدان ج ٤ ، ص ٢٦٠ .
(٦) معجم البلدان ج ٤ ص ٢٦ .

اخذ الهرمزان ينظم غزواته بعد ذلك على ميسان وحـــدود العراق فأرسل عتبة بن غزوان الى سعد بن أبي وقاص يشرح له الموقف ويطلب دعمه ، فأرسل سعد قوة بقيادة نعيم بن مقرن ونعيم بن مسعود ، وأمرهما ان يتقدما حتى ميسان لعزل ميدان المعركة وراء نهر تيري .

وجه عتبة بن غزوان جيشاً بقيـــادة سلمى بن القين وحرملة بن عرفطة فاتصلا بابناء العم ، واستجاب لهما غالب الوائلي وكليب بن وائل الكلبي واتفقا على إشعال نيران الثورة على أن يثير أحدهما الاضطراب في منطقة تيري ، والثاني في منطقة مناذر . وقام سلمى بن القين وحرملة بالهجوم ، وكانت معركة الاهواز في عام ١٧ هـ .

مسيرة اعمال القتال :

أعطى الخليفة عمر أوامره بمتابعـــة أعمال الفتوح ، وجهز جيشاً بقيادة سارية بن زنيم لفتح اقليم فارس .

تقدم سارية بن زنيم فعـــبر حدود العراق ، وعندما وصل طوس توفرت لديه المعلومات عن تجمع جيوش امراء فارس في توج ، فوضع خطته على النحو التالي :

١ ـ توجيه جيش بقيادة مجاشع بن مسعود بمهمة فتح سابور واردشير .

٢ ـ توجيه جيش بقيادة عثمان بن العاص بمهمة فتح اصطخر .

٣ ـ توجيه بقية الجيش بقيادته لفتح « فسا ودارا بجرد » .

ولما علم قادة جيوش فارس بتوجه الجيوش الإسلامية إلى أقاليمهم تفرقوا وأسرع كل أمير فارسي في اتجاه مدينته ليدافع عنها وبذلك نجح سارية بن زنيم في تمزيق التكتل ، وضرب كل قوة بصورة منفصلة عن الأخرى .

فتح اصطخر – ٢٣ هـ :

تحرك جيش عثمان بن العـــاص الثقفي حتّى وصل « جور » واصطدمت قواته بقوات الملك اصطخر « الهربذ » . وبعد معركة حاسمة ، هزمت قوات اصطخر . وأرادت الانسحاب من المعركة ، لكن عثمان بن العاص لم يمكنها من ذلك وأسرع في مطاردتها حتّى اصطخر ، وعندئذ تصدى الهربذ لقائد الجيش عثمان ، وعرض عليه الصلح مقابل الجزية .

ارتد أهـــالي اصطخر في بداية خلافة عثمان بن عفان بتأثير من قاضي قضاة الفرس « المزندان » . وكان قد أصبح شهرك بن ماهك الملك الجديد لفارس . أرسل الخليفة عثمان بن عفان دعماً لعثمان بن ابي العاص بقيادة عبدالله بن معمر وشبل بن معبد البجلي . وعندما وصلت قوات الدعم نظم ابن ابي العاص قواته على النحو التالي :

– المقدمة ويقودها ، الحكم بن العاص .

– الميمنة ، ويقودها الجارود العبدي .

– الميسرة ، ويقودها المهلب بن ابي صفرة .

تقـــدم عثمان بن ابي العاص بجيشه حتّى وصل سابور ، فخرج اليه ملكها « آذربيان » وصالحه على الجزية ، ووعده بتقديم الدعم لفتح اصطخر .

كان جيش عثمان يضم ١٧,٠٠٠ مقاتل .

وكان جيش شهرك بن ماهل يضم ١٢٠,٠٠٠ مقاتل .

وهكذا فان نسبة ميزان القوى بين الطرفين هي ستة لواحـــد تقريباً لصالح الفرس .

التقى الجيشان ووقعت معركة ضارية ونجـــح عثمان في انتزاع النصر ، فهرب المرزبان وابنه ، ولحق بهما جنيد بن مسلم الأزدي وقتلهما ، واستقر الامر لعثمان بن أبي العاص .

معركة فسا ، ودارا بجرد – ٢٣ هـ :

عندما كان عثمان بن ابي العاص الثقفي يخوض معركته الأولى في جور ، واصطخر كان سارية بن زنيم يتحرك شرقاً حتى وصل مدينة فسا فقام بحصارها.

وصلت نجدات وقوات دعم كبيرة تفوق قوة جيش فسا . ونتيجة لتقدير الموقف قرر سارية بن زنيم الإنسحاب والاستناد الى الجبل والافادة من نهر فسا كحاجز طبيعي وبذلك أصبح ميدان المعركة محصوراً بالمواجهة.

قام الفرس بهجومهم ، فصدمهم رماة المسلمين . وعندما تحطمت حدة الهجوم قام سارية بن زنيم بقيادة الهجوم المضاد . واستطاع تدمير قوات الفرس وتابع مطاردتها ، ففتح فسا ، ودارا بجرد بعد أن أزال منهما كل مقاومة ، وصالح أهلها على أساس دفع الجزية .

فتح توج – ٢٣ هـ :

انطلق مجاشع بن مسعود في اتجاه توج ، ولم يلق في سابور أو أردشير مقاومة كبرى ثم تابع مسيرته حتى وصل توج ، ونظم الحصار حولها ، ثم حدثت معركة ضارية واستطاع مجاشع اقتحام المدينة . ثم صالح اهلها على أساس دفع الجزية . وبذلك أصبح الإقليم بكامله في قبضة المسلمين .

فتح اقليم مكران سنة ٢٣ هـ

الموقع :

يقع اقليم مكران الى الشرق من اقليم كرمان ويحده من الشمال والشرق اقليم سجستان ، ومن الجنوب المحيط الهندي . ويعتبر هذا الإقليم من اكثر اقاليم فارس فقراً لوقوعه في مناطق جبلية وعرة .

العمليات :

توجه الحكم بن عمرو التغلبي بعد فتح اقليم فارس شرقاً حتى وصل

اقليم كرمان . ولحق به شهاب بن المخارق بن شهاب كما تقدم لدعمه طوعاً سهيل بن عدي وعبدالله بن عبد الله بن عتبان .

وصلت قوات المسلمين « دوين النهر » حيث كان أهل مكران قد نظموا صفوفهم وراء النهر واستعدوا للقتال . وبدأت معركة طاحنة بين جيش المسلمين وجيش مكران ، وانتهت بانتصار المسلمين ، وتابع الحكم توغله في أقاليم مكران وجبالها طوال أيام عديدة لمطاردة فلول المنسحبين . وأرسل الى الخليفة عمر يعلمه بالفتح .

وصل المراسل الى المدينة ، ولما اجتمع بالخليفة سأله عن مكران وطبيعتها فأجاب المراسل :

[يا امير المؤمنين ، ارض سهلها جبل ، وماؤها وشل « قليل » وتمرها دقل « رديء » وعدوها بطل ، وخيرها قليل وشرها طويل . والكثير بها قليل والقليل بها ضائع وما وراءها شر منها]

فقال الخليفة :

أسجّاع انت ، ام مخبر .

فقال المراسل :

لا بل مخبر .

فقال الخليفة :

لا والله لا يغزوها جيش لي ما أطعت .

وكتب :

[الى الحكم بن عمرو ، والى سهل بن عدي ، لا تجوزن مكران احد من جنودكما واقتصرا على ما دون النهر] .

وبذلك توقفت الفتوحات ايام الخليفة عمر على المحور الجنوبي عند مكران

ولما بلغ الحكم امر الخليفة قال :

لقد شبع الارامل غير فخـــر بفيء جاءهم من مكـــران
أتاهم بعد مسغبة وجهـــد وقد صفر الشتاء من الدخـــان
فاني لا يذم الجيش فعـــلي ولا سيفي يُذَمّ ُ ولا سنـــاني
غداة أدَفّـَعُ الاوباش(١) دفعاً الى السند العريضة والمدانـــي
ومهران لنا فيمـــا اردنـــا مطيع غير مسترخي العنـــان
فلولا ما نهى عنه أمـــيري قطعناه الى البدو الزوانـــي

الدروس المستخلصة من المرحلة الأولى

في فتوح ايران

تعتبر الأعمال العسكرية في فتوح ايران صورة واضحة عـــن الإستراتيجية العسكرية العربية في الفتح الإسلامي . ومن أهم ملامح هذه الصورة وأبرزها المعطيات التالية :

١ ـ نجاح اسلوب الهجوم غير المباشر :

اصطدمت باكورة عمليـــات القطاع الأوسط بمقاومة همذان ، فما كان من نعيم بن مقرن إلا أن ترك قوة لحصار المدينة وانطلق بقواته لإزالة المقاومات في بقية الاقليم ، وبذلك أحبطت الروح القتالية عند الحامية المدافعة عن المدينة وشعر الملك « خسروشنوم » بعزلة تامة عن كل امكانات الدعم والإمداد . مما أرغمه على طلب الإستسلام وعقد الصلح مع المسلمين .

وفي فتـــح اقليم فارس ، تكررت الصورة مرة اخرى . لكن بشكل آخر ،

---

(١) الاوباش : الاشواب ، المتفرقون .

فقد تجمع ملوك الإقليم في « توج » ووحدوا صفوفهم ، ونظموا قيادة موحدة للعمليات فما كان من سارية بن زنيم إلا أن وضع خطة مضادة . فقسم جيشه إلى مجموعات قتالية ، ووجه كل مجموعة في اتجاه مملكة ، ممّا أشعر خصوم المسلمين بضخامة حجم القوى الزاحفة اليهم من جهة ، ودفعهم الى التفرق والإسراع لحماية قواعدهم من جهة اخرى وبذلك نجح اسلوب الهجوم غير المباشر مرة أخرى ، وسجل المسلمون انتصارات جديدة في سجل فتوحاتهم.

ان تحرك قــوات المسلمين وجيوشهم على أرتال ومحاور مختلفة ، وتحديد أهداف واضحة لكل قوة من القوى . واختيار « نوعية هذه الأهداف» يعتبر نموذجاً رائعاً لعقلية الإنسان العربي المبدع في المجال الإستراتيجي . وكان لهذا الأسلوب دور حاسم وفعال في نجاح اسلوب الهجوم غير المباشر . وتحطيم ارادة القتال لدى خصوم المسلمين .

٢ ـ الحرب النفسية :

قيـــل لعنترة ، بم اشتهرت بالشجاعة بين العرب ، فأجاب : اضرب الضعيف ضربة ينخلع لها قلب الشجاع .

إن هــذه الكلمة تمثل مبدأ هاماً في القتال وفي الحرب النفسية ، واذا ما طالعنا مسيرة عمليات فارس نجد أن قادة المعارك كانوا يبحثون باستمرار لضرب الخصم في مقتله ، في نقطة ضعفه . وكانوا يستهدفون القادة أو الملوك . ونتيجة لذلك أخذت ارادة القتال لدى الخصوم تضعف بمجرد سماعهم قدوم الجيوش الإسلامية .

اعتمد العرب في حربهم النفسية على :

١ ـ الصدق في التهديد والوعيد ، فكانوا يحرصون على تنفيذ ما هددوا به من اجراءات .

٢ ـ اعتماد الانصار ، الطابور الخامس ، لتحطيم ارادة القتال لدى العدو .

وكان هؤلاء الانصار من العرب المستعربة ، أومن الخصوم أنفسهم .

٣ ـ الإفادة من التناقضات والخصومات الموجودة في صفوف العدو .

٤ ـ الظهور أمام الخصم بالمظهر الذي يدخل الرهبة في نفسه ، ولا ريب أن طبيعة العربي وحياته الخشنة في الصحراء قد ساعدته على الظهور بهذا المظهر .

لقد اعتمد العرب المسلمون سلاح الحرب النفسية وسيلة لهم للتعويض عن التفوق العددي لخصومهم وللتعويض أيضاً عن ميزة معرفة هؤلاء الخصوم للارض ولطبيعة ميدان المعركة واعتيادهم على المناخ والأحوال الجوية السيئة .

٣ ـ تأمين قواعد انطلاق متقدمة :

كانت الجزيرة العربية هي قاعدة الإنطلاق الأساسية في عمليات فتوح الشام والعراق ، ثم أصبحت البصرة والكوفة من قواعد الإنطلاق المتقدمة لفتح العراق ومنطقة الرافدين وإقليم فارس من العراق . ورغم بقاء القاعدتين المذكورتين من القواعد الأساسية في عمليات فتوح ايران ، إلا أن ضرورة العمليات وبعد محاور الاتصال دفع القادة العرب الى اختيار قواعد متقدمة لفتوحاتهم ، فكانوا يسيطرون على الإقليم ، وينظمون أموره الحياتية والإقتصادية والعسكرية ثم ينطلقون من قاعدتهم الأمينة لعمليات متقدمة وهكذا أصبحت قواعد الانطلاق تتحرك باستمرار تبعاً لمتطلبات العمليات.

ان الاهتمام بتنظيم قواعد القتال المتقدمة يعتبر مفخرة من مفاخر التاريخ العسكري الاسلامي ، وكان للعرب قصب السبق في هذا المجال .

٤ ـ تنظيم العلاقات العامة للمجتمع الجديد :

كان تحقيق السلم ، ونشر راية الإسلام هو الهدف الأول للعمليات العسكرية الإسلامية . ولهذا كان القادة المسلمون يحرصون الحرص كله على اعطاء الشعوب التي يصالحونها بعد الحرب ، فرصة أو أكثر لإقامة علاقات

تقوم على أسس محددة وواضحة ، ونشر قيم عادلة مما كان يدفع أفراد هذه الشعوب على الدخول في الإسلام .

أما الشعوب التي كانت تصالح جيوش المسلمين دون حرب وتتفق معهم على دفع الجزية ، فكانت تترك لهم حرية الإدارة الذاتية ، ولا يتم التدخل في شؤونهم إلا بالقدر الذي يتطلبه تنفيذ الإتفاقيات المعقودة معهم ، كدفع الخراج ومساعدة جيوش المسلمين .

كانت جماهير جند المسلمين في اتصالها بجماهير الشعوب التي فتحت بلادها ، تعطي أطيب الأمثلة . وكان القادة المسلمون أبعد ما يكونون عن التهاون في أمر يمس مصالح أصحاب البلاد أو يسيء لهم . وكانت هذه الأمثولات حافزاً قوياً دفع الناس للدخول في دين الاسلام .

حرمان العدو من موارده الاقتصادية :

من الواضح في مجموعة عمليات فتح ايران ، ان القادة المسلمين كانوا يحرصون باستمرار على حرمان خصومهم من الموارد الاقتصادية وتجريدهم من امكانات الدعم التي تساعدهم على الإستمرار في المقاومة . واتبع اسلوب العزل في اكثر من معركة بهدف ارغام الخصم على الخروج من تحصيناته والوصول في معركة حاسمة تضع حداً نهائياً للمعركة ، وغالباً ما كانت نتيجة هذه المعركة لصالح المسلمين .

لقد عرف العرب المسلمون أهمية الشؤون الإرادية بالنسبة لأعمال القتال . وكان تنظيمهم للقواعد المتقدمة وحرمان عدوهم من موارده الاقتصادية حلقتان متكاملتان تضع جيوش المسلمين في موقف أفضل من موقف خصمهم مما كان يساعدهم على حسم المعركة بالشكل الذي يخططون له .

الاهتمام بحياة جند المسلمين :

كان الاهتمام بحياة جند المسلمين هدفاً أول يحرص الجميع بداية من الخليفة ونهاية بأصغر قائد في الحفاظ عليه .

١ — كانت رسائل الخليفة عمر، وإيقافه مسيرة العمليات اكثر من مرة ، حرصاً على حياة المسلمين ، وعدم توريطهم في القتال ضمن مناطق مجهولة أو في عمليات غير مدروسة برهاناً على حرص الخليفة على مكانة الجندي المسلم في المجتمع الاسلامي .

٢ — وكان حرص القادة على تجنب المغامرة ، ودراسة الموقف باستمرار وتبادل المعلومات من أجل عدم التغرير بالمسلمين من الشواهد التي تدل على مكانة الجندي في جيش الاسلام .

٣ — وكان التركيز في المعاهدات والإتفاقيات المعقودة مع أصحاب البلاد وملوكها على رعاية الجندي المسلم واستضافته ودلالته ، من المؤشرات التي تعزز مكانة الجندي المسلم .

لقد كان على الجندي المسلم نقل الرسالة الى أرجـاء المعمورة ، وكان العنصر العربي هو دعامة الفتوحات ، ولهذا حرص القادة على العنصر العربي المسلم مما أكسبه الثقة بنفسه ، ودفعه الى المجازفة بحياته من أجل تحقيق الهدف النبيل الذي ألقته الأمة الإسلامية على عاتقه .

اما في مجال فن الحرب فقد تميزت معارك فارس بالنواحي التالية :

آ — ظهور « كادرات قيادية » :

إن متابعة مسيرة العمليات في فتـح فارس ، يظهر وجود طبقة قيادية على درجة عالية من الكفاءة ، ولها القدرة على قيادة المجموعات القتالية وتطبيق أسس فن الحرب .

لقد كانت أيـام فارس كثيرة ، وكان لكل يوم قائده ، وعلى الرغم من اشتراك عدد من القادة في إدارة عدد من المعارك الحاسمة إلا أن هذا لم يكن عائقاً أمام ظهور كفاءات قيادية أثبتت وجودها على مسارح العمليات .

كانت الفتـــوحات بمثابة كليات عسكرية ومعاهد لتدريب القادة يتمرسون فيها بأعمال القتال ، ويطبقون فيها مهاراتهم وكفاءاتهم ، ويتعلمون فيها فن ادارة الحرب وقيادة الرجال . وكانت المعارك العسكرية تربة خصبة لإنمـــاء الفكر العربي واغنائه بالخبرات الكثيرة .

أظهر العنصر العربي خـــلال فتوحات ايران استعداداته الكاملة لممارسة الأدوار القيادية بعدما تفتحت أمامه آفاق رحبة ، ومجالات واسعة وثبت الانسان العربي المؤمن قدرته على الأخذ والعطاء والتعلم والإبداع ، وإظهار فن جديد يحمل ميزاته وطابعه الخاص به .

ب ـ الاهتمام بدراسة الموقف :

كان القادة من العرب المسلمين ، عـــلى اختلاف مستوياتهم ، يظهـرون اهتماماً بدراسة الموقف من جميع نواحيه ، وإن أكثر ما كانـــوا يركزون اهتمامهم عليه :

١ ـ العدو ، قوته ، تنظيمه ، تسليحه ، قدرته القتالية ، حالته النفسية ، نفسية السكان .

٢ ـ الأرض ، طبيعتها ، العوائق المتوفرة فيها ، صلاحيتها للقتال .

٣ ـ الأحوال الجوية ، وما تشكله من ميزات ومساوىء عـــلى مسيرة العمليات .

٤ ـ توازن القوى وكيفية التغلب على عامل التفوق لدى الخصم .

إن هذه القواعد التي تبرز في وضوح خلال أحاديث القادة المسلمين وفي مراسلاتهم . لا زالت الأساس لدراسة كل موقف وقبل اتخاذ كل قرار . ولا ريب أن التطور الحديث في فن الحرب قد أضاف عدداً كبيراً من العوامل المتفرعة عن هذه القواعد . إلا أن العرب وضعوا أسساً سليمة . في دراسة تقدير الموقف وكان لهم قصب السبق في هذا المجال ايضاً .

ج ـ الحرص على تحقيق المباغتة :

حرص القادة المسلمون على تحقيق المباغتة في كل معركة من معاركهم .

حقق نعيم بن مقرن المباغتة ، المكانية والزمانية ، في معركة « الري » وبذلك حطم ارادة القتال لدى عدوه .

استطاع سارية بن زنيم تحقيق المباغتة المكانية في فتح فسا ودارا بجرد ، وبذلك انتزع النصر من خصمه .

ان المباغتة من الأسس الثابتة في فن الحرب ، ولا زال البحث عن وسيلة لتحقيق المباغتة هو الهدف الأول لكل قائد في الحرب .

ومعارك الحرب العالمية الثانية وما أعقبها من تجارب تبرهن على أن المباغتة لا زالت تحتل مكانتها الأولى في قائمة اسس فن الحرب .

د ـ استثمار النصر :

عندما يشعر الخصم أن نتيجة المعركة لن تكون لصالحه ، فإنه يحاول الانسحاب لتشكيل مقاومات جديدة . وتنظيم القوات لوضع خطة هجومية جديدة. وإن مطالعة مسيرة عمليات فتح ايران تظهر أن القادة من العرب المسلمين كانوا يصممون باستمرار على استثمار الظفر ومطاردة العدو حتى أقصى مسافة ممكنة بهدف عدم تمكينه من تشكيل مقاومات جديدة ، وكان استثمار الظفر من العوامل الحاسمة التي ساعدت المسلمين على انجاز عملياتهم العسكرية وفتح الأقاليم بسرعة كبيرة .

ان استثمار الظفر برهن على ميزات المقاتل العربي وما يتحلى به من خفة ومرونة وسرعة بديهة حتى أصبح المقاتل العربي رمزاً لهذه الصفات القتالية

وقد برهن استغلال النصر من ناحية أخرى على قدرة المقاتل العربي على تحمل الصعاب والصبر على المكاره ، والتصميم على القتال حتى تحقيق الهدف النهائي من الحرب .

هـ – الروح المعنوية العالية :

يعتبر المقــاتل العربي في الفتوحات الإسلامية نموذجاً رائعاً للروح المعنوية العالية . ولقد اكتسب المقاتل العربي هذه الروح المعنوية من المعطيات التالية :

١ – الايمان بعدالة القضية التي يقاتل من أجلها ، وشعور المسلم أن من واجبه حمل الرسالة ونشرها على الدنيا مهما تحمل في سبيل ذلك من مشاق ومهما لقي من صعاب .

٢ – الثقة بالقيادة ، وبكلمة القائد . ولعل الحادثة التالية تعطي صورة عن الثقة المتبادلة بين الرئيس والمرؤوس في جيش المسلمين .

[قال عاصم بن كليب ، خرجنا مع مجاشع بن مسعود غازين « توج » فحاصرناهم ، وقاتلناهم ما شاء الله ، فلما افتتحناها وحوينا نهبها نهباً كثيراً وقتلنا قتلى عظيمة ، وكان علي قميص قد تخرق ، فأخذت إبرة وسلكاً ، وجعلت أخيط قيمصي بها – ثم إني نظرت إلى رجل في القتلى عليه قميص فنزعته فأتيت به الماء ، فجعلت أضربه بين حجرين حتى ذهب ما فيه ، فلبسته . فلما رجعت . قام مجاشع خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : ايها الناس لا تغلوا ، فانه من غل ، جاء في غل يوم القيامة ، ردوا ولو المخيط .. فلما سمعت ذلك ، نزعت القميص فالقيته في الأخماس].

٣ – الثقة باخوة السلاح ، حتى أن المسلم كان يفتدي أخاه ويحاول حمايته حتى لو كان في ذلك هلاكه ، وإن هذه الروح الغيرية هي التي أظهرت المسلمين كمجموعة واحدة وكتلة متلاحمة لا سبيل الى قهرها .

القسم الثاني

الفصل الرابع

المرحلة الثانية من عمليات الجبهة الشرقية

« إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله ، أولئك هم الصادقون ، قل أتعلّمون الله بدينكم والله يعلم ما في السموات وما في الارض والله بكلٍّ شيء عليم . يمنُّون عليك أن أسلموا، قل لا تمنوا علي إسلامكم ، بل الله يمنُّ عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين » صدق الله العظيم

سورة الحجرات – الآية ١٤ ، ١٥ ، ١٦ –

١ – فشل محاولة فتح بلنجر

٢ – براكير التمرد في ارمينيا واذربيجان ٢٤ هـ

٣ – عمليات خراسان

٤ – التمرد في فارس كرمان بعد خراسان ٣٩ هـ

٥ – زرنج بعد فارس وكرمان

٦ – سجستان بعد زرنج

٧ – معاودة التمرد في سجستان

٨ – الموقف عندما تولى الحجاج بن يوسف حكم العراق

٩ – عمليات عبد الرحمن بن الاشعث

١٠ – عمليات المهلب بن ابي صفره في خراسان

١١ – عمليات قتيبة بن مسلم الباهلي ٨٨ هـ

– غزو نومشكت ٨٨ هـ

– فتح رامثينه ٨٩ هـ

– فتح بخارا وغدرنيزك ٩٠ هـ

– غزو شومان وكش ونسف ٩١ هـ

– الصلح مع ساجستان والزابل ٩٢ هـ

– الصلح مع ملك خوارزم وفتح خام جرد سنة ٩٣ هـ

– يوم سمرقند ٩٣ هـ

– غزو الشاش وفرغانه ٩٤ و ٩٥ هـ

– غزو كاشغر والصلح مع ملك الصين ٩٦ هـ



المرحلة الثانية من عمليات الجبهة الشرقية

الوضع العام

إنتهت عمليات المرحلة الأولى من الجبهة الشرقية بتطويق الهضبة الإيرانية واحتلال أقاليمها . وعندما توفي الخليفة الثاني عمر بن الخطاب ، كان المحور الجنوبي لهذه الجبهة قد وصل كرمان في حين وصل المحور الشمالي حتّى جرجان ثم استدار جنوباً في اقليم خراسان حتّى وصل مرو وهراة وزرنج ، وأصبحت الأقاليم التالية تحت حكم العرب المسلمين :

إقليم أذربيجان ، إقليم الجبال ، إقليم خوزستان ، إقليم فارس ، إقليم كرمان ، إقليم قومس ، إقليم طبرستان ، إقليم خراسان ، إقليم قوهستان ، إقليم سجستان . وبذلك زال خطر تهديد الجبهة الشرقية باقتلاع جذور الأسرة الساسانية الفارسية وزوال ملكها .

عندما تولى الخليفة الثالث عثمان بن عفان أمور المسلمين ، كان الروم ، بيزنطة ، يتهددون باستمرار الجبهة الشمالية ، وكانت سيطرتهم على البحر الأبيض المتوسط تشكل مصدر خطر دائم على عمليات الفتوح الإسلامية ، ولهذا نقل عثمان بن عفان ثقل جهد العمليات من الجبهة الشرقية الى الجبهتين الشمالية ، الشام ، والغربية ، مصر . كما ركز جهده على بناء الأسطول وأعمال القتال البحرية بهدف ردع بيزنطة وعدم تمكينها من إعاقة الفتوح الإسلامية .

نتيجة لذلك توقفت أعمال الفتوح الحاسمة على الجبهة الشرقية ، وانصرف ولاة المسلمين الى ترسيخ جذور الاسلام ونشر الدعوة في ربوع الأقاليم الشرقية . وشهدت حدود الجبهة الشرقية جموداً طوال الفترة التي اعقبت المرحلة الأولى باستثناء بعض العمليات الثانوية .

عندما قتل الخليفـــة الثالث عثمان بن عفان ، وتولى علي بن أبي طالب أمور المسلمين ، ظهر انشقاق خطير في صفوف الأمة الإسلامية كاد يعصف بالعرب المسلمين وبكل الجهود التي بذلوها في عمليات الفتح ، وانعكس التمزق بين العرب على كافة الأقاليم التي فتحها المسلمون ، وأفاد أولئك الملوك الذين هادنوا العرب على كره منهم ، وظنوا أن الفرصة أصبحت سانحة للاستقلال بأمورهم والأنفصال عن الدولة العربية الإسلامية ، فأعلنوا تمردهم ، وبدأت مرحلة جديدة من توطيد دعائم الحكم العربي الإسلامي في إيران . وتأديب المتمردين ، وهكذا تركز الجهد على « إعادة فتح الأقاليم من جديد » عوضاً عن التحول إلى فتح أقاليم جديدة .

لقد استنزفت عمليات إعادة فتـــح الأقاليم المتمردة ، جهداً كبيراً من قوة العرب المسلمين وسقط في سهول ايران وجبالها رجال من أفضل سيوف صحابة النبي ، وخيرة رجالات العرب بحيث يمكن اعتبار عملية الاستنزاف هذه عاملا من العوامل التي أضعفت القوة العربية ، ونقلت السيطرة من أيديهم إلى أيدي غيرهم ، وأبعدتهم عن مركز القيادة والريادة . ونظراً لما كانت عليه بعض العمليات من الأهمية ، قد يكون من المناسب المرور ببعض هذه الأعمال واستعراضها .

١ ـ محاولة فتح بلنجر ـ المحور الشمالي سنة ٣٢ ـ ٣٦ هـ :

بعد فتـــح العرب المسلمين « باب الأبواب » وتولي عبد الرحمن بن أبي ربيعة ولاية أذربيجان ، أراد الإستمرار في متابعة الفتوح وأخذ اذناً بذلك من الخليفة عثمان بن عفان فأجابه الخليفة :

[إن الرعية قد أبطر كثيراً فيهم البسطة ، فقصر ، ولا تقتحم بالمسلمين في فيافي « خاشٍ » ان يبتلوا]

بمعنى أخاف ان تصيبهم كارثة .

جهز عبـــد الرحمن بن أبي ربيعة جيشه ، وتقدم شمالاً على المحور الغربي لبحر الخزر ، قزوين ، وانسحبت القوات بحيث لم يجد عبد الرحمن مقاومة كبيرة . وتابع توغله في السهول الشمالية لجبال القوقاز حتى وصل « بلنجر » بين استراخان وكوريف على الضفاف الشمالية لبحر قزوين .

تحصن القوقازيون والترك في « بلنجر » ونظموا مقـــاومة ضارية ، واشتبكوا مع المسلمين بمعارك طاحنة ، وخشي عبد الرحمن الهزيمة فكتب الى الخليفة عثمان يشرح له الموقف ، فوجه الخليفة عثمان ثلاثة جيوش لدعم عبد الرحمن ابن أبي ربيعة .

– جيش بقيادة سلمان بن أبي ربيعة ، وكان يعمل في قطاع جبال القوقاز
– جيش الكوفة بقيادة حذيفة بن اليمان .
– جيش الشام بقيادة حبيب بن مسلمة .

وصلت الجيوش الثلاثـــة وأحكمت الحصار حول بلنجر ، وتعاون برد الشتاء وسوء الأحوال الجوية مع المقاومة العنيدة للقوقازيين ، فأحبطت من القدرة القتالية لجيوش المسلمين .

استخدم المسلمـــون المجانيق والعرادات التي ترمي الحجارة الثقيلة حتى مسافات بعيدة ، بهدف تحطيم أسوار « بلنجر » . وطال أمد الحصار وجاء فصل الشتاء وسقطت أعداد كبيرة من قوات المسلمين تقرر القادة رفع الحصار والإنسحاب ، بعد أن قتل عبد الرحمن بن أبي ربيعة في احدى المعارك اثناء الحصار ووصل في الوقت ذاته نبأ مقتل الخليفة عثمان بن عفان .

تم تكليف سلمان بن أبي ربيعـــة بحماية الإنسحاب . ونظمت عملية الإنسحاب بحيث تم على محورين .

المحور شرق بحر قزوين ، حتى جيـــلان وجرجان ويتبعه جيش الشام وجيش الكوفة وفيهم سلمان الفارسي وأبو هريرة .

المحور الغربي غرب بحــر قزوين ، ويتبعه سلمان بن أبي ربيعة ، وجيش عبد الرحمن بن أبي ربيعة .

أمكن تنفيذ عمليــة الانسحاب بنجاح على الرغم من كل العوامل المضادة وعلى الرغم من محاولات الانقصاص على مؤخرات المسلمين وتدميرها ويعود الفضل في ذلك إلى تنظيم عملية الإنسحاب بصورة جيدة وتنفيذها بدقة .

٢ – بواكير التمرد في أرمينيا وأذربيجان سنة ٢٤ هـ :

كان إقليم أذربيجان وإقليم أرمينيا من أول الأقاليم التي أعلنت تمردهــا ، وامتنعت عن دفع الجزية .

أصدر الخليفــة عثمان بن عفان أوامره بإعادة فتح الأقاليم المتمردة ، وتوجه الوليد بن عقبة بعد أن نظم جيش الكوفة وهو الجيش الذي كــان يتمركز ٤٠٠٠ منه في الري و ٦٠٠٠ في أذربيجان ذاتها . وعين سلمان بن ربيعة الباهلي لقيادة المقدمة .

وجه للوليد بن عقبة عندما وصل حدود أذربيجان قوة مكونة من أربعة آلاف مقاتل يقودها شبل بن عوف الأحمسي بهدف فتح موقان والبير والطيلسان وعندما أنجزت المهمة تجمعت القوة ثانية ووصلت أذربيجان ، فصالح أهلها على مثل صلحهم القديم .

٣ – عمليات « خراسان » (١) :

تشابه حدود اقليم خراسان ، حدود افغانستان الحاليــة ، مع قسم من الحدود الجنوبية لإقليمي ازبكستان وتركستان .

اصدر الخليفة عثمان بن عفان في بداية عهده التعيينات التالية .

خراسان عمير بن عثمان بن سعا ، فوصل حتى « فرغانة » .

---

(١) تاريخ الطبري ، ج ٥ ص ١٧٠ – ١٧٥ و ٦٣ .

سجستان ، جنوب خراسان ، وعين عليهـــا عبد الله بن عمير الليثي فوصل حتى كابل ، ثم عين عبدالله بن عامر لمدة سنة ، وخلفه عاصم بن عمرو .

مكران ، في جنوب سجستان ، وعـــين عليها عبدالله بن معمر التيمي فوصل حتى نهر السند .

في عام ٣١ هـ كان عبدالله بن عامر قد احتل « أبهر شهر » وطوس ، وبيورد ، وون ، وسرخس ، وأعاد فتح مرو ، وكان زياد بن أبيه قد ولي البصرة فتوجه على رأس جيش حتى وصل كرمان ، فعين عليها مجاشع بن مسعود السلمي . وتابع طريقه حتى أبهر شهر « نيسابور » وكان على مقدمته الأحنف بن قيس .

اصطدمت قـــوات زياد بالهياطلة « أهل هراة » واستطاع الأحنف بن قيس هزيمة الهياطلة وفتحت قوات الأحنف « نيسابور » عام ٣٧ هـ .

عندما تولى الخليفة علي بن ابي طالب أمور المسلمين ، وحـــدث الإنشقاق بين العرب ، أعلن أهل خراسان تمردهم . وبقيت أعمال التمرد حتى انتهت معركة صفين ، وعندها أعلن الخليفة عن تنظيم قوة لأعادة فتح خراسان ، وقال للمسلمين :

[من لم يرغب في قتال معاوية ، فليأخذ عطاءه وليتوجه الى خراسان] .

أرسل الخليفـــة علي بن ابي طالب « جعدة بن هبيرة المخزومي » إلى خراسان ولما وصل جعدة إلى « نيسابور » وجد أن الإقليم في حال ثورة عارمة فرجع الى الخليفة وأخبره بالموقف .

وجـــه الخليفة « علي » خمسة آلاف مقاتل بقيادة « خليد بن قرة اليربوعي » فوصل نيسابور ، وخرج إليه أهلها يطلبون منه الصلح ، فصالحهم ثم تابع تقدمه حتى « مرو الشاهجان » فقاتله أهلها وبعد معركة حاسمة انتصر خليد على أهل مرو ، وفتح المدينة ، وكان من بين الأسرى فتاتان من بنات الملك ، أرسلهما الى الخليفة مع الغنائم ، فعرض عليهما الخليفة علي الإسلام وتكفل بتزويجهما ، فاشترطتا

الزواج من ولدي الخليفة « الحسن والحسين » ورفض الخليفة علي فطلب منه أحد الدهاقين تركهما له قائلا :

[ادفعهما لي ، فإنه كرامة تكرمني بها]

فدفعهما اليه ، فكانتا عنده يفرش لهما الديباج ويطعمهما في آنية من الذهب حتى رجعتا خراسان .

٤ ـ التمرد في فارس وكرمان بعد خراسان (١) سنة ٣٩ هـ :

وصلت المعلومات الى الخليفة علي عن تمرد فارس وكرمان ، وتساءل : من يكفيني هذا الإقليم ، وقيل له « زياد بن أبيه » فعينه بمهمة اخضاع التمرد ، واستطاع زياد بن أبيه أن يخمد الفتن ويسيطر على الموقف بضرب المتمردين بعضهم ببعض واستخدام الدهاء حتى خضع له الإقليم .

قال شيخ من اصطخر :

[قدم فارس على فارس وهي تضرم ناراً فلم يزل بالمداراة حتى عادوا الى ما كانوا عليه من الطاعة والإستقامة لم يقف موقفاً للحرب ، وكان أهل فارس يقولون ، ما رأينا سيرة أشبه بسيرة كسرى أنو شروان من سيرة هذا العربي في اللين والمداراة والعلم بما يأتي ، ثم نزل زياد اصطخر ، وشيد قلعة لا زالت حتى الآن تحمل اسم « قلعة زياد »] .

٥ ـ زرنج بعد فارس وكرمان :

تقع زرنج على نهر الكر « جورجيا » الذي يصب في الجهة الغربية من بحر قزوين . وتبعد عن « باكو » مسافة ١٣٠ كم تقريباً .

طرد أهل « زرنج » واليهم الأمير بن أحمر اليشكري ، وأغلقوا مدينتهم

---

(١) تاريخ الطبري ، ج ٥ ص ١٣٧ ـ ١٣٨ .

وتحصنوا بها فوجه الخليفة علي بعد «يوم الجمل» جيشاً من الصعاليك بقيادة حسكة بن عتاب الحبطي ، وعمران بن الفضيل البرجمي .

تحرك جيش حسكة في اتجاه الشمال ، وعندما وصل زالق حدثت معركة انتصر فيها جيش حسكة ، وتابع الجيش تقدمه بسرعة فوصل زرنج وحاصرها وخرج مرزبانها فصالح الصعاليك الذين وقف شاعرهم يرتجز :

بشر سجستان بجوع وحرب .

بابن الفضيل وصعاليك العرب   لا فضة تغنيهم ولا ذهب ...

وعاد حسكة بعد أن نفذ واجبه على أفضل وجه وسار نحو الجنوب في اتجاه سجستان المتمردة ولما وصلها قاتله أهلها وقتلوه .

٦ ـ سجستان بعد زرنج :

علم الخليفة علي بن أبي طالب بمقتل حسكة ، فكتب إلى « عبدالله بن العباس » يأمره بتوجيه جيش من أربعة آلاف مقاتل لإخضاع سجستان .

نظم « عبدالله بن العباس » جيشه على النحو التالي :

« ربعي بن الكاس العنبري » قائداً للجيش .

« ثابت بن ذي الحرة الحميري » قائداً للمقدمة .

« الحصين بن أبي الحر » على الفرسان .

ووصل الجيش سجستان ، فأخذت المقاومة تتساقط والمقاتلون يفرون من أمامه حتى عادت بلاد سجستان إلى عهدها السابق ، وانطلق راجز الجيش يردد :

نحن الذين اقتحموا سجستان

على ابن عتاب وجند الشيطان   يقدمنا الماجد عبد الرحمن

انا وجدنا في منير الفرقان   أن لا نوالي شيعة ابن عفان

معاودة التمرد في سجستان :

أعلنت سجستان تمردها من جديد ، وبقي الأمر فيها مثيراً للقلق حتى جاء معاوية بن أبي سفيان فولى عبد الرحمن بن سمرة لولاية سجستان ، فأتاها ومعه « عباد بن الحصين الحبطي» قائداً للشرطة . وكذلك عدد من القادة امثال « عمر بن عبيد الله بن معمر » التميمي و « عبدالله بن خازم السلمي » و« قطري ابن الفجاءة » و« المهلب بن أبي صفرة » .

وضع عبد الرحمن بن سمرة مخططه على أساس اخضاع الأقاليم المتمردة على التتابع بهدف الإقتصاد في القوى ، والتركيز في العمليات الهجومية ، وكانت كابل هدفه الأول .

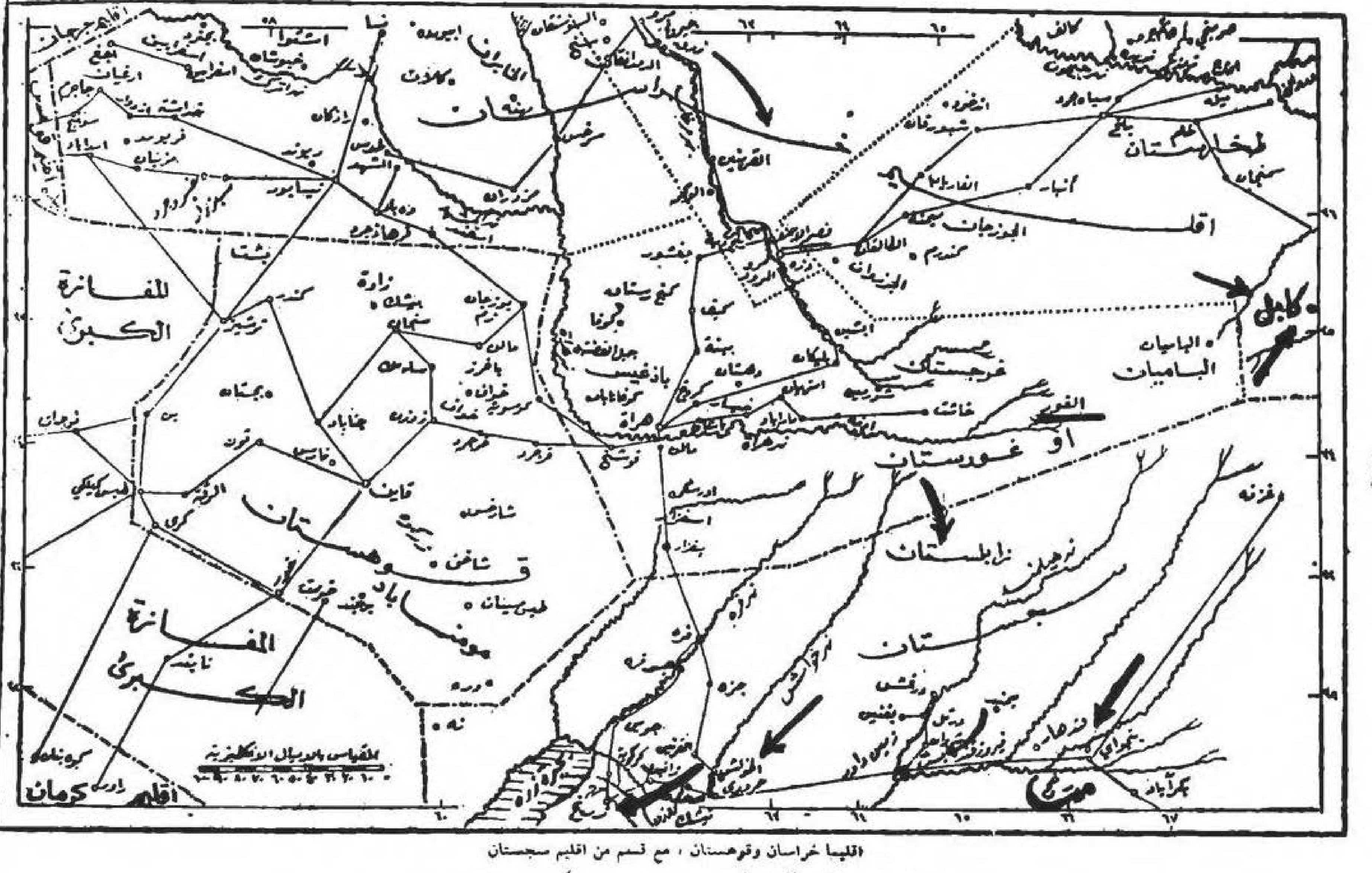
كانت مرو قد تحولت الى قاعدة متقدمة للعمليات ، انطلق منها عبد الرحمن بن سمرة في اتجاه « كابول » فحاصرها أشهراً عديدة ، ونصب المنجنيق وأخذ يرميها إلا أن المدينة صمدت وقاومت بعناد وكان أهل كابل يفتحون الأبواب وينطلقون في هجماتهم ثم يعودون الى المدينة فيمتنعون وراء أسوارها ، ويتحصنون بقلاعها .

وضع عبد الرحمن بن سمرة في النهاية مخططاً لعملية حاسمة فدفع «عباد بن الحصين » على رأس قوة واجبها التسلل ليلا حتى الوصول الى الباب الرئيسي ومباغتة العدو عندما تفتح الأبواب .

فتحت الأبواب مع أول ضوء ، وخرج « ابن خازم » ، فضرب فيلا كان في المقدمة فسقط الفيل على الباب الذي خرجوا منه ، ولم يقدر العدو على سحب الفيل بسرعة وتدفقت مجموعات الفدائيين من المسلمين . وأظهر «عباد بن الحصين » مهارة في القتال وشجاعة كبيرة حتى قال عنه الحسن البصري .

[ما ظننت رجلا يقوم مقام ألف حتى رأيت عباد بن الحصين] .

وسقطت كابل بيد المسلمين من جديد ، وعاد أهلها فطلبوا الصلح ، فوافق عبد الرحمن بن سمرة .



اقليما خراسان وقوهستان ، مع قسم من اقليم سجستان

إخضاع حركات التمرد أيام معاوية بن أبي سفيان

وجه ابن سمرة بعد العمليات رسالة الى الخليفة معاوية بن ابي سفيان وشكل وفداً لهذه الغاية من « عمر بن عبيد الله بن معمر » و « المهلب بن ابي صفرة » .

تابع عبد الرحمن بن سمرة تقدمه ، وتجاوز الغور الذي يمر منه « نهر هراة » . وكان يسمى « وادي النسل » ، ثم وصل جنوباً حتى :

خواشس وقوازن بست ، فافتتحها عنوة .

رزان ، حيث وجد ان اهلها قد انسحبوا منها ، فلم يصطدم فيها بمقاومة .

خشك ، وكان أهلها قد أوفدوا من يفاوض عنهم للصلح ، فصالحهم عبد الرحمن بن سمرة .

الرجح ، ووصلها وقد تحصن أهلها وحاولوا المقاومة فقاتلهم المسلمون وفتحوا المدينة عنوة .

ذابلستان ، وكان أهلها قد نظموا صفوفهم ، فقاتلهم عبد الرحمن وانتصر عليهم .

أعلنت كابل تمردها من جديد ، واستنجدت برتبيل خاقان الترك ، فانجدهم ، وأخرج اهل كابل المسلمين من مدينتهم .

تقدم « رتبيل » واستولى على « ذابلستان » و« الرجح » وتابع تقدمه حتى « بست » .

انطلق « الربيع بن زياد » في هجوم مضاد حتى وصل « بست » وتصدت له قوات رتبيل فألحق الهزيمة بها واستمر في مطاردتها حتى استعاد منها الرجح .

استمرت كابل في ثورتها ، وأرسل اليها « يزيد بن معاوية » عندما تولى الخلافة « يزيد بن زياد » واصطدمت قوات يزيد بجيش رتبيل في «جنزة » وقتل في المعركة « يزيد بن زياد » ووقع « أبو عبيدة بن زياد » أسيراً في قبضة

رتبيل ، وهزم جيش المسلمين ، فأرسل « سلم بن زياد » « طلحة بن عبدالله بن خلف الخزاعي » وكان يسمى « طلحة الطلحات » ففدى أبا عبيدة بخمسمائة الف درهم .

عين « سلم بن زياد » « طلحة الطلحات » والياً على سجستان . ولم يكد يصل طلحة الى سجستان حتّى توفي فيها .

في هذه الفترة وقع انقسام خطير بين العرب في فارس ، وثارت الجاهلية بين القيسية والمضرية وتحصنت كل قبيلة بالمدينة التي تقيم فيها . وهذا ما أطمع فيهم « رتبيل » الذي استولى على عدد من المواقع .

وبقي الأمر في كابل مضطرباً حتّى جاء الحجاج بن يوسف الثقفي والياً على العراق فبدأت مرحلة جديدة .

اهتمام الحجاج بن يوسف بالجبهة الشرقية :

الموقف عام ٧٩ هـ :

شعر الحجاج بخطورة الموقف على الجبهة الشرقية ، لا سيما بعد أن امتنع ملك الترك « رتبيل » عن دفع الخراج ، وأخذ في تحريض الأقاليم ضد المسلمين . فأصدر أوامره بتعيين المهلب بن أبي صفرة والياً على خراسان ، « وعبيد الله بن أبي بكرة » والياً على سجستان . وأرسل إلى « عبيد الله بن أبي بكرة » الذي كان على رأس جيش البصرة الأمر التالي :

[الى عبيد الله بن أبي بكرة :

ناجز رتبيل بمن معك من المسلمين ، فلا ترجع حتّى تستبيح أرضه وتهدم قلاعه وتقتل مقاتلته وتسبي ذريته] .

انضم جيش الكوفة بقيادة « شريح بن هانيء الحارثي » الى عبيد الله . وانطلق في مسيرته إلى القاعدة المتقدمة في « مرو » ، وأخذ جيش رتبيل ينسحب نحو الشمال في اتجاه سمرقند وبخارى ، فأسرع عبيد الله في تقدمه عبر

المناطق الجبلية من « جبال آلاي » ، وكان « رتبيل » قد نظم دفاعه ، وأمسك بمحاور الإقتراب وسيطر على طرق التحرك ، وشعر عبيد الله أنه تهور في تقدمه وأنه أصبح تحت رحمة خصمه « رتبيل » فأرسل الى ابن أبي بكرة يستقدمه ، وكتب له :

[اني مصالح للقوم على ان اعطيهم مالاً ويخلوا بيني وبين الخروج]

وتقدم شريح حتى التقى بعبيد الله بن ابي بكرة ، وقال له :

[انك لا تصالح على شيء إلا حسبه السلطان عيلكم في اعطياتكم]

فاجابه عبيدالله :

[لو منعنا العطاء ما حيينا ، كان أهون علينا من هلاكنا] .

وقال شريح عندها :

[والله قد بلغت سناً وقد هلكت لذاتي ، ما تأتي علي ساعة من ليل او نهار فاظنها تمضي حتى أموت ، ولقد كنت اطلب الشهادة منذ زمن ، ولئن فاتتني اليوم ، ما أخالني مدركها حتى أموت] .

ثم نظر إلى من حوله وقال لهم مخاطباً :

[يا أهل الاسلام تعاونوا على عدوكم] .

فخاطبه عبيد الله ، وأراد أن يثنيه عن عزمه :

[إنك شيخ قد خرفت ...] .

وأجابه شريح :

[إنما حسبك أن يقال بستان ابن ابي بكرة وحمام بن أبي بكرة] .

وتوجه شريح مرة اخرى الى من حوله بحديثه فقال لهم :

[يا أهل الاسلام من أراد منكم الشهادة فإلي] .

انضم الى عبيد الله مجموعـــة من المتطوعين والفرسان وانطلق معهم شريح يرتجز :

أصبحت ذا بثٍّ أقاسي الكبرا قد عشت بين المشركين أعصرا
ثمت أدركت النبي المنذرا وبعده صديقه وعمرا
ويوم مهران ويوم تسترا والجمع في صفينهم والنهرا
ويا جميرات مع الشقرا هيهات ما أطول العمرا

ولم تمض سوى فترة قصيرة حتى هلكت هذه المجموعة القتالية بكاملها تقريباً وصلت أنباء الهزيمة سمع الحجاج بن يوسف وتأثر لما أصاب المسلمين فكتب الى الخليفة عبد الملك بن مروان الرسالة التالية :

[أما بعد ، فإن جند أمير المؤمنين الذين بسجستان أصيبوا فلم ينج منهم إلا القليل ، وقد اجترأ العدو بالذي أصابه على أهل الإسلام ، فدخلوا بلادهم وغلبوا على حصونهم وقصورهم وقد أردت أن أوجه اليهم جنداً كثيفاً من أهل المصرين فأحببت أن استطلع رأي امير المؤمنين في ذلك . فإن رأى لي بعثت ذلك الجند ، أمضيته ، وإن لم ير ذلك فإن أمير المؤمنين أولى بجنوده ، مع أني أتخوف إن لم يؤت « رتبيل » ومن معه من المشركين جند كثيف عاجلا ، أن يستولوا على ذلك الفرج كله] .

وجاء جواب الخليفة عبدالملك بن مروان بسرعة :

[أما بعد فقد أتاني كتابك تذكر فيه مصاب المسلمين بسجستان وأولئك كتب الله عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم وعلى الله ثوابهم ، وأما ما أردت أن يأتيك فيه رأيي من توجيه الجنود وإمضائها الى ذلك الفرج الذي أصيب فيه المسلمون ، أو كفها ، فإن رأيي في ذلك أن تمضي رأيك راشداً موفقاً] .

وهكذا أعطى الخليفة عبد الملك الصلاحية المطلقة للحجاج بن يوسف في تنفيذ مخططه ، وحشد القوات للقتال فمضى الحجاج في الإستعداد للحرب .

استطاع الحجاج تجهيز جيش من أربعين الف مقاتل ٢٠,٠٠٠ من أهل الكوفة ومثلهم من أهل البصرة . وبقيت عليه مشكلة اختيار القائد الماهر ،

فكان « عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث » **هو أفضل مرشح لقيادة هذه القوة .**

كان الحجاج يكره « ابن الاشعث » حتى قال :

[ما رأيته قط إلا أردت قتله] .

إلا أنه كان يقدر فيه رجولته ومهارته في القتال وكفاءته القيادية فبعث إليه وأبلغه اختياره لقيادة الجيش من أجل التوجه لحرب رتبيل . ولما غادر « ابن الاشعث » الحجاج قصده أحدهم وقال له كيف توافق والحجاج قد قال فيك ما قاله ، فاجاب ابن الأشعث :

[وأنا كما قال الحجاج ، إن لم أحاول أن أزيله عن سلطانه ، فاجهد الجهد إذا طال بي وبه بقاء] .

وحذر بعض الناس الحجاج من هذا التعيين فأجابهم الحجاج :

[هو لي أهيب ، وفي أرغب من أن يخالف أمري أو يخرج عن طاعتي] .

ثم أعطى الحجاج المقاتلين كامل أعطياتهم ورواتبهم وجهزهم بالاسلحة الكاملة والأعتدة الضرورية ، وأصبح الجيش يضم خيرة المقاتلين بحيث لم يسمع الحجاج بمقاتل له سمعته وشهرته إلا حشده في جيش « ابن الأشعث » وعندما انتهت الاستعدادات للمعركة توجه الجيش في اتجاه خراسان

عندما علم رتبيل بزحف عبد الرحمن بن الأشعث ، أرسل إليه رسالة يعتذر عما بدر منه ويطلب الصلح ، لكن عبد الرحمن رفض طلبه ، واستمر في تقدمه .

مخطط عمليات عبد الرحمن بن الاشعث :

وضع عبد الرحمن بن الأشعث مخطط عملياته انطلاقاً من المعطيات التالية :

١ ـ عدم التوغل في أرض العدو ، خشية تكرار مأساة جيش « شريح بن هانيء الحارثي » .

٢ ـ اقتطاع قسم من أرض العدو في كل عام وتنظيمها ، وزراعتها ، والإنطلاق منها في العام التالي إلى أرض جديدة .

٣ ـ تنظيم عمليات الإستطلاع ، واتخاذ تدابير الأمن ، ووضع مفارز حماية عند النقاط الخطرة والممرات الإجبارية .

٤ ـ حرمان العدو من موارده الاقتصادية .

زحف عبد الرحمن بن الأشعث حتى حدود « سجستان » وكان رتبيل قد انسحب بجيشه ، فاستولى ابن الأشعث على عدد من الحصون والمواقع الهامة . وغنم كميات كبيرة من قطعان الماشية والغنائم المختلفة ، وأمر جنده بالتوقف . وسأله القادة عن السبب فاجابهم :

[نكتفي بما أصبناه العام من بلادهم حتى نجبيها ونعرفها ويجترىء المسلمون على طرقها ثم نتعاطى في العام المقبل ما وراءها ، ثم لم نزل ننتقصهم في كل عام طائفة من أرضهم حتى نقاتلهم آخر ذلك على كنوزهم وذراريهم وفي أقصى بلادهم وممتنع حصونهم ، ثم لا نزايل بلادهم حتى يهلكهم الله].

وكتب عبد الرحمن رسالة الى الحجاج ، يشرح فيها الموقف ، ويعرض مخططه فجاءه جواب الحجاج التالي :

[أما بعد ، فان كتابك أتاني ، وفهمت ما ذكرت فيه ، وكتابك كتاب امرىء يحب الهدنة ويستريح إلى الموادعة قد صانع عدواً قليلا ذليلاً قد أصابوا من المسلمين جنداً كان بلاؤهم حسناً ، وعناؤهم في الإسلام عظيماً ، لعمرك يا ابن أم عبد الرحمن ، إنك حيث تكف عن ذلك العدو بجندي وقدي ، لسخي النفس عمن أصيب من المسلمين .

إني لم أعدد رأيك الذي زعمت إنك رأيته رأي مكيدة ولكني رأيت أنه لم يحملك عليه إلا ضعفك ، والتياث رأيك ، فامض لما أمرتك به من الوغول في أرضهم والهدم في حصونهم وقتل مقاتلتهم ، وسبي ذراريهم]

ثم اردفه بكتاب آخر :

[أما بعد ، فمر من قبلك من المسلمين فليحرثوا وليقيموا ، فانها دارهم حتى يفتحها الله عليهم] .

واتبع ذلك بكتاب ثالث :

[أما بعد ، فامض لما أمرتك به من الوغول في أرضهم، وإلا فان اسحاق ابن محمد ، اخاك ، أمير الناس ، فخله وما وليته] .

غضب عبد الرحمن بن الأشعث عندما وصله كتاب الحجاج ، وعوضاً عن التوجه لقتال رتبيل توجه الى البصرة ، وأعلن خلع الحجاج ، ثم أعلن خلع الخليفة ، وانضم اليه كل الناقمين على الحجاج ، وحدثت معارك طاحنة كادت تعصف بملك الأمويين وكانت أشهر هذه المعارك « معركة دير الجماجم » ثم انتصر جيش الشام على المتمردين وألحق الهزائم المتتالية بجيش ابن الأشعث الذي أخذ يهرب من بلد إلى بلد حتى وصل زرنج في سجستان ، حيث ألقى عليه والي سجستان القبض ، وهنا تدخل « رتبيل » ملك الترك ، فقدم بجيشه وضرب حصاراً على سجستان وأنقذ عبد الرحمن . ولما بلغ الحجاج ذلك ارسل الى رتبيل مهدداً متوعداً ، وأغراه بتسليمه فسلمه الى الحجاج الذي قتله .

عمليات المهلب بن ابي صفرة في خراسان :

في الوقت الذي كان فيه عبــد الرحمن بن الأشعث يتوجه الى سجستان توجه المهلب بـــن أبي صفرة إلى « خراسان » بعد أن دفع أمامه مقدمة مكونة من ثلاثة آلاف مقاتل بقيادة « أبو الأدهم » زياد بن عمرو الزمالي .

كان ملك خراسان يسمى « السبل » وعندما اقترب المهلب بجيشه تقـــدم منه « الختل » وهو ابن عم السبل ، وطلب دعمه لمحاربة ابن عمه وإزاحته عن الملك ، وأقام الختل في معسكر الى جانب معسكر المسلمين .

استطاع « السبل » اختطاف ابن عمه المتآمر ضده ، وأعدمه .

تقدم للمهلب من قلعة « السبل » ونظم حصاراً حولها ، فأرسل اليه الملك وفداً يطلب الصلح ، ووافق المهلب على الطلب

علم المهلب أن ملك بخارى وجـــه جيشاً لقتاله ، فأرسل ابنه حبيباً في جيش من أربعين ألف مقاتل، وبعد معركة قصيرة « في رابنجن » انسحب جيش بخاري ، وبدأت المطاردة ، وحاول أربعة آلاف مقاتل من جند العدو التمركز دفاعياً في قرية قريبة من « رابنجن » فقاتلهم « حبيباً » وأبادهم وأحرق القرية فسميت منذ ذلك الحين باسم « المحترقة » . وعندما استقر الامر في خراسان ، وجه الحجاج كتاباً الى المهلب يطلب فيه توجيه الجيش لحرب « رتبيل » في سجستان ثم لم تلبث المعارك أن تطورت في سجستان بانسحاب جيش ابن الأشعث ، وعاد الضعف والتمزق الى الأقاليم الشرقية .

تلك هي المراحل الرئيسية ، والأحـــداث الهامة ، ثورة وثورة مضادة هجوم وهجوم مضاد ، وضاق الحجاج بن يوسف الثقفي ذرعاً بهذا الموقف المتدهور ، فاختار قادة استطاعوا تحويل الموقف اليائس وانتزعوا النصر تلو النصر حتّى استقر الأمر للمسلمين على الجبهة الشرقية . وقد برز في هــــذه المراحل عدد من القادة .

فكان على المحور الشمالي قتيبة بن مسلم الباهلي ثم يزيد بن الملهب ايام سليمان بن عبد الملك (٩٦ — ٩٩) ه.

وكان على المحور الجنوبي محمد بن القاسم بن محمد بن الحكم بن ابي العقيل الذي غزا السند « باكستان والهند » .

عمليات قتيبه بن مسلم الباهلي ، المحور الشمالي :

١ — فتح بيكند سنة ٨٧ ه :

بقيت الأقاليم الشرقية في حالة من التمرد والإضطراب فترة خمسة أعـــوام تقريباً (٨١ — ٨٦ ه) بسبب النزاع الداخلي ، والفتنة الهوجاء التي أثارها

عبد الرحمن بن الأشعث . وشعر ملوك سجستان وخراسان والصغد وبخارى وجرجان وفرغانه بالهدوء والطمأنينة ، فانطلقوا يثيرون القلاقل . وفي عام ٨٥ هـ أصدر الحجاج أوامره بتعيين قتيبة بن مسلم الباهلي لولاية خراسان ومحمد ابن محمد لولاية كرمان ومكران .

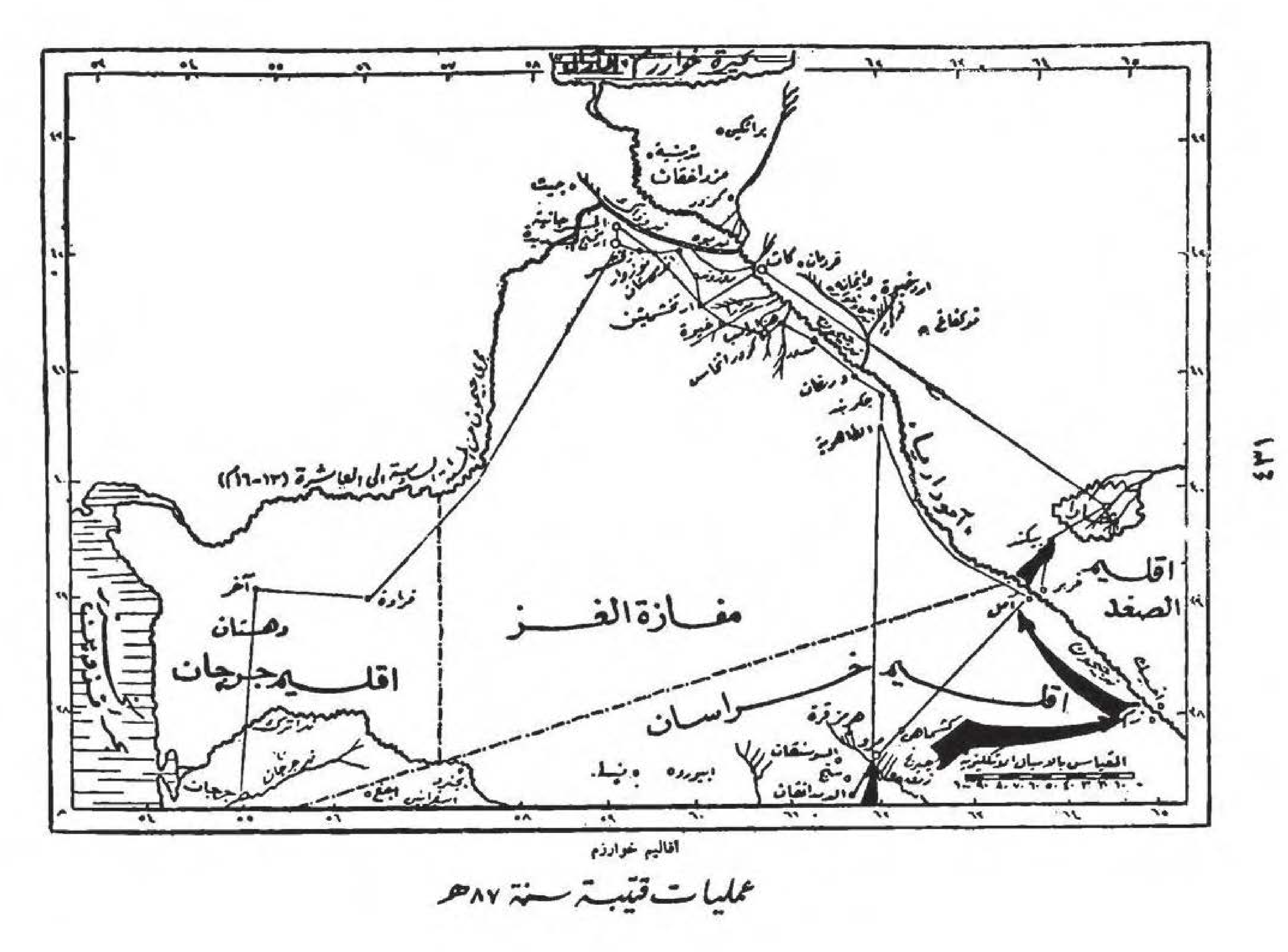
توجه قتيبة إلى مرو ومنها إلى مرو الروذ جنوباً ثم وصل « زم » ومنها إلى « آمل » وتجاوز « نهر جيحون » « امو داريا » وأشرف على « بيكند » أول مدن « بخارا » .

تحصن أهل « بيكند » في مدينتهم ، وطلبوا من الصغد دعمهم ، فأرسل ملك الصغد إليهم قوات كبيرة ، ووقعت بين الطرفين معارك تصادمية استمرت طوال شهرين ، ولما كانت هذه المعركة من أول المعارك التي يخوضها قتيبة في اقليم « خوارزم » فقد أخذ يشعر بالقلق ، وأخيراً صمم على انتزاع النصر مهما بلغت الخسائر ونظم هجوماً كبيراً حشد فيه كل طاقاته ، واستطاع تحطيم جيش « الصغد » .

وأسرع في تنظيم المطاردة واستثمار الظفر حتى وصل « بيكند » قبل أن يتمكن العدو من تنظيم دفاعه فيها ، فطلب أهل « بيكند » الصلح ، وصالحهم قتيبة .

وعندما تراجع قتيبة عن المدينة ، أعلنت « بيكند » تمردها من جديد ، وقتل أهل بيكند عمال المسلمين الذين تركهم في المدينة . ومثلوا بجثثهم ، فعاد قتيبة وحاصرها شهراً كاملا ، واستخدم « الفعلة » لهدم الأسوار واقتلاع الجدران. وطلب أهل « بيكند » الصلح إلا أن قتيبة رفض ذلك ، ونجحت قوات المسلمين من تدمير جدار بواسطة « الفعلة » وتدفقوا من الثغرة وقتلوا كل من حمل السلاح واشترك في المقاومة . ونظراً لقدوم فصل الشتاء ، تراجع قتيبة الى « مرو » . من أجل الإستعداد لمتابعة القتال .

نظم قتيبة عملياته على أساس الإفادة من فصل الربيع للقيام بهجماته مع



عمليات قتيبة سنة ٨٧هـ

التوقف عن العمليات في فصل الشتاء نظراً لبرودة الأقاليم الشمالية وقسوة الطبيعة فيها أيام فصل الشتاء .

اشترى قتيبـــة عندما رجع من غزوته اثني عشر فرساً من جياد الخيل ، واثني عشر هجيناً . ودفع ثمن كل راحلة أربعة آلاف درهم ، وتعهدها بالرعاية طوال فصل الشتاء وعندما أخذ في الاستعداد للغزو قيد الخيول واضمرها حتى تذوب شحومها وتصبح أكثر خفة لتجاوز الأنهار وقفز الحواجز والسير في المسالك الوعرة ، ثم عهد بهذه الخيول إلى أفضل الفرسان الذين يدفعهم في الطلائع « المقدمة » . وبعث في المقدمة « أشرف هؤلاء الفرسان » مع الادلاء والمكلفين بالعناية بهذه الخيول من الأعاجم . وكان كلما أراد توجيه دورية استطلاع أو مقدمة يطلب لوحاً من الخشب فيأمر بنقشه ، ثم يشطره نصفين فيسلم النصف إلى قائد مفرزة الاستطلاع أو المقدمة ويطلب اليه دفنه في مخاضة معلومة ، أو تحت شجرة معروفة كنقطة إشارية ، أو مكان مميز ثم يبعث بعده من يستخرج نصف اللوح الخشبي ويحضره له ليتأكد من صدق الدليل وحسن تنفيذ قائد المفرزة لواجبه . وقد اتخذ قتيبة هذا الأسلوب باستمرار في جميع معاركه حتى أصبح من الاجراءات المعروفة عنه .

غزو قتيبة « نومشكت » ٨٨ هـ :

في ربيـــع عام ٨٨ هـ غادر قتيبة مرو بجيشه ، وعبر نهر « جيحون » عند مدينة زم متوجهاً الى « نومشكت » وعندما وصلها خرج وفد من أهلها وطلب الصلح ، فوافق قتيبة ، وعقد الصلح بين الطرفين ، وأخذ في الإنسحاب بعد أن نظم قواته للمسير ووضع أخاه عبد الرحمن قائداً للمؤخرة « الساقة » .

أثنـــاء الإنسحاب ، اعلمت مفازر المراقبة والاستطلاع أن قوات كبرى من الترك وأهل الصغد وأهل فرغانة تسير بسرعة للانقضاض على المسلمين من الخلف ، فأرسل عبد الرحمن يعلم أخاه قتيبة بالموقف . وجاءه جواب قتيبة أن قاوموا قدر المستطاع وسأكون قريباً منكم .

وصلـــت قوات العدو ، واستعد عبد الرحمن لقتالهم ، وانقضت جيوش العدو على المؤخرة التي كانت قليلة في عددها بالمقارنة مع قوات خصومهم . ودارت رحى معركة ضارية كادت تنتهي بالقضاء على قوة المؤخرة . وفي هذه الفترة الحرجة وصل قتيبة بجيشه ونظم قواته للهجوم المضاد ، وانطلق كالعاصفة المدمرة ، فلم تلبث قوات الخصم أن أخذت في الفرار من ميدان القتال ، وانسحب جيش الترك دون تنظيم وقام جيش قتيبة بالمطاردة حتى مزق جيوش خصمه وأصبح على ثقة من أنهم لن يتمكنوا من تنظيم مقاومة جديدة ، وعاد إلى تنظيم التراجع والإنسحاب في اتجاه قاعدة عملياته « مرو » ، وتجاوز النهر عند « الترمذ » ومنها الى بلخ ، ثم الى مرو .

فتح رامثينة عام ٨٩ هـ :

بدأ قتيبة عملياته مع إطلالة الربيع ، فتوجه الى الغاريات ، وتجاوز نهر جيحون عند زم . واصطدم بتجمع قوات الصغد ، وكش ونسف في بداية « المفازة الصحراوية » . وبعد معركة شرسة ، انتصر جيش قتيبة وتابع تقدمه في اتجاه بخارا ، ولما وصل « خرقانة السفلى » الى الشرق من وردان ، اصطدم بتجمع جديد ووقعت معركة استمرت يومين وليلتين وانتهت بانتصار جيش قتيبة وهزيمة قوات التجمع . فقال نهار بن توسعة :

وباتت لهم منا بخرقان ليلة ... وليلتنا كانت بخرقان أطولا

وتابع قتيبة زحفه في اتجاه « وردان » من مدن بخارا ، وحدثت معارك تصادمية لم تصل بالمسلمين الى نتائج حاسمة . ولما أقبل الشتاء انسحب قتيبة الى قاعدته في مرو وأرسل الى الحجاج يعلمه بالموقف فأرسل اليه الحجاج رسالة طلب فيها مخطط المدينة . ولما درس الحجاج المخطط أرسل الى قتيبة الرسالة التالية

[إرجع الى مراغتك ، فتب الى الله مما كان منك ، وأتها من مكان كذا... وكذا ...]

فتح بخارا ، وغدر نيزك ٩٠ هـ :

تأثر قتيبـة من رسالة الحجاج إليه ، وخرج مع أول بواكير الربيع ، في هجومه السنوي وانضم اليه « نيزك » مع جيش من تخارستان وجهه جبغويه ملك تخارستان لدعم المسلمين .

انطلق قتيبة بجيشه حتى وصل « بخـارا » التي بقيت طوال العمليات السابقة موقعاً جنبياً حصيناً يتهدد تقدم المسلمين في اقليم خوارزم . ونظم قتيبة الحصار فأرسل أهل بخارا يستنجدون باهل « ردان خداه » والصغد والترك . ولمـا وصلت قوات الدعم الكبرى قال الأزد لقتيبة :

[اجعلونا على حده ، وخلوا بيننا وبين قتالهم] .

وأرادت قبائل الأزد أن يكون لها شرف هزيمة العدو ، فانطلقت فـي هجومها ، وقاتلت بضراوة وعناد ، إلا أن قوات الصغد والترك حطمت الهجوم وقامت بهجوم مضاد وصلت فيه معسكر المسلمين وتوغلوا حتى وصلوا معسكر النساء ، وارتفعت أصوات النساء بالأهازيج والصراخ تستثير حماسة المسلمين ، فاندفع الفرسان من جديد وأصدر قتيبة أوامره الى الجناحين الأيمن والأيسر بالإنقضاض على القوات المتوغلة في معسكر المسلمين وإبادتها . ولما شعرت قوات العدو أن المعركة تحولت لصالح المسلمين . أخذوا في الإنسحاب إلى مواقع هجومهم الجبلية المنيعة . فقال قتيبة

[من يزيلهم لنا عن هذا الموقع] .

ووقف القادة ، ولم يستجب لقتيبة احد . فتوجه قتيبة الى قبائل بني تميم بحديثه وقال لقادتهم :

[انكم انتم بمنزلة الصدارة ، فيوم كأيامكم ، أبي لكم الفداء] .

عند ذلك اخـذ وكيع اللواء بيده وقال : يا بني تميم أتسلموني اليوم ؟ فأجابه قومه : لا يا أبا مطرف ، وأسرع بن أبي طحمة المجاشعي على خيـل بني تميم واندفع وكيع يقود المشاة وهريم يقود الفرسان .

انطلقت قبائل بني تميم حتى النهر ، وتجاوزته في حين كان وكيع يربط الأخشاب ليصنع جسراً من أجل عبور جند المشاة . وعبر من المشاة ثمانمائة مقاتل . وترك البقية لحراسة المؤخرات ولحماية الإنسحاب إذا هُزِمَ المسلمون .

قام وكيع وهريم باستدارة واسعة بهدف الوصول الى مؤخرة معسكر العدو ، وعندما أشرفوا على معسكر الخصم ، استراحوا من عناء المسيرة الطويلة

قسم هريم قوة الفرسان الى مجموعتين قتاليتين ، وقال وكيع لهريم : اشغلهم عنا بالخيل ، وانطلق الفرسان ، وتسلل المشاة فلم يشعر العدو إلا بقوات المسلمين وقد باغتتهم بإغارة قوية أرغمتهم على الإنسحاب . ووقف قتيبة ينظر سيطرة قبائل تميم على المرتفع فنظر الى قواته وقال لهم :

[أما ترون هزيمة العدو ؟ من جاء برأس فله مائة درهم] .

وانطلق الجند يعبرون النهر ، وأسرعت قوات الخصم باخلاء ميدان القتال والإنسحاب بسرعة قبل أن تصلهم قوات المسلمين .

نتيجة للهزيمة المنكرة التي لقيها جيش الصغد وجيش بخارا ، تقدم « طرخون » ملك السند حتى وصل الضفة المقابلة من نهر جيحون ، وعرض على قتيبة الصلح فوافقه قتيبة ووقعا اتفاقية الصلح ، وعندما رجع طرخون الى بلاده ، رفض أهل مملكته قبول الصلح ، وخلعوه عن الملك ونصبوا ابن اخيه مكانه . وشعر « طرخون » بالألم لهذا الموقف المتمرد ، فاتكأ على سيفه وانتحر ، وأرسل الملك الجديد يعلن رفضه لإتفاقية الصلح المعقودة مع عمه .

وفي الوقت ذاته كان قتيبة يدخل بخارا ويمضي صلحاً مع اهلها .

غدر نيزك :

نظم قتيبة أمور بخارا ، ورجع الى قاعدته ومعه نيزك ، وفي الطريق تحدث نيزك مع قادته ، واقترح عليهم التمرد على المسلمين والخروج عنهم . قبل ان

تقوى قدرتهم القتالية ، ووافقه قادته ، فاستأذن نيزك من قتيبة الرجوع الى تخارستان . ووافق قتيبة على ذلك ، وأسرع « نيزك بجيشه حتى وصل مضيق « خلم » حيث أعلن تمرده وأرسل رسائل الى :

باذام ملك مروروذ .
سهرب ملك الطالقان .
ترسل ملك الغارياب .
الجوزجاني ملك الجوزجان .

وعرض عليهم تنظيم جيش موحد ، والبدء بالهجوم على جيش قتيبة مع بداية الربيع قبل ان يبدأ قتيبة عملياته في الربيع .

وفي الوقت ذاتـــه كتب نيزك الى « كابل شاه » يطلب قبوله لاجئاً في بلاده اذا هزم على أيدي المسلمين على أن يرسل إليه بأمواله وعتاده وأهله فوافق ملك كابل على طلب « نيزك » .

كـــان جبغويه ملك تخارستان « الشذ » ضعيفاً . فأخذه نيزك وقيده بقيود من ذهب ، وفرض عليه الإقامة الجبرية ، وأقام عليه الحراسة المشددة وعزله عن كل اتصال خوفاً من إثارة أهـــل تخارستان ضده . ثم طرد « نيزك » عامل قتيبة . ولما تجمعت المعلومات الكاملة عن الموقف عند قتيبة كان جنده قد تفرقوا ولم يبق معه إلا أهل مرو ، ونظراً لقدوم فصل الشتاء، قرر قتيبة الإنتظار حتى قدوم فصل الربيع .

في نهايـــة فصل الشتاء أرسل قتيبة أخاه عبد الرحمن الى « البروقان » وكتب له :

[اقم في بروقان ، ولا تحدث شيئاً ، فاذا حَسَرَ الشتاء فعسكِر وسر نحو تخارستان ، واعلم اني قريب منك] .

ثم كتب قتيبة الى ملوك « ابرشهر ، وبيورد ، وسرخس ، واهل هراة ، قدومهم على رأس جيوشهم في موعد مبكر. ووصلت هـــذه الجيوش بسرعة .

انطلـــق قتيبة بجيوشه حتّى الطالقان ففتحها بصورة مباغتة ، ولما علم مرزبان « مرو الروذ » بزحف قتيبة هرب الى بلاد فارس ، ودخل قتيبة مرو روذ فوجد ابني « المرزبان» فقتلهما وصلبهما . وتابع تقدمه حتّى الطالقان ، فصالحـــه ملكهـــا ، وقبض قتيبـــة عـــلى مجموعـــة من اللصوص فأعدمهم في الطالقان بهدف ردع كل حركات التمرد . ثم تقدم إلى الغارياب فخرج ملكها وصالح قتيبة ، ولما بلغ ملك الجوزجان سرعة تقدم قتيبـــة واستسلام الأقاليم له . هرب إلى الجبال ، ووصل قتيبة إلى الجوزجان فخرج أهلها إلى قتيبة وعرضوا عليه الصلح . فقبل قتيبة عرضهم ، ثم تابع زحفه إلى « بلخ » فاستقبله الأصبهبذ معلناً استمراره في الالتزام بنصوص اتفاقية الصلح. فمكث قتيبة يوماً واحداً فيها . وانطلق منها الى شعب « خلم » حيث كان أخوه عبد الرحمن قد سبقه إلى المضيق .

كـــان « نيزك » قد نظم معسكره « ببغلان » وترك مجموعة من المقاتلين عند مدخل الممر الإجباري في المضيق الجبلي . كما كان قد نظم الدفاع في قلعة حصينة تشرف على مدخل المضيق ولم يكن هناك محور للوصول حتّى قلعة نيزك إلا من محور الطريق الذي يقع في سرير الوادي .

توقفـــت جيوش قتيبة أمام مدخل المضيق ، وأخذت تقاتل الحامية المدافعة عن محور الطريق أياماً عديدة دونما نتيجة حاسمة ، وانصرف قتيبة الى دراسة الأرض لمعرفة نقطة ضعف يمكن التسلل منها إلى القلعة . وهنا تقدم منه ملك الرؤب وسمنجان ووعده بتقديم العون لفتح القلعة فيما إذا عفا عنه قتيبة لتمرده في السابق فعفا عنه .

نظـــم قتيبة قوة إغارة ليلية للهجوم على قلعة « خم » وقاد ملك سمنجان المجموعة القتالية في الليل عبر المسالك الجبلية الضيقة ، ولما وصلوا القلعة قام الفرسان بإغارة مباغتـــة وأبادوا الحامية المدافعة عن القلعة بكاملها تقريباً . ودخل قتيبة بقواته الى القلعة ، ثم انطلق منها عبر الممر الجبلي حتّى وصـــل سمنجان ودخل مع ملكها الى المدينة .

أقام قتيبة في سمنجان أياماً ، ودفـع أخاه عبد الرحمن لتجاوز صحراء صغيرة تصل إلى « فتح جاه » حيث كان يعسكر فيها « نيزك » .

شعر نيزك بتقدم عبـد الرحمن ، فأرسل أمواله وأعتدته إلى « ملك كابل » ثم تحرك بقواته في اتجاه وادي « فرغانه » حتى وصل الكرز ، وتمركز فيها ونظم دفاعه عنها .

انتقـل عبد الرحمن حتى وصل الى مسافة قريبة من الكرز وأرسل القوات لعزل المنطقة والسيطرة على الممرات الإجبارية والمضائق . ثم تحرك قتيبة بجيوشه فنزل في « اسكيمشت » .

كان معسكر نيزك في موقـع حصين لا يمكن الإقتراب منه إلاعن طريق محور واحد ، وهذا المحور لا يصلح لتقدم الفرسان . وأقبل فصل الشتاء ، ورغب قتيبة في انهاء العمليات قبل تزايد شدة البرد ، فأرسل سليماً الناصح لمفاوضة نيزك والإحتيال عليه وقال قتيبة الى سليماً :

[انطلق الى نيزك ، واحتل لأن تأتيني به بغير امان فان اعياك وأبى فآمنه ، واعلم ان عاينتك وليس هو معك صلبتك ، فاعمل لنفسك] .

نجـح سليماً في خداع نيزك ، وأقنعه بتسليم نفسه ، فتقدم نيزك ومعه جبغويه وصول وعثمان إبنـا أخ « نيزك » وصول طرخان خليفـة جبغويه وخنس طرخان « قائد الشرطة » وأسلمهم قتيبة « الى ابن بسام » الذي فرض عليهم حراسة مشددة ريثما يتقرر وضعهم ، واستقدم قتيبة السبل ، والشذ لمشاهدة نيزك مكبلا بالحديد فاعتذر نيزك من مليكه عما بدر منه وكذلك فعل صول طرخان « ولي العهد » . وأعاد قتيبة السبل والشذ الى أقاليمهما لممارسة صلاحيتهما ملوكاً على أقاليمهما . وجاء أمر الحجاج بقتل نيزك وأصحابه فقتلهم قتيبة .

غزو قتيبة شومان وكش ونسف ٩١ هـ :

طرد ملك شومان « قيشبشتان » « قيسلشتان » عمال قتيبـة ومنع الفدية التي

صالح عليها ، فبعث إليه قتيبة وفداً من خراسان وعليه عياش الغنوي وذلك من أجل توجيه النصح . فقتلهم ملك شومان ، فسار إليهم قتيبة بنفسه وانطلق من بلخ. ولما كان شومان صديقاً لصالح بن مسلم فقد أرسل اليه صالح رجلا يدعوه الى الطاعة ويضمن له عفو قتيبة عنه ، ولما وفد الرسول الى شومان ونصحه اجابه هذا بقوله :

[ما تخوفني به من قتيبة ، وأنا أمنع الملوك حصناً ، وأعلاهم بنياناً وأشد الناس قوساً ، وأقواهم رمياً ، فلا تبلغ نشابة نصف حصني فما أخاف قتيبة] .

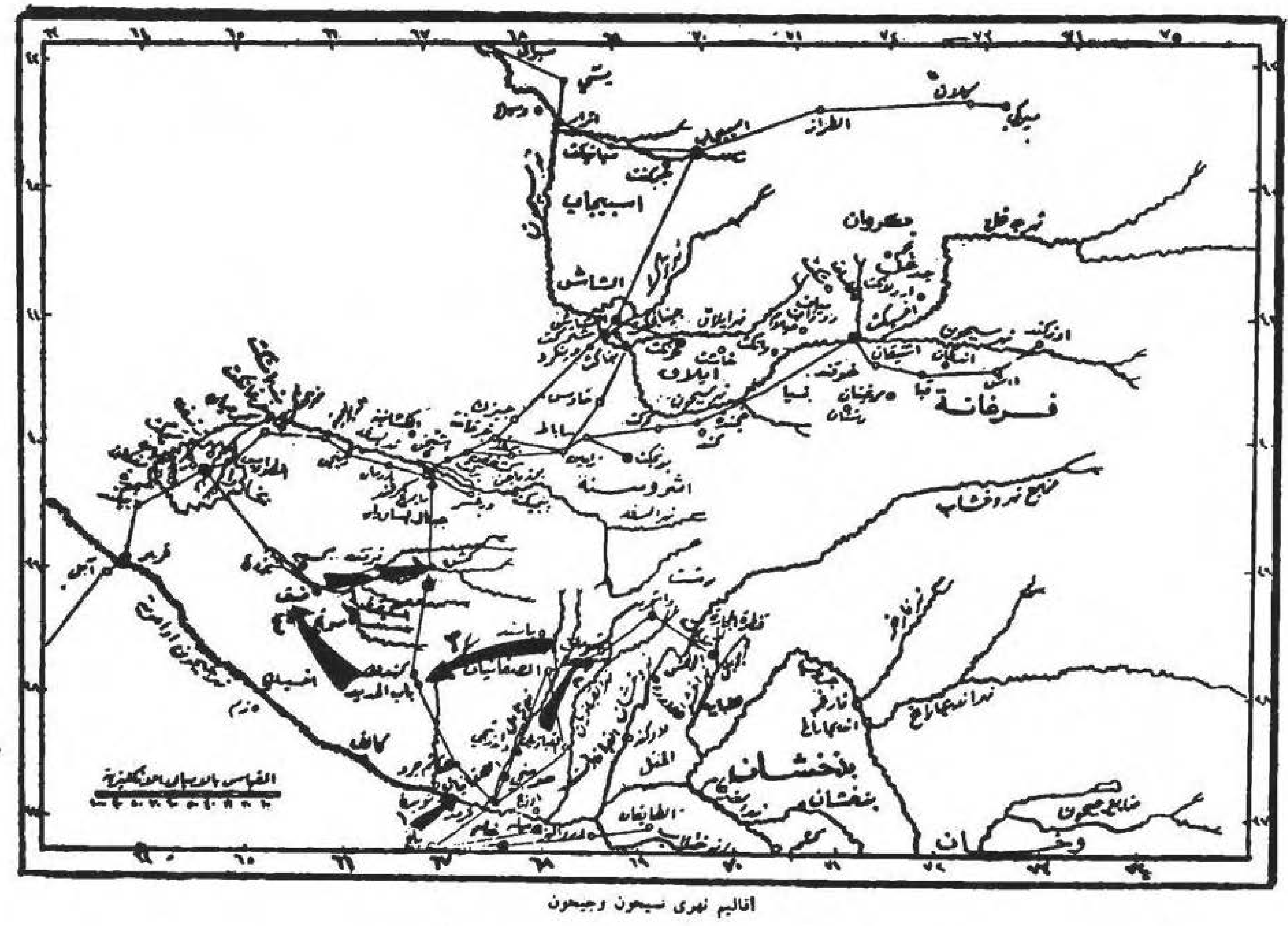
عبر قتيبة بجيشه نهر « الصغد » ، وتقدم حتى وصل شومان ،وحاصرها ثم نصب « المجانيق » ورمى الحصن فدمره ، وشدد قتيبة الحصار فعزل المدينة عن كل موارد الدعم . وعرف « قيشبشتان » أن نتيجة المعركة لن تكون لصالحه ، فجمع أمواله وكنوزه ومجوهراته وألقى بها في بئر عميق وسط القلعة ثم جمع قوته وخرج لقتال قتيبة ، وبعد معركة قصيرة قتل ملك شومان وانهارت المقاومة ودخل قتيبة القلعة ، فقتل المقاومة وسبى المدينة .

انتقل قتيبة من شومان الى « باب الحديد » فاستسلمت المدينة دونما مقاومة ثم سار الى نسف فاستسلمت بدورها ، دونما مقاومة . وتابع زحفه حتى وصل كش ، فاستسلمت بدورها . وبذلك أصبحت المراكز الرئيسية الواقعة شمال نهر جيحون وجنوب نهر الصغد في قبضة المسلمين .

رجع قتيبة بعد ذلك إلى بلخ ووجه أخاه عبد الرحمن الى الصغد فاستقبله ملكها ودفع له الجزية وعاد عبد الرحمن الى بلخ ثم نظم قتيبة التحرك الى مرو معلناً انتهاء عملياته السنوية ، (انظر المخطط المرفق) .

الصلح مع سجستان والزابل سنة ٩٢ هـ :

توجه قتيبة إلى سجستان مع بداية الربيع وقد وضع مخططه على أساس



أقاليم نهري سيحون وجيحون

عمليات قتيبة بن مسلم سنة ٩٦ هـ

احتلال الإقليم بكامله ، ولما وصل سجستان ، وفدت اليه مجموعة أرسلها ملك الترك « رتبيل » بهدف عقد الصلح مع المسلمين . فوافق قتيبة على الصلح ، وأرسل « عبد ربه بن عبدالله بن عمير الليثي » عاملا عنه الى الإقليم ورجع الى مرو .

صلح قتيبة مع ملك خوارزم وفتح خام جرد سنة ٩٣ هـ :

كـــان ملك اقليم خوارزم « الآرال » متقدماً في العمر وضعيفاً ، فغلبه أخوه الأصغر « زاد » على أمره .

وكـــان « زاد » مستهـــتراً مجرداً من القيم ، فانطلق يعبث فساداً ، ينهب ويستولي على كل ما كانت تصل اليه يده من أموال الشعب ومواشيه وفاخر متاعه ومجوهراته . وكان لا يسمع بفتاة جميلة إلا سباها سواء كانت بنتاً أو أختاً أو زوجة ، وشكا الناس أمرهم إلى المليك ، فاظهر عجزه وقصوره عن تأديب أخيه .

وتزايد التذمر ، وتألم الملك حتى لم يعد له طاقة على الصبر ، فكتب إلى قتيبة يدعوه لاحتلال بلاده وإعانته على تصريف أمور أهل مملكته وأرسل إليه ثلاثة مفاتيح ذهبية هي مفاتيح مدنه الرئيسية الثلاثة ، واشترط على قتيبة تسليمه أخاه وكل من كان يعارضه في الحكم ، وطلب من قتيبة ابقاء الأمر سراً .

وصـــل وفد الملك الى قتيبة ، وأدرك قتيبة خطورة الموقف الذي يجابهه الملك فكتم الأمر في نفسه ، وأعلم الوفد أنه يهدف في هذا العام الهجوم على الصغد وانه لا يعتزم التقدم في اتجاه خوارزم . وعاد الوفد يحمل الرسالة السرية الى الملك يعلمه بما سيتخذه من خطوات .

انتهـــى فصل الشتاء ، واستخلف قتيبة على مرو « ثابتاً الأعور » وانطلق بجيوشه في اتجاه خوارزم ، ووصلها بصورة مباغتة ، ونزل جيش المسلمين في هزارست.

كان جيش خوارزم منصرف عن القتـال إلى اللهو بعد أن طمأنهم الملك أن قتيبة لن يغزوهم في هذا العام . ولما انتشر جيش المسلمين جمع الملك قادته واستشارهم في الموقف ، فاقترح القادة البدء بأعمال القتال وأجابهم الملك

[إني أرى غـير ذلك ، فقد عجز عن مجابهة هذا الجيش من هو أكثر قوة منا ، واقترح أن نصرفه بجزية ندفعها له في هذا العام ، ثم نرى رأينا] .

ووافق القادة على اقتراح الملك .

تقـدم ملك خوارزم بجيشه حتى وصـل مدينة « فيل » المقابلة لمدينـة هزارسب والتي يفصل نهر بلخ بينهما وعقد ملك خوارزم صلحاً مع قتيبة وطلب دعمه لحرب ملك « خام جرد » .

وجه قتيبة أخـاه عبد الرحمن الى ملك « خام جرد » واستطاع عبـد الرحمن أن يهزم ملك خام جرد وأن يقتله . واستولى على الإقليم واقتاد أربعة آلاف أسير رجع بهم الى قتيبة فأصدر أمره بقتلهم ، كما دفع قتيبة إلى ملك خوارزم أخاه ومن كان يعارض حكمه فقتلهم ملك خوارزم وصادر أموالهم وأملاكهم . ودخل قتيبة وجيشه مدينة « فيل » وتم تنفيذ شروط اتفاقية الصلح ثم رجع قتيبة إلى هزارسب ، وقد غنم أموالا وكنوزاً طائلة .

يوم سمرقند ٩٣ هـ (١) :

كانت سمرقند عاصمة اقليم « الصغد » أزبكستان حاليـاً ، وهي تقع في موقع متوسط من الإقليم ، تستند الى جبال آلاي المتفرعة عن هضبة التيبت ، وقد عني بها ملوك الصغد ، فحصنوها تحصيناً جيداً . ونظراً لوعورة المسالك وصعوبة الوصول اليها ، فانه لم يفكر أحد باحتلالها خلال المراحل السابقة ورضي الولاة وقادة الجيوش بالصلح معها . وكانت سمرقند تصالح وتنتقض باستمرار

---

(١) تاريخ الطبري ، ج ٦ ص ٤٧٢ .

وبقيت مركزاً رئيسياً من مراكز الثورة المضادة للمسلمين ، ومحوراً هاماً في كل تحالف عسكري ضد الجيوش العربية .

عندما أنهى قتيبة بن مسلم عملياته القتاليـــة في اقليم خوارزم وعقد صلحا مع مليكها ، تقدم منه المجشر بن مزاحم السلمي وقال له :

[إن أردت الصغد يوماً من الدهر ، فالآن ، ذلك لانهم آمنون من أن تأتيهم في عامك هذا ، وبينك وبينهم عشرة ايام] .

واجابه قتيبة على الفور :

[وهل اشار بهذا عليك احد] .

فقال له المجشر :

[لا] .

وسأله قتيبة من جديد :

[وهل اعلمته احداً ؟]

فقال المجشر :

[لا] .

وعندها قال له قتيبة :

[اكتم الامر ، ووالله لئن تكلم به احد لأضربن عنقك] .

١ ــ خطة الخداع :

وضع قتيبة مخططه لخـــداع العدو بهدف تحقيق المباغتة الزمانية والمكانية في موعد الهجوم ومحوره . وفي صبيحة اليوم التالي تسلم عبد الرحمن بن مسلم الرسالة التالية :

[سر في الفرسان والمشاة « المرامية » وقدم الأثقال إلى مرو] .

توجهت القافلة في اتجـــاه مرو ، وقتيبة يتبع بجيشه الأثقال « الغنائم »

طوال النهار . وفي المساء تسلم عبد الرحمن رساله ثانية من أخيه قتيبة وقرأ فيها :

[اذا اصبحت فوجه الأثقال الى مرو ، وسر في الفرسان والمشاة نحو الصغد ، و اكتم الأخبار فإني في الأثر ، بمعنى أتبعكم] .

نفذ عبد الرحمن التعليمات بدقة فدفع الغنائم الى مرو ، وترك معها حراسة كافية ، وقاد بقية الجيش في اتجاه الصغد ، وكان عدد المقاتلين الذين بقيادته (٢٠,٠٠٠) عشرين الفاً . وتابع عبد الرحمن زحفه حتى وصل حدود خوارزم وتوقف حسب الأوامر المعطاة إليه ومكث أربعة ايام قبل أن يلحق به قتيبة .

بعد أن أصدر قتيبة تعليماته إلى أخيه ، انطلق مع جيشه ، وحشد أهل خوارزم وأهل بخارى ثم وقف في جيشه يشرح لهم الموقف ، وهدف العمليات .

[ان الله قد فتح لكم هذه البلدة في وقت الغزو فيه ممكن ، وهذه الصغد شاغرة من رجالها ، قد نقضوا العهد الذي كان بيننا ، منعونا ما كنا صالحنا عليه ملكهم « طرخون » وصنعوا به ما بلغكم ، وقال الله [فمن نكث فانما ينكث على نفسه] (١) . فسيروا على بركة الله ، فإني أرجو أن تكون خوارزم والصغد « كالنضير وقريظة (٢) » وقال الله تعالى « وأخرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها »] (٣) .

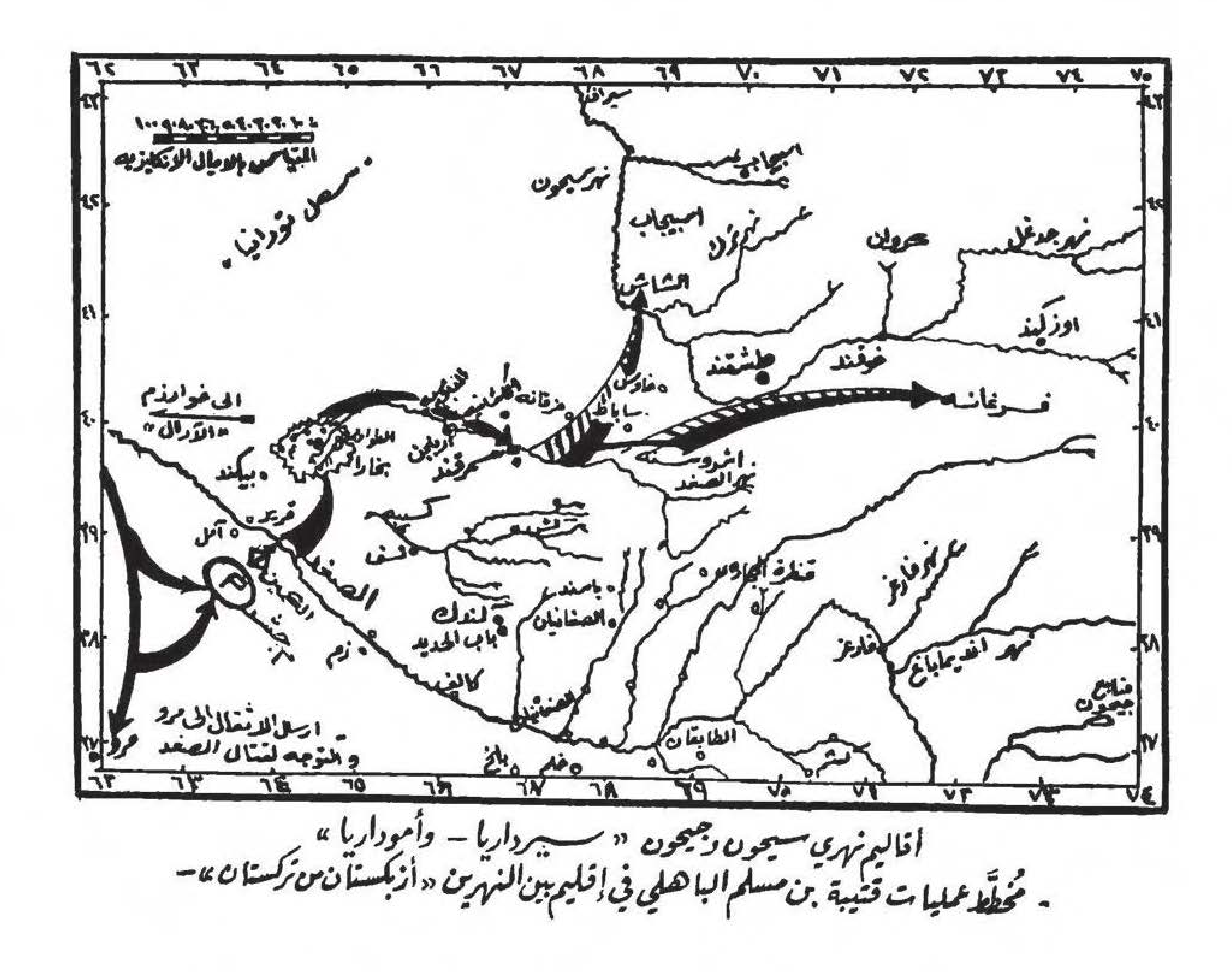
وصل قتيبة بجيشه الى منطقة الحشد التي كان قد سبقه إليها أخوه عبد

---

(١) سورة الفتح ، الآية ١٠ .

(٢) النضير وقريظة ، من القبائل اليهودية التي غدرت بالمسلمين وحاربها المسلمون فانتصروا عليها في غزوة الخندق .

(٣) سورة الفتح ، الآية ٢١ .



أقاليم نهري سيحون وجيحون « سيرداريا – وأموداريا »

– مُخطَّط عمليات قتيبة بن مسلم الباهلي في إقليم بين النهرين « أزبكستان من تركستان » –

الرحمن ، وانطلق الجيش الى « الصغد » فوصلها مساء . فقال قتيبة :

[اذا نزلنا بساحة قوم « فساء صباح المنذرين »] (١) .

ضرب قتيبة حصاراً حول « معسكر أهــل الصغد » وخرج جيش الصغد من اتجاه السهل واشتبك مع المسلمين مرات عديدة ، دونما تحقيق نتائج حاسمة وخاف أهل « الصغد » طول الحصار فكتبوا إلى ملك الشاش ، واخشاذ فرغانة الرسالة التالية :

[إن العرب إن ظفروا بنا عادوا اليكم بمثل ما أتونا به ، فانظروا لأنفسكم]

وأجابهم ملك الشاش واخشاذ فرغانة بالرسالة التالية :

[ارسلوا اليهم من يشغلهم حتى نبيت عسكرهم] .

٢ ــ الكمين :

لم يكن أحــد يتوقع من المسلمين هذا الهجوم المباغت ، ولهذا لم تكن هناك استعدادات مسبقة لمقاومة زحف المسلمين ، ولما وصلت رسالة ملك الصغد إلى ملكي الشاش وفرغانة ، عمل الملكان بسرعة على توجيه أفضل فرسانهم وخيرة مقاتليهم من أبناء الملوك والارازبة والأساورة « الإقطاعيين والأمراء » . ووجهوا هذه القوة لقتــال المسلمين ، وأمروهم أن يصلوا ليلا إلى معسكر المسلمين في إغارة مباغتة لتدميرهم .

نجحت عناصر الإستطلاع ، ومفارز المراقبــة من جمع المعلومات عن تحرك هذه القوة فانتخب قتيبة ستمائة مقاتل ممن عرفوا بعنادهم في القتال وعين صالح بن مسلم أخاه قائداً لهذه القوة ، وأصدر أمره إليه بالتوجه نحو المحور الذي أصبح من المتوقع تقدم العدو منه ونصب كمين في المكان الملائم .

تقــدم صالح ومعه قوة الكمين حتى اصبح على مسافة ٣٠ كم تقريباً من

---

(١) سورة الصافات ، الآية ١٧٧ .

معسكر المسلمين ... وقسم قوة الفرسان إلى ثلاثة مجموعات قتالية . وضع مجموعة الى اليمين من محور الطريق ووزعها بشكل ملائم وأصدر إليها تعليماته القتالية ، ثم وضع مجموعة ثانية الى اليسار من محور الطريق مقابل المجموعة الأولى وبقي مع المجموعة الثالثة عند محور الطريق .

ودفع صالح عناصر الاستطلاع في اتجاه العدو ، واتفق معهم على الشارات للإنذار باقتراب العدو .

وصل جيش العدو مع منتصف الليل ، وكان تقدمهم صامتاً ، إلا أنهم لم يكونوا يتوقعون وجود قوات متقدمة للمسلمين فلم يشعروا إلا بفرسان قوة صالح بن مسلم وهي تسد عليهم الطريق ، وبدأت معركة طاحنة ، وعندما اشتبكت قوة العدو بكاملها مع القوة التي تمسك بالطريق ، انقضت قوة الكمين من خلف العدو ، وأعملت فيه قتلا ، فلم ينج الا القليل وسقطت القوة بكاملها بين قتيل وأسير. قال رجل من البراجم يصف المعركة الليلية :

[ما رأيت قط قوماً كانوا أشد بأساً من أبناء أولئك الملوك ولا أصبر منهم على القتال ، فقتلناهم بحيث لم ينج منهم إلا نفر يسير وحوينا أسلابهم وسلاحهم واحتززنا رؤوسهم ، وأسرنا منهم أسرى فسألناهم عن قتلاهم، فقالوا « ما قتلتم إلاّ ابن ملك أو عظيم من العظماء أو بطل من الأبطال ولقد قتلتم رجالاً إن كان الرجل ليعدل مائة رجل ، فكتبنا على آذانهم اسماءهم ، ثم دخلنا المعسكر حين أصبحنا ، وما منا رجل إلا معلق رأساً معروفاً باسمه ، وسلبنا من جيد السلاح وكريم المتاع ومناطق الذهب ، وخيول فرهة فنفلنا « منحنا » قتيبة ذلك كله ، وكسر ذلك أهل الصغد] .

نصب قتيبة « المجانيق » وأخذ يرمي معسكر « الصغد » وتابع حصارهم ووقعت خلال هذه الفترة اشتباكات عديدة ، قاتل فيها جيش بخارى وجيش خوارزم قتالا مشرفاً إلى جانب جيش قتيبة .

تقــدم قتيبة بعد ذلك مسيرته « شمال نهر سمرقند » حتّى وصل بخارا واستثار اهلها للقتال معه ، فانضمت إليه مجموعات أخرى ، وتابع زحفه حتّى وصل « أربنجن » حيث اصطدمت قواته بقوات غوزك « ملك الصغد » وكان ملك الصغد قد ضم إليه عدد ضخم من مقاتلي جيوش الترك ، وفرغانة والشاش ، وتكررت المعارك التصادمية وكان جيش قتيبة ينتزع الأرض من قبضة خصمه انتزاعاً ، ويدفعه الى الخلف خطوة بعد خطوة واستمر الوضع على هذه الصورة حتّى اقترب جيش الصغد من مدينة « سمرقند » . وعندها حدثت معركة طاحنة حشد فيها ملك الصغد كل امكاناته . واستطاع هجوم العدو تحطيم قلب جيش المسلمين والإندفاع حتّى عمق ترتيب القتال ، وتحركت أجنحة جيش المسلمين .. فأطبقت على قوات العدو ، ثم نظم قتيبة الهجوم المضاد الذي انتهى بتدمير قوات الهجوم وإلحاق الهزيمة بها ومطاردتها حتّى معسكرها ومواقعها القتالية . وسقط في المعركة أعداد كبيرة من جند الطرفين . لما وجد ملك الصغد انه لم يعد قادراً على التصدي لزحف جيش قتيبة أصدر أوامره بالدخول الى « سمرقند » والإعتصام بها .

٣ ـ حصار سمرقند :

عزل قتيبة سمرقند عــن كل ما حولها ، وشدد الحصار عليها . ونصب « المنجنيق » وأخذ يرمي الأسوار دونما هوادة . وطال أمد الحصار حتّى شعر المسلمون بالضيق ، وكان تذمر عدوهم أكثر . وأخيراً نجحت رمايات المنجنيق بإحداث ثغرة تصلح لتسلل المشاة فأسرع العدو الى المحطومات و« غرائز الدخن » واغصان الأشجار الضخمة .

ـ عندما حدثت الثغرة ارتفع صوت من وراء الأسوار يشتم قتيبة بلغة عربية فصحى وقد وصف عمرو بن أبي زهدم هذا الموقف بالكلمات التالية :

[ثلمت الثلمة في جدار سمرقند وإذا بمناد ينادي بالعربية الفصحى ويشتم

قتيبة ، وكنا حول قتيبة ، فخرجنا مسرعين ، ومكثنا طويلا وهو ملح بالشتم ، فعدت لرؤية قتيبة ، فوجدته يقول كالمناجي لنفسه ، حتى متى يا سمرقند يعشش فيك الشيطان ؟ أما والله لئن أصبحت لأحاولن من أهلك أقصى غاية] .

فانصرفت الى أصحابي وقلت لهم :

[كم من نفس ابية ستموت غداً منّا ومنهم ، وأخبرتهم الخبر] .

استدعى قتيبة عدداً من مهرة الرماة وقال لهم ؛ اختاروا منكم رجلين وعندما تم اختيار اثنين من أفضل مهرة الرماة قال لهم قتيبة :

[ايكم يرمي هذا الرجل ، فان اصابه فله عشرة آلاف درهم وان اخطأه قطعت يداه] .

تردد رام من الإثنين وتقدم الآخر فرمى سهماً أصاب الرجل الذي لا زال يشتم قتيبة ، واقتلع السهم العين وسقط قتيلا ، وتوقف عن السباب .

في صبيحة اليوم التالي، أصدر قتيبة أوامره التالية :

[الى رماة المنجنيق ، ارموا بالثغرة] .

[الى المشاة ، تقدموا حتى تعبروا الثغرة] .

نجح رماة المنجنيق في إعادة فتح الثغرة ، وتقدم المشاة ، وانهالت السهام عليهم فوضعوا تروسهم حتى وصلوا الثغرة ، وانتشر الفزع في المدينة ، وأسرع أهلها يطلبون الصلح مجدداً ، وكانوا قد طلبوه قبلا فرفض قتيبة ذلك وارسل الى ملك الصغد رسالة جاء فيها :

[أنا ثائر بدم طرخون ، كان مولاي ، وكان من أهل ذمتي وإني لن أعقد صلحاً قبل أن أرمي «سمرقند» بالمنجنيق وحتى تصيب سهامي اهلها] .

وافق قتيبة في هذه المرة على الصلح ضمن الشروط التالية

١ ــ دفع الجزية بمليونين ومئتي ألف درهم في كل عام .

٢ – دفع رهن مكون من ثلاثين ألف نسمة ليس فيهم صبي ولا شيخ ، وكلهم من المقاتلين الذين لا عيب فيهم .

٣ – إخلاء المدينة بحيث لا يتواجد فيها ولو مقاتل واحد .

٤ – بناء مسجد حتّى يدخل قتيبة وقوة من المسلمين للصلاة فيه.

٥ – وضع منبر في المسجد للخطابة .

٦ – إعداد وجبة الطعام للمسلمين لتناولها بعد الصلاة .

– وافق ملك الصغد على الشروط ، وأرسل قتيبة عشرة جنود من كل خميس « جيش » لاستلام الجزية والغرامة وعندما وصلت الرهائن والأموال قال قتيبة :

[الآن ذلوا حين صار أخوانهم وأولادهم في أيديكم] .

خرج أهـــل سمرقند من مدينتهم بعد أن شيدوا مسجداً ووضعوا فيه منبراً ودخل قتيبة ومعه أربعة آلاف مقاتل اختارهم من بين أفضل جنده . فصلى وخطب في الجند ثم تناول طعام الغداء ، وأرسل إلى أهل سمرقند من يعلمهم بقرار قتيبة ويقول لهم :

[من أراد منكم أن يأخذ متاعه فليأخذه فاني لست خارجاً منها وإنما صنعت هذا لكم . ولست آخذ منكم اكثر مما صالحتكم عليه . غير أن الجند يقيمون فيه] .

أصدر قتيبة أوامره بجمع الأصنام الموجودة في المدينـــة فجمعت حتّى تشكل منها تَل مرتفع . وأمر قتيبة بإحراقها . فقال له بعض سكان المدينة إن فيها أصناماً من أحرقها هلك ، فقال قتيبة : أنا أحرقها بنفسي . وتقدم غوزك من قتيبة ، فجثى بين يديه وقال له :

[أيها الامير إن شكرك علي واجب لا تعرض لهذه الاصنام] .

فدعى قتيبة بالنـــار ، واخذ شعلة بيده وخرج فكبر ثم أشعلها وأشعل الناس

النيران فاضطرمت ، وعندما خمدت النيران كان وزن مسامير الذهب والفضة خمسين الف مثقال .

أخـذ قتيبة يستعد للرجوع الى قاعدة عملياته في مرو ، وعين أخاه عبدالله ابن مسلم عاملا على المدينة ، وترك عنده قوة كبيرة من المقاتلين ، وجهزهم بمختلف أعتدة الحرب وقال لعبدالله مخاطباً وهو يودعه :

[لا تدع مشركاً يدخل باباً من أبواب سمرقند الا مختوم اليد ، وان جفت الطينة قبل أن يخرج فاقتله ، وإن وجدت معه حديدة - سكيناً - فما سواه فاقتله] .

وكان من بين أسرى قتيبة ابنة من أولاد يزدجرد أرسلها قتيبة الى الحجاج فوجهها الحجاج إلى الوليد الذي تزوجها فولدت له « يزيد بن الوليد » .

وحقق قتيبة في عـام واحد انتصاراً حاسماً على موقعين رئيسيين هما « خوارزم وسمرقند » .

غزو قتيبة الشاش وفرغانه - ٩٤ و ٩٥ هـ :

إقليم الشاش هو المنطقة التي تقـع شمال نهر سيحون « نهر سيرداريا » حالياً . وهو اقليم جبلي يعتبر امتـداداً لسلسلة جبال تيان شان ، وتقع طاشقند في مركز الإقليم . أما اقليم فرغانه ، فهو الاقليم الذي يقع إلى الجنوب من نهر سيحون . وهذا الإقليم ايضاً جبلي متفرع عن التيبت ويعرف حالياً باسم جبل « آلاي » . و« فرغاغة » حالياً القسم الشرقي من أزبكستان .

بـدأ قتيبة عمليات فصل الربيع بتجاوز نهر « سمرقند » وجند من سكان بخارى و كش ونسف وخوارزم جيشاً يضم عشرين الف مقاتل .

تحرك قتيبة مـع محور نهر الصغد حتى وصل « خجندر » حيث التقى بجيشها ووقعت معارك بين الطرفين ، وعلى الرغم من الإنتصارات المتتالية التي أحرزها قتيبة ، إلا أنه لم ينجح في احراز نصر حاسم .

وجـه قتيبة الى الشاش جيشاً بقيادة أخيه عبد الرحمن ، ونجح عبد الرحمن في تحقيق انتصارات متتالية وفتح عدداً من المواقع . ودمر عدداً من التحصينات وأحرق القرى والمراكز التي قاومت زحفه ثم عاد والتحق بجيش قتيبة .

تابـع قتيبة تقدمه حتى كاشان عاصمة اقليم فرغانة وفتحها بعد معارك عنيدة وأحرق القسم الأكبر منها ثم رجع إلى مرو ، وكتب الى الحجـاج باستنزاف قوة جيش المسلمين .

وجـه الحجاج رسالة الى محمد بن القاسم الذي كان يعمل على المحور الجنوبي وطلب اليه بعد أن انتهت العمليات على ذلك المحور بتوجيه جيش العراق لدعم قتيبة على أن يكون جهم بن زحر بن قيس قائداً لجيش العراق.

انطلق قتيبـة بجيشه وبقوات الدعم التي وصلته فتوجها الى الشاش وعندما وصل الإقليم بلغه خبر وفاة الحجاج ، فرجع الى مرو بعد أن وزع قواته على ثلاثة مدن هي : مرو ، وكش ، ونسف .

لم يكـد قتيبة يستقر في مرو حتى جاءه كتاب من الخليفة الوليد بن عبد الملك وفيه :

[قد عرف أمير المؤمنين بلاءك ، وجدك في جهاد أعداء المسلمين ، وأمير المؤمنين رافعك وصانع بك كالذي يجب لك . فالمم مغازيك وانتظر ثواب ربك . ولا تغب عن أمير المؤمنين كتبك حتى كأني انظر الى بلادك والثغر الذي أنت به] .

أعـادت رسالة الوليد الثقة الى قتيبة ، فأخذ يستعد لهجوم الربيع التالي .

غزو قتيبة « كاشغر » والصلح مع ملك الصين – ٩٦ هـ :

بـدأ قتيبة عملياته بالتوجه الى « فرغانة » ، ثم أرسل قوة « رائـدة » لاستطلاع محور « شعب عصام » والتقدم حتى « كاشغر » وعندما توفرت لديه المعلومات عن عدم وجود قوات كبيرة وجه قوة الى كاشغر ، فاستولت

القوة على الإقليم ونظمته حتّى يصبح قاعدة للانطلاق في غزو الصين ، وقبل أن يغادر قتيبة « فرغانه » وصله إعلام عن وفاة الوليد بن عبدالملك ، وخاف عزله فاتخذ اجراءات الأمن ، وأصدر اوامره بوضع مفارز عن نهر «اموداريا» وزودها بتعليماته التالية :

[لا يجوزنَّ أحدٌ النهر إلا بجواز] .

ثم أصدر قتيبة تعليماته بنقل أفراد عائلته وأقربائه إلى سمرقند حتّى لا تطالهم يد عمال سليمان بن عبد الملك فيما إذا أرسل من يخلفه . ومضى يتوغل في حدود الصين حتّى وصل مدينة « قرب » . حيث وصلته رسالة من ملك الصين يطلب فيها إرسال رجل من أشرف المسلمين لمناقشته حول أخبار المسلمين والإستعلام منه عن دين الاسلام . فانتخب قتيبة اثني عشر رجلا من قادته وعني بانتقائه أن يكون أفراد الوفد من الذين تميزوا برجولتهم وقوة أجسامهم وجمال تكوينهم وفصاحتهم وسرعة بديهتهم وعين رئيساً لهم هو « هبيرة بن المشمرج الكلاهي » . ثم تحدث قتيبة إلى أفراد الوفد ولما وثق من جودة الانتقاء جهزهم بأمضى الأسلحة وأفخر المتاع وألبسهم أفضل الثياب وزودهم بأحسن الخيول المطهمة ، وعندما انتهت الإستعدادات استدعى هبيرة وقال له :

[يا هبيرة ، كيف انت صانع ؟]

وجابه هبيرة :

[أصلح الله الأمير ، قد كفيت الأدب وقل ما شئت أقله وآخذ به] .

فقال له قتيبة :

[سيروا على بركة الله ، وبالله التوفيق ، لا تضعوا العمائم عنكم حتّى تقدموا البلاد ، فاذا دخلتم عليه ، فاعلموه اني قد حلفت الا انصرف حتّى اطأ بلادهم واختم ملوكهم وأجبي خراجهم] .

توجه الوفـــد ، فلما اقترب من مقر قيادة ملك الصين ، أرسل إليهم وفداً لاستقبالهم . وأنزلوا في استراحة خاصة، فاغتسلوا، ثم خرجوا من الحمامات فلبسوا ثيابهم البيضاء تحتها القمصان الناعمة وتطيبوا بالعطور ولبسوا النعال الرقيقة والأردية الفاخرة ، وتوجهوا في الموعد الذي حدد لهم للمقابلة ، وكان يجلس إلى جانب ملك الصين كبار قادته ومستشاريه ، فجلسوا ، ولم يتحدث الملك أو أحد من حاشيته إلى وفد هبيرة ، ثم نهض الوفد ، وعاد أفراده الى استراحتهم . وسأل الملك لمن حضروا مجلسه : كيف رأيتم هؤلاء ؟ فاجابوه رأينا قوماً ما هم الا نساء .

وفي اليوم التـــالي ، لبس أفراد الوفد الوشي والعمائم ووضعوا الأحزمة ، وتوجهوا لمقابلة الملك وحضور مجلسه . وتكرر مجلس الصمت ، فلم يتحدث أحد الى أفراد الوفد ، ثم رجع هؤلاء الى استراحتهم وسأل ملك الصين حضور مجلسه من جديد :

[كيف رأيتم هؤلاء] ؟

واجابه الحضور :

[هذه الهيئة اشبه بهيئة الرجال من تلك الأولى] .

في اليوم الثالث ، خرج أفراد الوفـــد باسلحتهم الكاملة ، وامتطوا خيولهم وانطلقت مجموعتهم «كالعاصفة المدمرة» فلما وصلوا مقر الملك ركـــزوا رماحهم ، وترجلوا عن خيولهم . فقيل لهم ارجعوا الى استراحتكم . فركبوا خيولهم وانتزعوا رماحهم ، وانطلقوا بأقصى سرعة لهم . وكأن الخيول تطير بهم عن الارض ، وسأل ملك الصين رجاله :

[كيف ترون هؤلاء] ؟

وأجابه الرجال :

[ما رأينا مثل هؤلاء ابداً] .

في المساء ، استدعى ملك الصين رئيس الوفـــد للمقابلة ، وتوجه هبيرة ولما عقد الاجتماع بدأ الملك حديثه بقوله :

[قد رأيتم عظيم ملكي ، وأنه ليس أحد يمنعكم مني وأنتم في بلادي . وإنما أنتم بمنزلة البيضة في كفي ،وأنا سائلك عن أمر فإن لم تصدقني قتلتكم].

وقال له هبيرة

[سل ما تريد] ؟

وأجابه الملك :

[لم صنعتم ما صنعتم من الزي في اليوم الأول والثاني والثالث] ؟ .

واجابه هبيرة :

[أمَّا زيُّنا الأول،فلباسنا في اهلنا ومع أقاربنا . أما ثياب اليوم الثاني فهي لمقابلة أمرائنا ، وأما ثياب اليوم الثالث فهي لعدوّنا اذا ما هاجنا هيج أو فزع] .

وقال له ملك الصين عندها :

[ما أحسن ما دبرتم دهركم ، فانصرفوا الى صاحبكم، فقولوا له «ينصرف»، فاني قد عرفت حرصه وقلة أصحابه ، وإلا بعثت عليكم من يهلككـــم ويهلكه] .

وأجابه هبيرة :

[كيف يكون قليل الأصحاب من كانت أول خيله في بلادك وآخرها في منابت الزيتون . ثم كيف يكون حريصاً من خلف الدنيا قادراً عليها وغزاك أما تخويفك إيانا بالقتل فان لنا آجالاً اذا حضرت فاكرمها القتل فلسنا نكرهه ولا نخافه] .

وسأل الملك هبيرة :

[فما الذي يرضي صاحبك ؟] .

واجابه هبيرة :

[إنه حلف الا ينصرف حتى يطأ أرضكم ، ويختم ملوككم ويعطى الجزية] .

فقال الملك :

[انا نخرجه من يمينه نبعث اليه بتراب من تراب أرضنا فيطؤه . ونبعث بعض أبنائنا فيختمهم ، ونبعث اليه بجزية يرضاها] .

في اليوم التـــالي ، جهز ملك الصين الوفد بصحاف ذهبية بها تراب من الصين . كما دفع الى الوفد أربعة من أبناء الملوك ، ودفع لهم مبلغاً من المال . كما اهدى افراد الوفد هدايا ثمينة ، وسار الوفد حتى وصل مقر قيادة قتيبة فقبل الجزية ، وختم ابناء الملوك . وداس بنعليه التراب في جو من الحماسة فانطلق لسان « سوادة بن عبد الله السلولي » يصف الموقف :

لا عيب في الوفد الذين بعثتهم : للصين أن سلكوا طريق المنهجِ
كسروا الجفون على القذى خوف الردى : حاشا الكريمُ هبيرة بن مشمرجِ
لم يرض غير الختم في أعناقهم : ورهائن دفعت بحمل سمرجِ
أدى رسالتك التي استرعيته : وأتاك من حنث اليمين بمخرجِ

وأوفـــد قتيبة إلى الخليفة وفداً برئاسة هبيرة يعلمه فيها بأنباء الصلح إلا أن المنية عاجلت هبيرة فمات في قرية من خراسان ودفن فيها .

نهاية قتيبة بن مسلم ومقتله :

كـــان الوليد بن عبد الملك يريد خلع أخيه سليمان وتعيين ابنه عبد العزيز ولياً للعهد ووافقه الحجاج وقتيبة بن مسلم ومحمد بن محمد الثقفي . فنقم سليمان ابن عبد الملك على هؤلاء ، ثم توفي الوليد ، وتولى سليمان بن عبد الملك . وكان الحجاج قد مات قبل الوليد . وخاف قتيبة أن يعزله سليمان فأرسل مندوباً عنه لمقابلة سليمان من أجل تعزيته بوفاة أخيه وتهنئته . وحمَّل قتيبة مندوبه ثلاثة رسائل : الرسالة الأولى وبها ذكر ما قام به من فتوح وطلب دعمه حتى لا

تنتقض الأقاليم التي فتحها مع ذم يزيد بن المهلب وذكر غدره وكفره . وفي الرسالة الثانية ، تحذير من خلعه والرسالة الثالثة ينذر فيها بخلع سليمان اذا خلعه من قيادته ، وكان نصها :

[ان لم تقرّني على ما كنت عليه وتؤمنني لأخلعنّك خلع النعل ولأملأنّها عليك خيلا ورجالا] .

وعلى الرغم من قسوة التهديد ، فقد تجاوز سليمان الأساءة وأرسل مراسلا يعلم قتيبة موافقته على بقائه لقيادة الجيوش على الجبهة الشرقية . لكن قتيبة أسرع في إعلان التمرد ، وخلع سليمان قبل أن يصله مراسل سليمان .

كانت القوات العربية ، والحاميات المدافعة عن أقاليم خراسان وفارس موزعة كالتالي :

– جيش البصرة ، قوته ٩٠٠٠ ، مركزه خراسان .
– جيش قبائل « بكر » قوته ٧٠٠٠ مقاتل ، قائده الحصين بن المنذر .
– جيش قبائل « تميم » قوته ١٠,٠٠٠ مقاتل قائده ضرار بن حصين الضبي وقائده الثاني « وكيع بن الأسود » .
– جيش « عبد قيس » قوته ٤٠٠٠ مقاتل ، قائده « عبدالله بن علوان عودي » .
– جيش « الأزد » قوته ١٠,٠٠٠ مقاتل ، قائده « عبدالله بن حوذان » .
– جيش « الكوفة » قوته ٧٠٠٠ مقاتل ، قائده « عبدالله بن علي » وقائده الثاني « جهم بن زخر » .
– جيش الموالي ٧٠٠٠ مقاتل ، وقائده « حيان » .

– اجتمع قادة القوات المذكورة ، ورفضوا دعم قتيبة في موقفه من الخليفة سليمان وأيدوا تعيين « وكيع بن الأسود » ريثما يتخذ الخليفة قراره . وقد تم انتقاء وكيع نظراً لما عرفه عنه العرب من التهور واللامبالاة ، والعناد في القتال .

حاول حيان قائد الموالي الإفادة من الموقف فاتصل بوكيع وقال له :

[أرأيت ان كففت عنك ، وأعنتك ، فهل تجعل لي جانب نهر بلخ وخراجه ما دمت حياً] .

فأجابه وكيع بالموافقة ، واتفق معه سراً على دعمه ، ثم عاد حيان الى قومه وقال لهم :

[هؤلاء يقاتلون على غير دين ، فدعوهم يقتل بعضهم بعضاً ، ونحن نؤيد وكيع سراً] .

فوافق قادته على ذلك :

اتصل « ضرار بن حصين الضبي » ، بقتيبة ، ونصحه بتجنب المقاومة، وأعلمه باتفاق القبائل سراً على تأييد وكيع ، فظن قتيبة أن ضرار يستثيره ضد وكيع نظراً لما بين وكيع وضرار من منافسة على زعامة قبائل تميم . ثم دفع قتيبة ببعض العناصر الموالية له للتأكد من أخبار ضرار . ولما استوثق صحتها أرسل الى وكيع يطلب منه الحضور إليه ، فتظاهر وكيع بالمرض ، فأرسل قتيبة قائد شرطته وقوة من الحرس لإعتقاله ، وعلم وكيع بالأمر ، فخرج الى معسكره ، واستنفر قواته وزحف للقاء قتيبة .

أرسل قتيبة أخاه صالحاً للإتصال بالجماهير ، فقتله المتمردون ضد قتيبة.

ثم أرسل أخاه عبد الرحمن ، فوجد أن جنود « حيان » يعيثون فساداً وتدميراً . ولما شاهده جند حيان قتلوه .

وخرج قتيبة للقاء وكيع ومعه نفر قليل من أصحابه ، فبادره الهيثم بن المنخل ورماه بسهم . وكان قتيبة يحب الهيثم ويوليه عنايته فقال قتيبة :

أعلّمه الرماية كل يوم : فلما اشتد ساعده رماني

وقتل في المعركة سبعة من إخوة قتيبة وأربعة من ابنائهم . ولما ألقي رأس قتيبة مع « رؤوس من قتلوا أمام الخليفة سليمان ظهر الألم على وجهه وقال :

[ما أردت هذا كله] .

قراءة

من أدب الحرب

تركت عملية احتلال خوارزم وسمرقند أصداء بعيدة نظراً لكثره ما أصاب المسلمين في هذه الأقاليم ، فانطلقت المشاعر ، تصف هذا الحدث الذي قال فيه كعب الاشعري :

رمتك فيلٌ بما فيها وما ظلّمتْ ورامها قبلك الغجقاجة الصلف (١)
لا يجرىء الثغر خُوار القناة ولا هش المكاسر والقلب الذي يجف (٢)
هل تذكرون ليالي الترك نقتلهم ما دون كازة والفجفاج ملتحف
لم يركبوا الخيل إلاّ بعد ما كبروا فهل ثقال على اكتافها عنف
انتم شباسٌ ، ومردازان محتقرٌ وبسخراء قبور حشوها القلف.
اني رأيت ابا حفص تفضله ايامه ومساعي الناس تختلف .
قيس ، صريح وبعض الناس يجمعهم قرى وريف فمنسوب ومقترف.
لو كنت طاوعت اهل العجز ما اقتسموا سبعين الفاً وعزُ الصغد مؤتنف
وفي سمرقند اخرى انت قاسمها لئن تأخر عن حوبائك القنف.
ما قدم الناس من خيرٍ سبقت به ولا يفوتك مما خلفوا شرف .

وقال الكميت يذكر يوم خوارزم ويوم الصغد (٣) :

وبعدُ في غزوة كانت مباركة تردي زراعة أقوام وتحتصد
نالت غمامتها فيلاً بوابلها والصغد حين دنا شؤبوبها البرد

---

(١) الغجقاجة : كثير الكلام .
(٢) خوار القناة : ضعيف الارادة هش الكاسر : ضعيف البنية .
(٣) المرجع : تاريخ الطبري ، ج ٦ ص ٥٠٤ .

إذ لا يزال له نهب ينفلّـــــــــه ... من المقاسم لا وحش ولا نكـــد .
تلك الفتوح التي تدلي بحجتهـــــا ... على الخليفة انا معشر حشد .
لم تثن وجهك عن قوم غزوتهـــــم ... حتى يقال لهم بعداً وقـــد بعـدوا.
لم ترض من حصنهم ان كان ممتنعاً ... حتى يكبر فيه الواحد الصمد .



القسم الثاني

الفصل الخامس

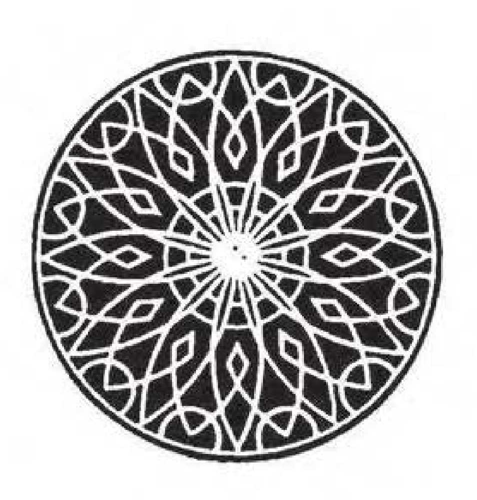
تابع المرحلة الثانية عن عمليات الجبهة الشرقية

١- يزيد بن المهلب وعمليات المحور الشمالي

٢- محمد بن القاسم وعمليات المحور الجنوبي - فتح السند والهند

٣- التفاعل الحضاري العربي - الايراني

٤- شرعية الحرب - وعدالة الحروب الإسلامية



المحور الشمالي

يزيد بن المهلب يتابع عمليات قتيبة بن مسلم الباهلي (١)

الموقف العام

توقفت عمليات الفتح على أثر ثورة قتيبة ، وقد تولى « وكيع بن الأسود » ولاية سجستان « جنوب خراسان وشمال مكران » لفترة أحد عشر شهراً ، وكانت لا تزال بعض قواعد الثورة المضادة للفتوح الإسلامية تعمل بنشاط مما أقلق الخليفة سليمان بن عبد الملك ، وبحث الخليفة سليمان عن قائد يستطيع اخضاع الأقاليم المتمردة وله خبرة في الأقاليم الشرقية ، فوقع اختياره على « يزيد بن المهلب » . وتسلم يزيد الأمر بولاية سجستان وقيادة العمليات على المحور الشمالي من الجبهة الشرقية فمضى الى سجستان وكله حماسة لإنجاز ما عجز أسلافه عن تحقيقه .

كان يزيد بن المهلب يحقد عـــلى قتيبة بن مسلم الباهلي ، وكان قتيبة بدوره يعرف ذلك . فكانت إحدى رسائله إلى سليمان في بداية عهده تحريضاً على « آل المهلب » إلا أن هذه الرسائل لم تتمكن من ايقاع الفرقة بين الخليفة « سليمان ابن عبدالملك » وبين « يزيد بن المهلب » فكانت الروابط بينهما أعمق من أن تنالها رسالة خصم أو حديث حاقد . وقد عزز من هذه العلاقات قيام « قتيبة » بثورته ضد سليمان وتحريض قادة الجيوش على خلعه .

وكان « يزيـــد بن المهلب » يطمح لولاية الأقاليم الشرقية ، فكانت إذا

---

(١) المرجع ، تاريخ الطبري ، الجزء السادس .
تاريخ البلاذري ، ص ٣٣٦ وما بعدها .

وصلت الرسائل من قتيبة إلى الخليفة تحمل بشائر النصر ويدفعها الخليفة الى يزيد وهو يقول :

[أما ترى ما يصنع الله على أيدي قتيبة] .

فيجيبه يزيد بقوله :

[ما فعلت جرجان التي حالت بين الناس و الطريق الأعظم] .

[ويقصد الطريق الى المحور الشمالي والمحور الشرقي والطريق الى الجنوب].

ويتابع يزيد حديثه بقوله :

[لقد أفسدت جرجان أقاليم قومس وأبرشهر، وهذه الفتوحات ليست بشيء ، الشأن في جرجان] .

لقـــد برهن هذا الحديث وأمثاله عن قدرة « يزيد بن المهلب » على تحليل الموقف وتقديره بشكل جيد . بالإستناد إلى معرفة طبيعة الإقليم الجغرافية وأهمية المواقع الإستراتيجية فيه ، وطبيعة السكان ودراسة ميادين القتال بشكل منهاجي ، واقعي . وكانت جرجان في الحقيقة تمسك بمحاور الإقتراب الى الشمال حيث خوارزم «آرال» والخزر« قزوين » والسهول الجنوبية الخصبة من روسيا حالياً . كما كانت تمسك أيضاً بمحاور الاقتراب الى المحور الشرقي في اتجاه خراسان ، والتيبت والطريق الى الهند والصين . وهي بذلك تمسك أيضاً بمحاور الإقتراب نحو الجنوب حيث الجهة الشرقية من المفازة الكبرى واقاليم خراسان وقوهستان وسجستان « افغانستان ، وباكستان الغربية حالياً» .

وكـــانت الفرصة المناسبة التي أرادها يزيد لتحقيق مطامعه في الفتوح والأعمال القتالية فأمسك بها ، ومضى الى تحقيق ما يريد .

التحضير للمعركة :

وصـــل يزيد الى سجستان على رأس جيش من اهل الشام يضم سبعين الف مقاتل . ثم جمع الجيوش العربية الموزعة في اقاليم الجبهة الشرقية فتكون لديه جيش من (١٢٠,٠٠٠) مقاتل بالاضافة الى جيوش الموالي والمماليك والمتطوعين

نظراً لما تتطلبه مرحلة التحضير والاستعداد للمعركة من تفرغ وتركيز للجهد وضع يزيد مخططاً لأشغال خصومه . فدفع بعضاً من قواته الجاهزة للقتال الى سجستان لأخصاع بعض القبائل التركية المتمردة ، كما دفع مفارز الاستطلاع في اتجاه محور عملياته المقبل « جرجان » واتخذ ترتيبات الأمن حتى لا يباغته خصومه بهجوم غير متوقع . وقد وقعت خلال هذه الفترة بعض العمليات القتالية الكبرى منها احتلال سجستان ذاتها . وحقق المسلمون انتصارات موضعية واخضعوا الاقاليم الثائرة . وقد برز خلال هذه الفترة اسماء بعض المقاتلين الاشداء امثال محمد بن ابي سبرة الجعفي وجهم وجمال ابنا زحر .

كان محمد بن ابي سبرة فارساً متهوراً ، عرف بلا مبالاته وعنـــاده ، وكان يختار باستمرار من المواقع امنعها ومن المواقف اخطرها فيزج نفسه فيها دون اهتمام بالنتائج . وكان شديد الشراب مما ابعده عن مجالس القادة . الا انه لم يكن يسمع بنداء الحرب :

[يا خيل الله اركبي وابشري] .

حتى يكون قد امتطى جواده ووقف في امنع موضع ، وقد ابلى في إحدى المعارك بلاء رائعاً ولما سأل يزيد عن هذا المقاتل الذي لم يسبقه احد ابداً ، الى ميادين القتال قيل له :

[انه ابن ابي سبرة] .

فقال يزيد :

[لولا امر الله على نفسه] .

الاستطلاع الشخصي :

عـــلى الرغم من ثقة يزيد بقادة مفارز استطلاعه ، الا انه لم يكن يهمل دوره كقائد وواجبه في ممارسة الاستطلاع الشخصي لدراسة الارض والتعرف الى ميدان القتال .

خرج يزيـــد في يوم ومعه اربعمائة مقاتل اختارهم من بين افضل فرسانه وقادته . وتوجه شمالا نحو محاور التقدم الى جرجان . وتوغل يزيد في تقدمه ، واذا به يصطدم بكمين تبلغ قوته اربعة آلاف مقاتل ، وشعر القادة بخطورة الموقف والتفوق الكبـــير لخصومهم في ميزان القوى بمعدل واحد الى عشرة فطلبوا الى يزيد الانصراف خشية اصابته وقالوا له :

[ايها الامير ، إنصرف ، ونحن نقاتل عنك] .

ورفض يزيد طلبهم ، وصمم على واجب القائد في ان يكون دائماً في مكان الريادة من جنده ، ومضى يقاتل باصرار وعناد واظهر افراد القوة المرافقة ليزيد بطولات في قتالهم ولا سيما محمد بن ابي سمرة ، وابنا زحر ، والحجاج ابن جارية الخثعمي . واستطاع المقاتلون شق طريقهم من وسط قوة الكمين وكلف يزيد الحجاج بقيـــادة الساقة « المؤخرة » والعمل عـــلى تنظيم حماية انسحاب بقية القوة . ونظم الحجاج عملية الحماية فقسم قوته الى مجموعات صغيرة تتناوب القتال والانسحاب . ووصل يزيد الى موارد الماء فشرب افراد القوة ، وكان الحجاج قد انضم الى القوة بعد أن بعدت المسافة بينه وبين قوة الكمين وتوقفت مطاردة العدو لقوة المسلمين فوقف سفيان بن صفوان الخثعمي يمتدح الحجاج بقوله :

لولا ابن جارية الاغرِ جَبينُهُ : لسقيت كأساً مرة المتجرع
وحماك في فرســـانه وخيوله : حتّى وردت الماء غير متعتع

معركة دهستان

الانطلاق من قاعدة هجوم « امينة » :

« دهستان » كانت مدينة من مدن خراسان تقع الى الجنوب من « مرو الروذ » والى الشرق من « هراة » . وقد استعصت هذه المدينة على جيش يزيد واعتصم اهلها وراء الأسوار ، ووقفت حامية المدينة تدافع بعناد وضراوة عن المواقع التي تحتلها .

لم يكن يزيد راغبــاً في التوجه نحو الشمال لفتح « جرجان » قبل تصفية كل مقاومة في الاقاليم الجنوبية ولهذا صمم على فتح « دهستان » واخضاع الثورة قبل البدء بعملياته الرئيسية بحيث يستطيع الانطلاق من قاعدة قوية ومأمونة .

توجه يزيـــد بقوة كبيرة من جيشه ، وحاصر المدينة، واشتبك جيش المدينة مع جيش المسلمين في معارك عديدة . وكان النصر الى جانب المسلمين في المعارك جميعاً . واحكم يزيد قبضة الحصار على « دهستان » ثم قطع عنها مواردها الحياتية . ولما اشتد الامر على « صول دهقان » ملك المدينة طلب عقد صلح مع يزيد ونظراً لارتداد «صول دهقان» مرات عديدة . فقد رفض يزيد الصلح ودخل جيش المسلمين المدينة عنوة ، فصادر اموالها وثرواتها وسبى اهلها وقتل اربعة عشر الف تركي من حامية المدينة ، وارسل الى الخليفة سليمان بن عبدالملك يخبره بالنصر ويشرح له الموقف .

اقليم جرجان « الهدف» :

كان سعيد بن العاص قـــد صالح أهل جرجان اثناء المرحلة الاولى من عمليات الجبهة الشرقية ، ثم نكث اهل جرجان ، وجعلوا من اقليمهم قاعدة للثورة المضادة وافادوا من موقع اقليمهم الحصين لردع كل محاولة تقوم بها الجيوش الاسلامية ضد بلادهم

حاول مصقلة بن هبـــيرة ايام معاوية غزو جرجان فجهز جيشاً من عشرة آلاف مقاتل وانطلق عبر الحدود الفاصلة ما بين طبرستان وجرجان . وعندما توغل مصقلة بجيشه احكم جيش جرجان الحصار على مصقلة ، وامسك بمحاور الطرق . وانتهى جيش مصقلة الى فناء تام واصبح مصقلة مضرب الامثـــال ونموذجاً للفشل العسكري .

عندما بـــدأ قتيبة بن مسلم عملياته تجنب الاصطدام بجرجان وطبرستان فنقل محور العمليات الى الجنوب بحيث اصبح محور المسير الى خراسان يمر من

فارس وكرمان عوضاً عن المرور من قومس على حدود طبرستان وجرجان في الشمال .

كان صول التركي ملك جرجـــان ينتظر كل فرصة من ضعف العرب المسلمين للاغارة على حدود الاقاليم التي فتحها القادة المسلمون او صالحوها. وكان يهبط باستمرار في اتجاه الجنوب لغزو اقاليم دهستان ثم يستمر جنوباً حتى « بحيرة زرة » القريبة من زرنج والتي يصب فيها نهر « هلمند » .

كان فيروز بن قول قد صالح القـــادة المسلمين ، وكان يتعاون مع ابن عمه « المرزبان » لمقاومة زحوف صول التركي ورد اغاراته ، وحدث خلاف بين فيروز بن قول وابن عمه ، وشعر انه لن يستطيع الوقوف في وجه زحف صول ملك جرجان فقدم الى يزيد بن المهلب . ولما سأله يزيد عن سبب قدومه اجابه :

[لقد خفت صولاً فهربت منه] .

وسأله يزيد :

[هل من حيلة لقتاله] ؟

واجابه فيروز :

[شيء واحد ، ان ظفرت به قتلته وان افضل طريقة للظفر به هي الهجوم في الوقت الذي ينزل فيه الى البحيرة] .

عرف يزيد بن المهلب مقـــدار التعاطف بين ملك جرجان وبين الاصبهيذ ملك طبرستان ، واراد الافادة من هذا التعاطف لتنفيذ خطته الخداعية ، فكتب الى الاصبهيذ الرسالة التالية :

[اني اريد غزو ، صولاً ، وهو بجرجان ، فخفت ان بلغه ما اريد ان يتحول الى البحيرة فينزلها بحيث لا استطيع تحقيق النصر عليه ، وانا اعرف انه يستمع لنصحك ، فاذا استطعت اغرامه هذا العام البقاء في جرجان وعلم

التحرك الى البحيرة ، جعلت لك خمسين الف مثقال ، فاحتل له حيلة تحبسه بجرجان ، فانه ان اقام بها ظفرت به] .

سارت الخطة كما وضعها يزيد ، فارسل الاصبهيذ رسالة يزيد الى صول التركي . فاسرع هذا بحشد قواته والتوجه الى ساحل بحر قزوين .

تحرك يزيد على رأس جيش مكون من مئة وعشرين الف مقاتل ، ونظم الاقاليم على النحو التالي :

مخلد بن يزيد ، لولاية امور خراسان خلال مرحلة العمليات .

معاوية بن يزيد ، لولاية سمرقند وكش ونسف ، وبخارى .

حاتم بن قتيبة بن المهلب ، لولاية طخارستان .

مسيرة الاعمال القتالية :

لم تكد قوات صول التركي تستقر عند ساحل بحر قزوين حتى أطبقت عليها قوات يزيد ، وحاصرتها وكان جيش يزيد يضم قوات اهل البصرة وقوات اهل الكوفة ، واعتصم صول بالقلاع والتحصينات ، وحدثت بين قوات يزيد وقوات صول اشتباكات كثيرة لم تنته إلى نتيجة حاسمة . وطال امد الحصار ستة اشهر ، واحكم يزيد الحصار ، وقطع كل محاور الاتصال . وانتشرت الاوبئة ، واخذ المرض يفتك بقوات الجيش التركي . وتناقصت المواد الغذائية مما ارغم صول التركي على طلب الصلح . وخرج صول مع مجموعة قليلة من اهله وقادته لا تزيد عن ثلاثين شخصاً . وفتح يزيد الحصون والقلاع التي كان يحتلها الترك .

خلال مرحلة الحصار في الجنوب وجه يزيد قوة مكونة من جيشي الكوفة والبصرة بقيادة أخيه أبي عيينة بن المهلب لحصار جرجان في الشمال ، وتوغل أبو عيينة دون ان يلقى مقاومة كبيرة ، ثم اصطدم بجيش اهل الديلم وبعد معركة قصيرة نجح أبو عيينة في إلحاق الهزيمة بجيش الديلم ، واستطاع ابن ابي سبرة

قتل ملك الديلم . وبدأت مطاردة فلول الجيش الديلمي ، وتوغل المسلمون وتكررت المأساة مرة اخرى عندما استند ما بقى من جيش الديلم الى المرتفعات الحصينة ، وسيطر على محاور المرور فهُزم جيش أبي عيينة، وابيد قسم كبير من قواته ، وتراجع بقية الجيش الى معسكر يزيد بن المهلب .

طبرستان بعد جرجان

الموقف العام :

كان اقليم طبرستان يحتل المناطق الجنوبية من بحر الخزر « قزوين » في حين كان اقليم جرجان يحتل الجهة الشرقية من بحر الخزر « وكان التعاون وثيقاً بين ملكي الاقليمين » وبعد أن نجح يزيد في تصفية جيش صول التركي ، واحتلال الاقليم ، بقي عليه تصفية القاعدة الثانية وهي طبرستان . فنظم الاقاليم قبل التحرك للهجوم على النحو التالي :

تعيين عبدالله بن معمر اليشكري علـى رأس قوة مكونة من اربعة آلاف مقاتل بمهمة المحافظة على البياسان ودهستان .

تعيين اسد بن عمر بن عبدالله بن الربعـة على رأس قوة مكونة من اربعة آلاف مقاتل بمهمة المحافظة على اندرستان .

التنظيم للقتال :

نظم يزيد جيشه فقسمه الى ثلاث مجموعات قتالية على النحو التالى :

١ ــ المجموعة الاولى بقيادة اخيه ابي عيينة .

٢ ــ المجموعة الثانية بقيادة ابنه خالد بن يزيد .

٣ ــ المجموعة الثالثة بقيادة ابي جهد الكلبي .

وامرهم بالتحرك على محاور مختلفة حتى الالتقاء في آمل على ان تكون القيادة العامة عند الالتقاء لأخيه ابي عيينة .

اصطدم جيش ابي عيينة اثنـــاء تحركه بجيش الاصبهيذ ، ونجح في التغلب عليه . وتراجع الاصبهيذ نحو الداخل . واقام الكمائن على المحاور الجبليـة وسيطر على الطرق .

كتب الأصبهند الى ملك البياسان ، انه سيتمكن من ابادة جيش المسلمين وطلب اليه ابادة القوات المتواجدة في اقليمه فقام المرزبان بتنظيم اغارة مباغتة ونجح في ابادة جيش عبدالله بن معمر اليشكري ابادة تامة . ولما بلغ يزيد ذلك ووصلته اخبار تمرد جرجان وغدر اهلهـــا بالمسلمين غضب ، وقال ما يلي :

[اقسم : لئن ظفرت بهم ألاّ أقلع عنهم ، ولا ارفع السيف حتّى أطحن بدمائهم واعجن الدقيق وآكل منه] .

ثم تابع يزيد تحركه حتّى وصل معسكر الاصبهند ، وعرض الاصبهند على يزيد الصلح ، ونظراً لرغبة يزيد في تركيز الجهد والاقتصاد بالقوى من اجل معاودة فتح جرجان فقد قبل بالصلح وصالح الاصبهند وعاود التحرك في اتجاه جرجان .

معركة « جاه » :

عندما علم المرزبان بعقـــد الصلح ما بين يزيد والاصبهند عرف ان يزيد لن يتركه دون انتقام ، فجمع جيشه وتحصن في « جاه » بعد أن زودها بكميات كبيرة من الاطعمة والمواد التموينية .

تقدم يزيد بجيشه حتّى وصل « جاه » ونظم حصارها ، واستمر الحصار سبعة اشهر حدثت خلالها معارك كثيرة لم ينجح فيها المسلمون في اخضاع المدينة المتمردة .

وفي ذات يوم وبينما كان « الهيـــاج بن عبد الرحمن الازدي » من جند المسلمين يمارس هواية الصيد مع مجموعة من رفاقه شاهد وعلا ، فرغب في مطاردته وطلب من رفاقه البقاء في اماكنهم وانطلق عبر الممرات الجبلية والغابات

في مطاردة الوعل . فلم يشعر الا باقترابه من معسكر « المرزبان » فرجع بعد ان حدد الطريق بواسطة مزق من ثيابه اقتطعها وربط بها جذوع الاشجار . ولما عاد الى المعسكر طلب مقابلة القائد يزيد . ولما مثل امامه ، شرح له ما حدث معه فكافأه يزيد . ووضع خطة الهجوم على النحو التالي :

١ – القيام باغارة مباغتة بقوة الف واربعمائة مقاتل اختارهم من بين افضل الفرسان ، على ان تتبع هذه الاغارة الطريق الذي حدده الهياج بن عبد الرحمن الازدي .

٢ – القيام بهجوم جبهي في الوقت الذي تبدأ فيه قوة الاغارة هجومها .

ولما انتهى التنظيم للمعركة طلب يزيد الى الدليل « وهو الهياج بن عبد الرحمن » مرافقة قوة الاغارة . فقال الهياج « ان الطريق صعب ووعر وضيّق بحيث لا يحتمل هذه القوة واقترح انقاصها حتى ثلاثمائة مقاتل فقط . ووافق يزيد على اقتراح الدليل وكلف خالد بن يزيد بقيادة قوة الاغارة ، وضم اليه اليه جهم بن زحر ، واوصى يزيد قائده بقوله :

[ان غلبت على الحياة فلا تغلبنّ على الموت واياك ان اراك منهزماً] .

عرف يزيد من الدليل ان تجاوز المسافة حتى الوصول الى خلف معسكر « المرزبان » يستغرق يوماً أو ليلة ، بحيث يصلون اذا تحركوا في الليل مع فترة الظهيرة من اليوم التالي .

ودع يزيد قوة الاغارة بقوله :

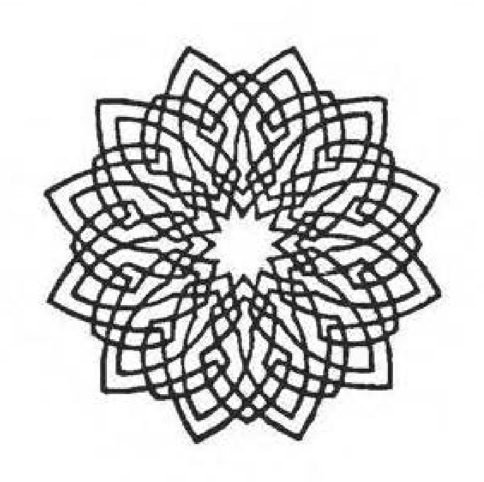
[امضوا على بركة الله ، وسأجهد على مناهضتهم غداً عند صلاة الظهر] .

وانطلقت قوة الاغارة في مسيرتها الليلية في حين اصدر يزيد اوامرة بجمع الاخشاب والمحطومات وجعله ركاماً ضخماً قريباً من اسوار المدينة . وعندما اقترب موعد الظهيرة ، اضرمت النيران ، في الاخشاب والمحطومات فتصاعدت النيران من كل جانب ، ولما شهد قائد جيش المرزبان النيران اصدر اوامره بالهجوم على جيش المسلمين ، وزحف يزيد بجيشه فتصدى لزحف جيش المرزبان . وحدثت

معركة طاحنة ، وفي هذه الفترة ارتفعت صيحة حرب المسلمين « وتعالى صوت التكبير » من وراء جيش المرزبان ووقع الجيش بين قوات المسلمين التي احاطت به من كل جانب وبعد معركة رهيبة استسلم جيش الترك الذي يقوده المرزبان فقاد يزيد اثني عشر الفاً الى نهر الاندرهز « وادي جرجان » فقتلهم وسالت دماؤهم . فادارت الطواحين التي تطحن الدقيق ثم عجن بدمائهم الخبز ، وطعم منه ووفى بقسمه .

تابـــع يزيد عملية الابادة انتقاماً من غدر اهل جرجان بجيش المسلمين وإبادتهم اربعة آلاف منهم بصورة مباغتة . فقتل اربعين الفاً من جيش العدو وصلبهم على جذوع الأشجار حتى مسافة اميال من الغابات المحيطة بجاه . وعندما عرف يزيد انه لن تتصدّى بعد اليوم مقاومة لجيش المسلمين عاد الى قاعدة عملياته في مرو بعد ان خلف جهم بن زحر الجعفي والياً على جرجان .

وعندما توفى سليمان بن عبـــد الملك وخلفه عمر بن عبد العزيز اصدر اوامره بالقاء القبض على يزيد بن المهلب بسبب ما بلغه عنه من اثرائه غير المشروع . والقى بيزيد في السجن . وبعد وفاة عمر بن عبد العزيز هرب يزيد من السجن في عام ١٠١ هـ . ووصل البصرة حيث اعلن تمرده على يزيد بن عبد الملك . ووجه الخليفة قوة استطاعت القضاء على التمرد وقتل يزيد في عام ١٠٢ هـ .



عمليات المحور الجنوبي

فتح اقليم السند ، واقاليم الهند الغربية

الموقع والطبيعة الجغرافية :

يقع اقليم مكران جنوب الهضبة الايرانية ويحده من الشرق اقليم بلوخستان . ومن الشمال اقليم سجستان ومن الغرب اقليم كرمان ومن الجنوب بحر عُمان .

اما اقليم بلوخستان فيقع الى الشرق من اقليم مكران ويحدد شمالاً نهر الهلمنذ ومن الشرق نهر السند . ومن الجنوب المحيط الهندي .

ويقع القسم الأكبر من اقليم بلوخستان وحوض السند « في اقليم باكستان حالياً » في حين بقي اقليم مكران وقسماً من اقليم بلوخستان في حدود اقليم « ايران » .

تغطي الجبال القسم الأكبر من مساحة اقليمي مكران وبلوخستان ، وتعتبر هذه الجبال « جبال مكران » امتداداً لسلسلة الجبال التي تحد غرب الهضبة الإيرانية . ويمتد شريط ساحلي مع امتداد سواحل المحيط الهندي وبحر عمان وفيه تنتشر الزراعة التي كانت موطن بداية الحضارة .

١ – الموقف العام :

في عام ٢٣ هـ ٦٤٢ م . تقدم الحكم بن عمرو التغلبي ، ففتح اقليم مكران واراد التوغل في اتجاه الشرق حتى وادي السند ، الا ان الخليفة عمر بن الخطاب اصدر تعليماته بايقاف العمليات على المحور الجنوبي نظراً لطبيعة الاقليم الوعرة وخشية الخليفة عمر من وقوع جنود المسلمين في المسالك الوعرة والمفازة المهلكة.

في عام ٤٤ هـ — ٦٦٢ م . تقدم جيش من اهـــل السند بهدف ايقاف تقدم المسلمين فتصدى لهم المهلب بن ابي صفرة ووقعت معركة بين الملتان وكابل « في افغانستان حالياً » ونجح المهلب في ابادة جيش العدو .

قام عبد الله بن سوار العبدي في غزو اقليم السند والاقاليم الغربيـــة من الهند ايام معاوية بن ابي سفيان . وتصدى له جيش من جيوش الهند فهزم عبدالله العبدي وقتل في المعركة وتوقف التقدم في اقاليم الهند من المحور الشمالي .

جـــاء راشد بن عمرو الجديري ، من الازد ، والياً على مكران ، المحور الجنوبي . وحاول من جديد غزو السند ، وفشل في محاولته ولقي مصرعه وتولى مكانه سنان بن سلمه وتوقفت عمليات التقدم من الجنوب .

تولى عبـــاد بن زياد بعد ذلك ولاية سجستان ، فانطلق في محاولة جديدة للتوغل في اقاليم الهند ، وقام باستدارة كبيرة حتى وصل « كش » جنوب شرق « الديبل » وفتحها .

تولى بعد ذلك المنذر بن جارود العبـــدي ، ابو الاشعث ، ولاية « ثغر الهند » فغزا حوض السند ، وسيطر على مناطق واسعة ، ثم قامت ثورة ضده وقتل هناك .

تولى زياد بن سنان بن سلمة حكم « ثغر الهنـــد » فتقدم عبر المحور الشمالي في اقاليم الهند ولكنه لم يتمكن من احتلال بلوخستان .

عندما تولى الحجاج بن يوسف الثقفي حكم العراق ارسل مجاعة بن سعر التميمي ففتح مجاعة قنداببيل « شمال الديبل او كراتشي » وتوقف عن متابعة العمليات ثم مات مجاعة وعين الحجاج ، محمد بن هرون بن ذراع والياً مكان مجاعة التميمي .

السبب المباشر لفتح السند :

كان من غير الطبيعي ابقـــاء اقليم السند موقعاً جانبياً والاستمرار في

التوغل عبر اقاليم الهند . ولهذا تركزت الانظار على هذا الاقليم ، الا ان فشل المحاولات المتكررة جعل الولاة يتجنبون اقتحام مخاطرة فتح اقليم السند عن طريق المحور الجنوبي .

ولما جـــاء الحجاج بن يوسف الثقفي ودرس موقف الاقليم عين محمد بن القاسم بن محمد بن الحكم بن ابي عقيل لقيادة عمليات المحور الجنوبي في الوقت الذي عين فيه قتيبة بن مسلم الباهلي لعمليات المحور الشمالي وذلك ايام الوليد بن عبدالملك .

وقبـــل تعيين محمد بن القاسم جرت حادثة حفزت الحجاج على تركيز جهده لفتح اقليم السند وكانت الحادثة هي التالية :

اهدى ملك احـــد الجزر الواقعة في المحيط الهندي « جزيرة الياقوت » الى الحجاج بن يوسف عائلة مسلمة توفي رجلها وترك زوجته واولاده وبناته في الجزيرة دون معيل وذلك كبداية لاقامة علاقات ودية بين ملك الجزيرة وبين العرب المسلمين .. وكان رب هذه العائلة يعمل في التجارة ، غادر الاقاليم الاسلامية واستقرَّ في الجزيرة ، وتوفي فيها .

اثنـــاء رحلة السفينة التي تحمل العائلة المسلمة ، تعرض قرصان من أهل الديبل الى السفينة ، واستولوا عليها ، وصرخت امرأة من المسلمات من بني يربوع :

يا حجاج .

وعندما وصلت انباء الحادثة الى الحجاج اجاب :

يا لبيك .

وارسل الحجاج رسالة الى داهر ملك الديبل « كراتشي » طالباً اطلاق سراح النسوة وارسالهن الى العراق ، واجاب ملك الديبل ، ان الذين خطفوا العائلة هم من القرصان ، وانه لا يستطيع التدخل بشؤونهم فارسل الحجاج عبيدالله بن نبهان الى الديبل في محاولة لاخضاعها . الا ان هذه المحاولة أنتهت

بقتل عبيد الله بن نبهان . فكتب الحجاج الى بديل بن طهفة واليه في عمان يطلب اليه التحرك الى ديبل لاخضاعها . وانتهت هذه المحاولة بقتل بديل ايضاً . عندها قرر الحجاج توجيه قوات كبيرة واجراء عملية برية ارضية مشتركة لاخضاع الاقليم المتمرد .

الاستعداد للمعركة :

اختار الحجاج بن يوسف الثقفي مدينـــة شيراز حتى تكون منطقة حشد للقوات التي سيتم زجها في عمليات اقليمي مكران والسند ، وطلب الى محمد بن القاسم التوجه الى منطقة الحشد والاشراف على تنظيم القوات ، وارسل اليه جيشاً من اهل الشام عدده ستة آلاف مقاتل ، علاوة على وحدات مقاتلة من اقاليم مختلفة .

جهز الحجاج جيش محمد بن القاسم بكل المتطلبات القتالية والادارية وسلحه بالمنجنيق « العروس » وخصص منجنيقاً لكل كردوس « خمسمائة رجل »

نظراً لقلة المواد التموينية في الاقاليم التي سيعمل بهـــا جيش محمد بن القاسم ارسل الحجاج كميات كبيرة من المواد الغذائية ، كما اتبع اسلوب التجفيف لبعض المواد الغذائية . اما السوائل ، كالخل ، فقد اصدر الحجاج تعليماته لنقع القطن النظيف في الخل ثم تجفيفه وارساله في عبوات خاصة الى المقاتلين بحيث يتم اعادة نقع القطن بالماء النظيف للحصول على الخل من اجل الاطعمة .

ارسل الحجاج بن يوسف تعليماته لتوجيــــه قوة بحرية من عمان وذلك لاحكام الحصار حول ديبل .

عندما انتهت الاستعدادات للمعركة اصدر الحجاج تعليماته ببدء العمليات وطلب الى محمد بن القاسم ارسال تقرير عن مسيرة العمليات في كل ثلاثة ايام واتخذ الحجاج الاجراءات المناسبة بحيث يصل بريده الى محمد بن القاسم في كل ثلاثة ايام ايضاً .

مسيرة العمليات :

تقـــدم محمد بن القاسم حتى وصل اقليم مكران حيث انضم اليه محمد بن هرون بن ذراع . وبعد التوقف اياماً قليلة . دفع محمد بن القاسم المقدمة بقيادة ابي الاسود ، جهم بن زحر الجعفي ، وتحرك في اتجاه قنزبور . ولما وصلها حاصرها ولم تلبث المدينة ان سقطت في يده . وتابع محمد تحركه حتى وصل ارمابيل فحاصرها وفتحها ايضاً ثم تابع تحركه مع ساحل البحر وعندما وصل قمبلى، توفي محمد بن هرون فدفنه فيها وتابع مسيرته حتى وصل الديبل ، ومع وصول القوات الارضية وصلت القوات البحرية وتوقفت السفن الحاملة للرجال والاعتدة والتجهيزات وتم احكام الحصار حول « ديبل » .

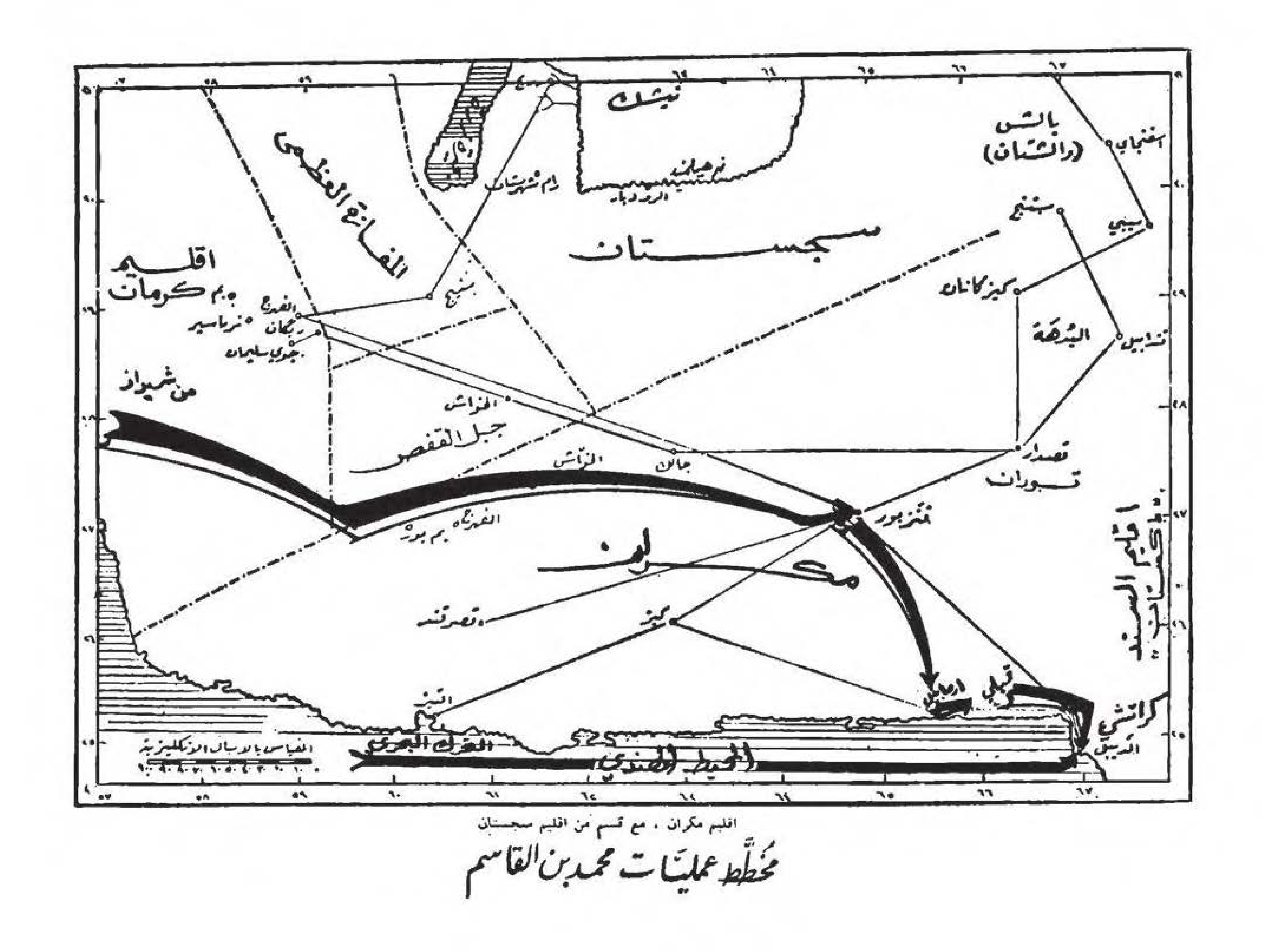
شاهد محمد بن القاسم منارة عظيمة « بـــد » تحمل علماً كبيراً . كما شاهد مجموعات من القباب المماثلة للمنارة . وسأل عنها فعلم انها تضم « اصناماً » يضرع اليها سكان المدينة ويعبدونها ، واستخدم محمد بن القاسم المنجنيق لتدميرها الا ان الرمايات لم تكن دقيقة ولا مؤثرة . فارسل الى الحجاج يشرح له الموقف فاجابه الحجاج :

[أنصب العروس ، واقصر منها قائمة ، ولتكن مما يلي المشرق . ثم ادع صاحبه فمره ان يقصد برميته الدقل الذي وصفت لي] .

نفــذ محمد بن القاسم تعليمات الحجاج ، ونجح الرماة في تدمير منارة الميناء وابراج المعابد مما احبط الروح القتالية لدى جيش الديبل .

شعر حاكم الديبـــل ان الحصار لن يكون من مصلحته فخرج من وراء اسوار المدينة وقاتل جيش المسلمين في معركة جبهية ونجح محمد بن القاسم بإلحاق الهزيمة به مما دفعه الى العودة حتى وراء الخنادق والاسوار والاعتصام بها .

انهى محمد بن القاسم استعداداته لاقتحام المدينـــة ، ونصب السلالم ، واقتحم المسلمون المدينة بصورة مباغتة ونجحوا في الاستيلاء عـــلى معاقلها وتحصيناتها وأعملوا في جيش الديبل قتلا لمدة ثلاثة ايام بحيث قضي على قوات



اقليم مكران ، مع قسم من اقليم سجستان

مخطط عمليات محمد بن القاسم

المقاومة بكاملها . ثم اصدر محمد بن القاسم تعليماته بتدمير المعابد جميعها . وتشييد جامع للمسلمين . وترك فيها حامية مكونة من اربعة آلاف مقاتل وغادرها لمتابعة عملياته وتدمير جيش داهر ، ملك الاقليم .

وصل محمد بن القاسم البيرون فصالحه اهلها .

ثم وصل ابن القاسم « سدوسان » فصالحه اهلها ايضاً .

لم يكن داهر يتوقع تقـدم محمد بن القاسم بمثل السرعة التي سار بها ، ونجح محمد في اختيار موقع لعبور نهر السند بحيث يحقق المباغتة المكانية . وهكذا حقق محمد بن القاسم المباغتة الزمانية والمكانية ، واصطدم مع داهر ملك السند في موقعة حاسمة استمرت يوماً كاملا ، ونجح القاسم بن ثعلبة بن عبدالله بن حصن الطائي من الوصول الى داهر وقتله ووقف رجل من بني كلاب يقول :

الخيل تشهد يوم داهر والقنا : ومحمد بن القاسم بن محمد
اني مزجت الجمع غير معرد : حتى علوت عظيمهم بمهند
فتركته تحت العجاج مجندلا : متعفر الخدين غير موسد

وكان لمقتل داهر دور كبير في انهيار المقاومة ، وحقق جيش المسلمين نصراً على الاقليم الذي بقي طويلا معقلا للمقاومة ، واصبح باستطاعة المسلمين متابعة عملية التقدم الى الهند من المحورين الشمالي والجنوبي .

استثمار الظفر :

انطلق محمد بن القاسم في مسيرته عبر اقاليم الهنـد فوصل « برهمنا باذ » القيقة وعرض على ملكها اختيار واحد من ثلاثة مواقف :

١ ـ اما الدخول في الاسلام ٢ ـ او دفع الجزية ٣ ـ او الحرب

الا ان اهل « برهمنا باذ » رفضوا كل الحلول، واختاروا الحرب ونظموا مقاومتهم . واستطاع محمد بن القاسم تحقيق النصر، وفتح المدينة عنوة وأباد فيها ٢٦,٠٠٠ من جند العدو .

تابــع محمد بن القاسم تحركه حتى وصل « ساوندري » فاستسلم اهلها دون قتال وعقدوا صلحاً مع ابن القاسم . ووصل ابن القاسم الى « بسمد » فصالحه اهلها على مثل صلح « ساوندري » . ثم وصل « السكة » وقد اعتصم اهلها وحاولوا مقاومة الزحف الاسلامي فاقتحمها محمد بن القاسم ودمرها .

وصل محمد بن القاسم في مسيرته الى « الملتــان » وحاصر اهلها . ولما طال الحصار ، وامتنعت المدينة على المسلمين ، احكم محمد بن القاسم الحصار وقطع عنها مواردها الحياتية ، وجاءه من يدله على مورد المياه الذي تعيش المدينة عليه ، فقام بتحويل مجرى المياه وحرمان اهل المدينة منه ، ولما اشتدت وطأة الحصار . استسلم اهل المدينة .

ودخل محمد بن القاسم ، فدمر المعابد البوذية ، وجمع الاصنام فاحرقها وجمع الخراج وقسم الغنائم على المسلمين وارسل الخمس الى الحجاج . فلما وصلت هذه الى الحجاج ومعها رسائل محمد تشرح الموقف وما تم تحقيقه من انتصارات قال الحجاج :

[لقد شفينا غيظنا و ادركنا ثأرنا ، وازددنا ستين مليون درهم ورأس داهر . نحن انفقنا على تجهيز جيش محمد بن القاسم ستين مليوناً ، وها قد بلغ الخراج ١٢٠,٠٠٠,٠٠٠ مئة وعشرين ميلوناً] .

وهو يعادل ضعف ما انفقه الحجاج على تجهيز جيش فتح السند .

توفي الحجاج بن يوسف الثقفي ، ووصل خــبر موته ، فتراجع محمد بن القاسم ، ورجع من الملتان الى « الرور وبغرور » ووجه الى« البيلمان » قــوة لفتحها ، ولم يقاوم اهل البيلمان تقدم جيش المسلمين ، وعرضوا الصلح وتم عقد اتفاق معهم ومع اهل « سرست » .

تقدم محمد بن القاسم من « الكيرج » بعــد ان بلغه تحشد القوات فيها بقيادة « دوهر » ، وبعد معركة قصيرة ، انتصر جيش المسلمين وانهزم دوهر ، ثم لقي مصرعه على يد جندي من مقاتلي المسلمين انطلق يقول :

نحن قتلنا داهراً ودوهراً والخيل تروي منسراً فمنسراً .

توفي الوليد بن عبد الملك وخلفه سليمان بن عبد الملك . وكان سليمان بن عبد الملك يحقد على محمد بن القاسم نظراً لتأييده الوليد في موقفه من خلع سليمان وتولية ابنه . فاصدر اوامره بتعيين يزيد بن ابي كبشة السكسكي والياً على السند ، وطلب اليه اعتقال محمد بن القاسم ومعاوية بن المهلب ، وتم اعتقال القائدين وارسلا الى صالح بن عبد الرحمن والي العراق فالقى بهما في السجن.

نهاية محمد بن القاسم :

عندما شهد محمد بن القاسم ، انه اصبح مكبلا بالقيود بعد ان كان يجول في انحاء البلاد محققاً النصر تلو النصر انشد يقول :

اضاعوني واي فتى اضاعوا : ليوم كريهة وسداد ثغر

واستقر المقام بمحمد بن القاسم في سجن واسط من ارض العراق ، وتذكر ما قدمه لأمته فقال :

فلئن ثويت بواسط وبارضها : رهن الحديد مكبلاً مغلولاً
فلرب فتية فارس قد رعتها : ولرب قرن قد تركت قتيلا

ومرت الايام على محمد بن القاسم وهو في سجنه بطيئة متثاقلة . ونظر فيما حوله ؛ وناقش موقفه من استسلامه لعمال سليمان بن عبد الملك ، فقال :

لو كنت اجمعت الفرار لوطئت : اناث اعدت للوغى وذكور
وما دخلت خيل السكاسك ارضنا : ولا كان من علك علي امير
ولا كنت للعبد المزوني تابعاً : فيا لك دهراً بالكرام عثور

وفي النهاية اقدم صالح بن عبد الرحمن على قتل محمد بن القاسم ومعه مجموعة من آل ابي عقيل انتقاماً لمقتل اخيه « آدم » على يد الحجاج ، ولما انتشر خبر مقتل ابن القاسم رثاه حمزة بن بيض الحنفي بقوله :

ان المروءة والسماحة والنـدى : لمحمد بن القاسم بن محمـد
ساس الجيوش لسبع عشرة حجـة : يا قرب ذلك سؤدداً من مولد

وقال آخر في رثائه :

ساس الرجال لسبع عشرة حجه : ولداته عن ذاك في اشغال

الدروس المستفادة :

١ ـ العمليات البرمائية :

افـاد الحجاج بن يوسف من دروس العمليات البحرية ـ البرية التي كان يقوم بها الامويون لغزو البحر والهجوم على القسطنطينية وبلاد الروم فطبّقها في الهجوم على « الديبل ـ كراتشي » وكان للتنسيق التام بين جهد القوى البحرية ، وجهد القوى الأرضية دور حاسم في إحباط المقاومة وفتح حوض السند . وتعتبر ظاهرة اشراك قوات مختلفة في المعركة تطوراً كبيراً في فن الحرب عند العرب المسلمين .

٢ ـ الاهتمام بالشؤون الادارية :

ـ افاد القادة المسلمون من تجاربهم السابقة ، فاصبحوا يبذلون قدراً كبيراً من العناية والاهتمام بالشؤون الادارية وتوفير متطلبات المقاتلين حتى ان الحجاج جهز جيش فتح السند بكل ما قد يحتاجه بما في ذلك الخيوط والابر والمسلات والمواد الغذائية المجففة والخل .

لقد خاض المسلمون الاوائل حروبهم دون بـذل اهتمام كبير للشؤون الادارية ، وكان الجند هم المسؤولون عن توفير متطلباتهم وكانت هذه المتطلبات بسيطة . ونظراً لاحتكاك جند المسلمين مع جيوش الفرس والروم ، وتطور الحياة الاجتماعية للعرب المسلمين ، اصبحت هذه المتطلبات كثيرة ومتعددة مما حمل القادة على بذل الاهتمام المناسب بالشؤون الاداريـة والامـداد والتموين .

٣ ـ تطور التسليح :

ـ جهز جيش فتح السند بالمنجنيق وبمعدل « عروس » لكل خمسمائة مقاتل وهذا يبرز تطور التنظيم والتسليح في جيوش العرب المسلمين وظهور اسلحة اجماعية وتجهيزات هندسية لخدمــة الجيش بكامله وتعتبر ظاهرة تزويد الجيش بالمعدات الهندسية لعبور الانهار واقتحام الاسوار وتجاوز التحصينات والخنادق بالاضافة الى تسليح الوحدات بالمنجانيق من الدلائل الحاسمة على تطور فن الحرب عند العرب المسلمين تطوراً كبيراً .

٤ ـ الدور الحاسم لشخصية القائد :

حشد الحجــاج بن يوسف امكانيات ضخمة لتجهيز جيش السند ، وانفق اموالا طائلة . الا ان هذه الامكانات لم تكن لتحقق ثمارها لو لم يكن قائد العملية شخصاً مثل محمد بن القاسم .

لقــد برهنت مسيرة العمليات في اقليم السند وفتوح الهند على الدور الحاسم الذي يمارسه القائد في نجاح العملية او فشلها . فالقائد هو الذي يقدر الموقف الصحيح وهو الذي يتخذ القرار المناسب وهو الذي يشرف على التنفيذ ويشارك فيه فيوحي الثقة لمرؤوسيه الذين يعرفون ان جهودهم وتضحياتهم لن تذهب سدى ودونما نتيجة .

٥ ـ الروح المعنوية العالية :

لقد تجــاوز جيش محمد بن القاسم في مسيرته آلاف الاميال . وعمل في مناطق مختلفة وفي اجواء متنوعة ، وقاتل قوات كبيرة في معارك متتابعة ولم يكن تحقيق ذلك ممكناً لو لم تكن الروح المعنوية لجيش المسلمين على درجة عالية وقد كانت الثقة بالقائد والثقة بالسلاح والايمان قبل كل شيء بعدالة القضية هي من العوامل التي حملت المسلمين على تجاوز كل الصعوبات وتحدي كل العوامل لتحقيق الهدف من الحرب وهو نشر السلام والاسلام .

التفاعل الحضاري العربي – الايراني

أهدى العرب المسلمون شعوب البلاد التي فتحوها قلبهم ولسانهم .
أهدوهم القلب عندما عرفوهم بدين الاسلام .
ووهبوهم اللسان عندما حببوا اليهم تلاوة القرآن الكريم بلغة العرب ولسانهم .

وترك العرب المسلمون لأهل البلاد التي فتحوها الحريات السياسية والإدارية والدينية ، وكانت هذه الحريات هي التربة التي نشأت فوقها الحضارة .

ان مقياس كل امة هو ما تقدمه من خير للانسانية جمعاء ، وقد جاء الاسلام ، للناس كافة ، ووقع على العرب واجب حمل هذه الرسالة الى كل انسان في كل مكان فتولدت عن ذلك حضارة هي الأساس فيما يعيشه عالمنا المعاصر من تطور وتقدم .

كان في العالم عند ظهور الاسلام ثلاث حضارات هي : الحضارةالفارسية « شرقية » والحضارة « البيزنطية » «غربية » وريثة اليونانية والرومانية ، وحضارة « متوسطة » هي حضارة الفراعنة في وادي النيل .

واستطاع العرب المسلمون إزالة الامبراطوريتين الفارسية والبيزنطية ونشر الاسلام في ربوع العالم القديم ، من الصين وحتّى الاطلسي .

أفسح العرب المسلمون المجال رحباً لنمو العلوم وتطورها ، فبرز عدد من العلماء الذين لا زال ذكرهم سمع الدنيا وبصرها .

واذا كان دعاة التخريب ، يعملون في مناخ الحرب النفسية التي يشهدها

عالمنا المعاصر على تجريد العرب المسلمين من كل قيمة حضارية على اساس ان القسم الأكبر من العلماء هم من غير العرب على حد قول « بول دي لاغار Paul de Laguare » الذي قال :

[ليس بين المسلمين الذين حققوا شيئاً في ميدان العلم سامي واحد]

فانه يمكن القول لمثل هذا :

[يكفي العرب المسلمين فخراً انهم هيأوا المناخ والتربة الصالحة لظهور امثال هؤلاء العلماء] .

لقــد شغل العرب بالحروب واعمال الفتوح ، وهي الواجب الاول الذي القى على العرب المسلمين ، ثم هيأوا المناخ الملائم للعلماء . وعملوا على تفريغهم قبل ان ينطق احد بالتفرغ بمئات السنين . وقد عرف العالم القديم عدداً من الغزوات البربرية ، كغزوات التتار ، ولكن هذه الغزوات لم تترك سوى اسمها العسكري فقط ، بينما انتجت الفتوحات العربية حضارة لا يستطيع احد انكارها الا اذا استطاع ان يطفىء الشمس .

من هنــا ، يستطيع العرب المسلمون ان يفخروا بما حققته حضارتهم حتى لو عمل فيها ، غير العرب ، وحتى لو كان الذين حققوا الانجازات العلمية جميعاً من غير العرب .

ان الحضارة الامريكية المعاصرة هي القمة في التطور التقني والفني والعلمي ، وهي حضارة من نتاج غير امريكي ، لان العدد الأكبر من العلماء هم ممن تسرقهم أمريكا من العالم أو تغريهم بمختلف الوسائل للعمل في بلادها ، فهل بالامكان انكار دور أمريكا والقول أنها أمة لم تقدم شيئاً للحضارة ؟

ان الاتحــاد السوفييتي وهو الدولة الثانية في التطور العلمي والتقني حالياً يستعين بخبرات الغرب ، وقد استعان قبلاً عن طريق الجاسوسية بالخبراء والخبرات لصناعة القنبلة الذرية ، فاذا أريد تجريد العرب المسلمين من دورهم

الحضاري فانه يجب بالمقابل تجريد كل حضارة من جميع العوامل المساعدة لها، وهذا أمر يتنافى مع المنطق ومع العلم .

إن الحضارة التي حمل لواءها العرب المسلمون هي حضارة عربية إسلامية ، قبل كل شيء، وإن الفصل بين العرب والمسلمين ما هو الا استمرار للمحاولات القديمة لعزل العرب عن المسلمين وعزل المسلمين عن العرب ، وتدميرهما معاً .

١ ـ المنجزات العلمية الحضارية :

فتح الاسلام مجالاً رحباً للامكانات المختلفة فبرزت في كل قطر قمم شامخة في كل مجال ، ويمكن ذكر بعض من قدمتهم ايران لرفع لواء الحضارة الاسلامية ـ العربية كالتالي :

أ ـ في الطب :

١ ـ الرازي ، ابن عباس المجوسي .

٢ ـ ابن سيناء ، الحسين بن عبدالله بن الحسن بن علي بن سينا ولقبه الشيخ الرئيس .

٣ ـ الجرجاني ، توفي ١١٣٦ .

ب ـ في العلوم :

١ ـ اخوان الصفا ، واكثرهم من الفرس ، نشرت رسائلهم عام ٩٧٠ م ـ ٣٦٠ هـ عالجت علوم الرياضيات والكيمياء والفلك .

٢ ـ عبدالله محمد الخوارزمي ، الف عام ٩٧٦ م ـ ٣٦٦ هـ كتاب مفاتيح العلوم .

ج ـ الرياضيات :

١ ـ الماهاني ، توفي عام ٨٦٠ م .

٢ ـ ابو الوفاء محمد البوزجاني ٩٤٠ ـ ٩٩٧ م (٣٢٨ ـ ٣٨٧ هـ) .
٣ ـ ابو الريحان البيروتي ، الخوارزمي ٩٧٣ ـ ١٠٤٨ م (٣٦٢ ـ ٤٤٨هـ) من كتبه : تحقيق ما للهند ، والآثار الباقية عن القرون الحالية .
٤ ـ فخر الدين الرازي ، توفي عام ١٢٠٩ م .

د ـ تاريخ ، جغرافيا ، فلك :

١ ـ الطبري ، توفي عام ٩٢٣ م اشتهر بتاريخ « الطبري » .
٢ ـ البلاذري ، توفي عام ٨٩٢ م . اشتهر بكتابه فتوح البلدان .
٣ ـ الدنيوري ، توفي عام ٨٩٥ م .
٤ ـ ابن خرداذبة ، توفي عام ٨٤٨ عرف بدراساته الجغرافية .
٥ ـ ابن رستة ، توفي عام ٩٠٣ ، عرف بدراساته الجغرافية .
٦ ـ الصوفي ، ٩٠٣ ـ ٩٨٦ م عالم فلكي .
٧ ـ نصر الدين الطوسي ١٢٠٠ ـ ١٢٧٣ م . عالم فلكي .
٨ ـ الشيرازي ، ١٢٣٦ ـ ١٣١١ م . عالم فلكي اشتهر بدراساته في علوم البصريات والهندسة .
٩ ـ عمر الخيام ١٠٤٠ ـ ١١٢٣ = ٤٣٣ ـ ٥١٧ هـ شاعر ، فلكي ، عالم رياضيات .

هـ ـ الفلسفة والدين :

١ ـ محمد الغزالي ، ١٠٥٨ ـ ١١١١ م . ابا حامد ولقبه حجة الاسلام .
٢ ـ ابو حنيفة ، توفي عام ٧٦٧ م .
٣ ـ البخاري ، توفي عام ٨٧٠ م .
٤ ـ النسفي ، توفي عام ١١٤٢ م .
٥ ـ الشهرستاني ، توفي عام ١١٥٣ م .
٦ ـ العالم الرازي ، ٩٢٣ ، طبيب وفيلسوف .

٧ ــ البيروني ، ٩٧٣ ، طبيب وفيلسوف .
٨ ــ ابن سيناء ، ١٠٣٧ ، طبيب وفيلسوف .

و ــ في اللغة والأدب :

١ ــ ابن المقفع ، توفي ٧٥٧ م ، اشتهر بتراجمه .
٢ ــ بشار بن برد ، توفي ٧٨٣ م شاعر .
٣ ــ سيبوية ، توفي ٧٩٣ م ، لغوي .
٤ ــ الكسائي ، توفي ٨٠٥ م ، فقيه لغوي .
٥ ــ ابو نواس ، توفي ٨١٠ م ، شاعر الغزل .
٦ ــ الفراء ، توفي ٨٢٢ م ، لغوي .
٧ ــ ابن قتيبة ، توفي ٨٨٩ م ، لغوي ، ادب .
٨ ــ الجوهري ، توفي ١٠٠٢ م ، لغوي ، ادب .
٩ ــ إبن فارس ، توفي ١٠٠٥ م ، لغوي ، ادب .
١٠ ــ بديع الزمان الهمذاني ، توفي ١٠٠٧ م ، ادب .
١١ ــ الزمخشري ، توفي ١١٤٣ م ، ادب .
١٢ ــ العطار ، توفي ١٢٣٠ م ، شاعر الغزل .
١٣ ــ جلال الدين الرومي ، توفي ١٢٨٣ م ، شاعر الغزل .
١٤ ــ سعدى ، توفي ١٢٩١ م ، شاعر الغزل .
١٥ ــ حافظ ، توفي ١٣٨٩ م ، شاعر الغزل .
١٦ ــ جامي ، توفي ١٤٩٢ م ، شاعر الغزل .

ز ــ في البناء والهندسة :

سهل نوبخت الفارسي خطط مدينة بغداد ٧٦٢ م (١٤٤ هـ) .

٢ – ايران والحكم العربي :

كانت الدولة الأموية امتداداً طبيعياً لحكم الخلفاء الراشدين ، في العقلية والأسلوب ، وهذا مما دفع العناصر غير العربية الى مناوءة الأمويين واعلان الحرب السرية ضدهم ، وكانت ايران هي التي رعت الثورة المضادة للعروبة وخططت لها .

بدأت الدعوة الفارسية في خراسان ، حيث دفع خصوم الدولة الأموية من الفرس المسلمين الأتقياء ممن اعتنقوا مبدأ الشرعية وحفزوهم الى العمل ضد الدولة الأموية ، دون أن يدرك هؤلاء النوايا الحقيقة للفرس . وفي عام ٧٣٦ م استطاع هؤلاء اكتساب محمد بن علي عبد الله بن عباس إلى صفوفهم ، وتم تنظيم الحركة السرية في ايران وأسلمت قيادتها الى اثني عشر نقيباً . وفي عام ٧٤٦ م وجه ابراهيم بن محمد ، مندوباً عنه الى خراسان هو ابو مسلم (عبد الرحمن بن مسلم) الخراساني . ونجح ابو مسلم الخراساني في تطبيق مخططه على النحو التالي :

١ – اثارة النعرة القومية وتوحيد الفرس ضد العرب .

٢ – اغراء اصحاب الأملاك « الدهاقين » ودفعهم الى الدخول في الاسلام للإفادة من امكاناتهم المادية والمعنوية لدعم الثورة .

٣ – الزام جنده بالطاعة العمياء لقادتهم في تنفيذ كل ما يطلب اليهم دونما قيد أو شرط .

وكان أول من لبى هذه الدعوة ، خالد بن برمك ، من مدينة بلخ . حيث أسلم وتشيع لآل عباس ، وأسهم في تمويل حركة أبي مسلم بهدف انشاء دولة ترفع من شأن الفرس ، وتضع من قيمة العرب .

في عام ٧٤٨ م ، بدأت بوادر الثورة عندما اصطدمت قوات الفرس بقيادة « قحطبة بن صالح الطائي » أحد النقباء الإثني عشر ، مع قوات نصر بن سيار عامل الأمويين في خراسان .

في شهر حزيران من السنة ذاتها دخـــل أبو مسلم الخراساني « نيسابور » .

في شهر آب « أغسطس » عـــام ٧٤٩ م احتل الحسن بن قحطبة الطائي مدينة الكوفة حيث كان أبو سلمة الخلال يعمل فيها كوزير لآل محمد منذ وقت طويل بصورة سرية .

في شهر آب عام ٧٥٠ ، التقت قوات مروان بن محمد آخر الخلفـــاء الامويين بقوات خراسان عند الزاب الأكبر وهزم الأمويون . وظهرت عوامل الانتقام العنيف من العرب ، وألقت جميع المدن السورية السلاح دونما مقاومة باستثناء دمشق التي قاومت العباسيين على الرغم من معرفتها الثمن الفادح الذي ستدفعه لقاء مقاومتها . وزالت الدولة الأموية من الشرق وانتقلت الى الغرب حيث استمرت في اسبانيا حتى عام ١٠٣١ م .

يقول المستشرق كارل بروكلمـــان ١٨٦٨ — ١٩٥٦ في كتابه : « تاريخ الشعوب الإسلامية » ما يلي :

[خسر العرب عموماً ، لا السوريون وحدهم ، السيادة المطلقة في الإسلام بسقوط دولة الأمويين ، فما هي الا فترة وجيزة حتى ارتدت جزيرتهم إلى سابق عهدها من التأخر الكلي] .

كان أبو العبـــاس عبدالله الذي لقب نفسه بالسفاح أول خليفة عباسي . لكن حكمه لم يستمر طويلاً فخلفه أخوه ابو جعفر المنصور عام ٨٥٤ م وشعر المنصور بخطر الفرس (١) فعرض على أبي مسلم الخراساني ولاية الشام ولما رفضها أبو مسلم استدرجه المنصور الى العراق وقتله . وثار الفرس بقيـادة

---

(١) كان ابو جعفر المنصور يشعر بالنفوذ المتعاظم لابي مسلم الخراساني فنصح أخاه أبـــا العباس بقوله (لست بخليفة ما دام أبو مسلم حياً) . وقد رغب المنصور في عدم الإساءة لأبي مسلم نظراً لما قام به من جهد في انشاء الدولة العباسية ، الا انه رغب في ابعاده عن منطقة نفوذه في خراسان ، فكلفه بولاية الشام . ولما بلغه ذلك قال : (يوليني الشام وخراسان لي) ولما بلغ ذلك المنصور لم يجد مفراً من قتله والتخلص منه .

سنباذ الفارسي فأرسل الخليفة المنصور جيشه الذي التقى بالفرس بين همذان والري ، وخرج المنصور منتصراً .

استمر حكم المنصور عشرين سنة ٧٥٤ – ٧٧٥ م ولم يتمكن المنصور من إبعاد ظل الفرس عن الحكم ، فظهروا بشكل جديد تمثل في البرامكة الذين تزايد نفوذهم حتى وصل ذروته أيام الخليفة هارون الرشيد ، وأصبح «جعفر البرمكي» مطلق الصلاحية في شؤون الوزارة . وأخذ يسير الأمور دون الرجوع الى الخليفة ، وتعاظمت أهمية أسرته ، وتزايدت ثروتها ونفوذها بشكل طغى على ثروة هارون الرشيد ونفوذه . كما ألفوا حزباً سياسياً في فارس من مبادئه تهديم سلطة العرب ، ولم يجد الخليفة هارون الرشيد علاجاً للموقف إلا بإزالة «أسرة البرامكة» فقضى عليهم ولاحق أنصارهم حتى استتب له الأمر .

وقعت اضطرابات بعد ذلك في خراسان واستطاع اهلها الحصول على المزيد من الإمتيازات ، وعندما جاء رافع بن الليث أعلن استقلاله في سمرقند وما وراء النهر عام ٨٠٥ م مما دفع الرشيد الى توجيه جيش قاده بنفسه الا انه لم يحقق ما هدف اليه فقد توفي في خراسان عام ٨٠٩ م .

وحدث انشقاق خطير بعد ذلك بين ولدي الرشيد .

كان محمد الأمين الإبن الأكبر للرشيد ، وكانت أمه زبيدة حفيدة المنصور . في حين كان المأمون الإبن الأصغر . وكانت أمه « مراجل » أمة فارسية ، كما كانت زوجته «بوران» فارسية ايضاً ، وعندما توفي هارون الرشيد أعلن الأمين نفسه خليفة ، فرد المأمون بإعلان نفسه خليفة وأرسل من مرو جيشاً مؤلفاً من الخراسانيين والفرس فحاصر بغداد وقتل الأمين وبقي المأمون خليفة من ٨١٣ – ٨٣٣ م

بقي المأمون في مرو ، خراسان ، فترة ستة اعوام . وفي هذه الفترة نصب العلويون محمد بن ابراهيم بن طباطبا خليفة في اوائل سنة ٨١٥ . فأرسل

المأمون « هرثمة » لمقاتلته . فاستعاد « هرثمة » « واسط والمدائن والكوفة » . ونجح في القضاء على محمد طباطبا .

ثار أهــل بغداد نتيجة لشعورهم بتزايد نفوذ الفرس ، فسار الخليفة المأمون إلى بغداد ، وفي الطريق قتل وزيره الفارسي الفضل بن سهل وصهره عــلي الرضا . وذلك لأنهما أخذا في تشكيل خطر يتهدد سلطانه .

كان قائد القوات الذي فتح بغداد وقتــل الامين هو القائد الفارسي طاهر . ونتيجة لذلك ، استقل طاهر عن الخليفة في بغداد . وهكذا فقدت الدولة العباسية نهائياً ولاية خراسان منذ عام ٨٢٢ واستقلت بها الأسرة الطاهرية.

وفي أواسط القرن التاسع قــام الصفويون على أنقاض الطاهريين واستقلوا بخراسان ، ثم جاء بعدهم السامانيون الذين ضموا اليهم سجستان وبخــارى وسمرقند . وتتابعت الأسر الايرانية في الإستقلال عن الدولة العباسية على النحو التالي :

الطاهريون	٨١٠ – ٨٧٣ م .		
الصفاويون	٨٦٨ – ٩٠٢ م .		
السامانيون	٨٧٤ – ٩٩٩ م.		
آل زياد وآل بويه	٩٣٢ – ١٠٥٦ م .		
آل غزنه السلاجقة	٩٦٢ – ١١٨٦ م.	اصل	تركي
السلاجقة	١٠٣٧ – ١٣٠٠ م.	»	»
– الخوارزميون	١٠٧٧ – ١٢٢٠ م .	»	»
المغول « الايلخانيون»	١٢٥٦ – ١٣٣٦ م	»	»
آل جلاير	١٣٣٦ – ١٤١١ م.	»	»
آل مظفر	١٣١٣ – ١٣٩٣ م.	»	»
الكوت	١٢٤٥ – ١٣٨١ م.	»	»

التيموريون ١٣٦٩ – ١٥٠٠ م. أصل تركي

آل غوينلو ١٣٧٨ – ١٥٠٢ م. « »

– الصفويون ١٥٠٢ – ١٧٢٢ م. اول دولة اسماعيلية

– الافغان ١٧٢٢ – ١٧٢٩ م. رافق ذلك غزو الاتراك

– الافشار «نادرقلي بك» ١٧٣٦ – ١٧٤٧ م. والروس واحتلالهما

– الذنرديون «كريم خان» ١٧٤٧ – ١٧٩٤ م. أجزاء من فارس

– القاجار «آغا محمد خان القاجاي» ١٧٩٤ ١٩٠٦ اتراك

في عهد هذه الاسرة حدثت معركة هراة سنة ١٨٥٦ ، اعترفت فيها ايران؛ باستقلال « افغانستان ، وتسليم دربند وباكو لروسيا .

التفاعلات الاجتماعية العربية – الفارسية :

وصلت ايران قبـــل الفتح الإسلامي إلى مستوى حضاري متطور ،وظهرت فيها حركات اجتماعية وتنظيمات ثورية من أبرزها -حركة « المزدكيين»

وعندما جـــاء الإسلام ، خاف الفرس على حضارتهم من الضياع ، ولم يكن أمامهم سبيل لمقاومة الزحف الإسلامي الجبار . ولهذا دخلوا في الإسلام وحاولوا فلسفته ضمن مفاهيمهم ، كما حاولوا في الوقت ذاته إثارة التناقضات لخلق انقسام في صفوف العرب المسلمين . وقد نجحوا في الواقع بتحقيق جزء من مخططاتهم ، وتعاونت اليهودية المقنعة ، والمجوسية المخادعة أن تذهب بالخلفاء الراشدين ، فمات ابو بكر الصديق مقتولا بالسم عام ١٣ هـ بعد عام من تناوله طعام مسموم دسه له اليهود في « جذيذة » ومات معه في الوقت ذاته رفاقه الذين طعموا معه من الأكل المسموم وهما الحارث بن كلدة وعتاب بن أسيد(١) . كما نجح الهرمزان الفارسي في دفع أبي لؤلؤة ، وأعطاه خنجـــراً

---

(١) تاريخ الطبري ، ج ٣ ص ٤١٩ .

مسموماً قتل به الخليفة الثاني عمر بن الخطاب عام ٢٣ هـ (١) . واستطاع عبدالله ابن سبأ اليهودي تنظيم حركة سرية في العراق ومصر ، وحشد قواته في المدينة عام ٣٦ هـ . ودفع «سودان بن حمران السكونيان» و« نهران الأصبحي » و « كنانة بن بشر بن عناب التجيبي » و« عمرو بن الحمق » لقتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان (٢) . وفي عام ٤٠ هـ نظمت المؤامرة الكبرى التي نفذها « ابن ملجم المرادي » لقتل علي بن أبي طالب و«البرك بن عبدالله » لقتل «معاوية ابن ابي سفيان » و« عمرو بن بكر التميمي» لقتل « عمرو بن العاص » ولكن المؤامرة فشلت وذهب ضحيتها الخليفة « علي بن أبي طالب » .

وجد أعداء العرب المسلمين أن مؤامراتهم لم تحقق أهدافها ، فقد جاء الأمويون وحققوا الفتوحات العربية الإسلامية ، فتحولت أعمال القتل الفردية إلى تنظيمات اجتماعية . سياسية هدفها ازالة الأمويين .

حاول أهل فارس الإرتداد مرات عديدة ، مستفيدين من التناقضات خلال فترة الخليفة علي بن ابي طالب ، وحكم الأمويين ، إلا أن الفشل كان نصيبهم في كل مرة . وقد استنزفت أعمال الفتوح الجهد العربي الإسلامي ، مما أتاح الفرصة في نهاية الحكم الأموي لظهور « مؤامرة العباسيين » .

أفاد الفرس من تقربهم إلى العباسيين ، فزوروا على لسانهم الوثائق وعملوا باسمهم لتنظيم الحركة العباسية . ولعل الوثيقة التي كتبها أبو مسلم الخراساني على لسان الإمام ابراهيم افضل برهان على ذلك ، وكان نص الوثيقة كالتالي (٣) :

[يا عبد الرحمن ، انك رجل منا أهل البيت ، فاحتفظ بوصيتي وانظر إلى هذا الحي من اليمن ، فأكرمهم وحل بين أظهرهم ، فان الله لا يتم هذا الامر إلا بهم ، وانظر هذا الحي من ربيعة ، فاتهمهم في أمرهم وانظر

(١) تاريخ الطبري ، ج ٤ ص ١٩٠ — ١٩٤ .
(٢) تاريخ الطبري ، ج ٤ ص ٣٦٥ .
(٣) تاريخ الطبري .

هذا الحي من مضر ، فإنهم العدو القريب الدار ، فاقتل من شككت في امره ، ومن كان في أمره شبهة ، ومن وقع في نفسك منه شيء وان استطعت ألا تدع بخراسان لساناً عربياً ، فافعل ، فأي غلام بلغ خمسة أشبار تتهمه ، فاقتله] .

لا حاجة لتحليل هذه الوثيقة ، إلا أنه يمكن طرح سؤال واحد :

ترى هل يعقل أن يكتب الإمام ابراهيم العربي لإبادة العنصر العربي ؟

ثم ألم يحاول الخلفاء العباسيون الأوائل وضع حد لكل تطرف فارسي ؟

الإجابة تدحض نص الوثيقة وتثبت تزويرها ، إلا أن نص الوثيقة يثبت في الوقت ذاته قدرة أبي مسلم الخراساني على تسخير كل الوسائل لتحقيق أهدافه .

شعر الفرس بزوال الدولة الأموية وقيـــام الدولة العباسية أنهم حققوا أهدافهم ، فأخذوا ينافسون العرب في السلطة والحكم واستطاع العباسيون الأوائل ، وطوال مئتي عام ، كبح جماح الفرس فقضوا على أبي مسلم الخراساني والبرامكة ، والفضل بن سهل ، وغيرهم . وعندما ضعفت دولة العباسيين ، وقامت الدويلات الإيرانية على انقاضها ، ظهرت التنظيمات الدينية والاجتماعية لتمارس دورها في المجتمع العربي — الاسلامي ، وبالإمكان في هذا المجال استعراض أبرز التفاعلات ومنها :

١ — ثورة الزنج :

ظهر في الأهواز ، ثم تنقل في جنوب العراق رجل ادعى النسب العلوي واسمه علي بن محمد ، وقد أفاد علي هذا من التناقضات الإجتماعية التي سادت المجتمع أيام الرخاء في ظل الرشيد والمأمون ، فنظم ثورة الزنج ، العمـــال الفلاحين ، في الأراضي الزراعية ودخل البصرة عام ٢٥٥ هـ . وأعمل فيها حرقاً وتقتيلا . وتدميراً بصورة وحشية وقد بذل الخليفة المعتمد واخوه الموفق

٢٥٦ – ٢٧٦ هـ جهداً كبيراً للقضاء على هذه الثورة التي استمرت فترة ١٤ عاماً ، ولم تحقق شيئاً نظراً لعدم وجود منهج اقتصادي ، اجتماعي ، ونظراً لعدم وضع مبادىء واضحة في صلب منهج الثورة ، مثل إلغاء الرق .

٢ – ثورة القرامطة :

القرامطة ، فرقة سياسية دينية ، أسسها حمدان قرمط في جنوب العراق ، وقد ظهرت هذه الفرقة في أعقاب فشل ثورة الزنج ، وتبنى هذه الحركة في البحرين أبو سعيد الجنابي . وأسس في جنوب العراق والبحرين دولةاستمرت عشرات السنين ، وأفاد القرامطة من التناقضات الاجتماعية والإقتصادية لإعطاء حركتهم تنهيجاً علمياً ، فألزموا أتباعهم بدفع الضرائب لتمويل الثورة ثم استخدموا نظام « الألفة » لجمع الاموال في مكان محدود من كل تجمع سكاني على أن تصرف المبالغ المجمعة لصالح الأفراد كلهم ، وحرموا على كل انسان امتلاك اكثر من سلاحه وحصانه .

بدأت ثورة القرامطة عام ٢٨٤ هـ . فجهز لها الخليفة المعتضد قوات ضخمة ولاحق اتباع هذا التنظيم في كل مكان حتى تم القضاء عليهم . فتفرقوا وحافظوا على تنظيماتهم وكانوا نواة الحركات التالية . كالفاطميين .

٣ – الاسماعيلية :

حمل هذا التنظيم أسماء عديدة ، فاطلق عليه العرب اسم « الحشاشين » وعرفه الصليبيون باسم « القتلة ASSASSIN » .

مؤسس هذا المذهب هو حسن الصباح زميل عمر الخيام ورفيقه .

وفد على نظام الملك سنة ٤٨٥ هـ. وخيره الصباح نظراً للصداقة القديمة التي تربط بينهما في ولاية الري أو همذان ولكنه رفض وطلب اشراكه في الوزارة . إلا أن نظام الملك اكتفى بمنحه مكانة خاصة دون اشراكه في الحكم ، فأخذ

يستميل الحاشية وأصبح صاحب الملك . ولم يلبث أن تنكر لصديقه نظام الملك وأخذ يدس عليه عند ملك السلوقيين متهماً إياه بتبديد أموال الدولة وظهر للملك بطلان الإتهام ، وانكشف أمر حسن الصباح فهرب إلى أذربيجان ومنها الى الشام، ثم هبط مصر سنة ٤٧١ هـ حيث كان باستقباله داعي الدعاة « ابو داوود » وقدمه أبو داوود الى المستنصر بالله الفاطمي ، فقربه منه ، ثم عاد الى فارس ينادي بنزار بن المستنصر خليفة للمسلمين ، وطاف يبث الدعوة في أرجاء كرمان وطبرستان ، وتوجه بعد ذلك الى قلعة « وكر العقاب » في قوهستان .

وتظاهر بالعبادة والتقى ، مما حمل حاكم القلعة « علي بن المهدي » على تقريبه ، فاشترط حسن الصباح منحه حق شراء أرض من القلعة بحجة « انه لا يخضع لإنسان في الوجود» فباعه علي بن المهدى قطعة صغيرة بقيمة رمزية. وانطلق حسن الصباح بإثارة الفتنة وعندما شعر أنه أصبح في موقع القوة طلب من الحاكم مغادرة القلعة قائلا له«هذه القلعة ملكي وقد بعتها لي فاخرج منها» ولم يكن أمام علي بن المهدى سوى الإذعان بعد أن غلب على أمره .

انطلق حسن الصباح ينشر دعوته من هـــذه القلعة، ووطد أركان الاسماعيلية وأرسل اتباعه يقتلون ويسلبون وينهبون حتى بعثوا الرعب في جميع القلوب . وكان من بين ضحاياه صديق طفولته نظام الملك . وتوفي الصباح سنة ٥١٨ هـ بعد ان وطد أسس مذهبه في العالم الإسلامي .

اتخــذ اتباع هذا المذهب من القلاع الجبلية المحصنة مقراً لهم . وركزوا جهدهم لقتل القادة وسلاطين البلدان الإسلامية . واستمر العالم الإسلامي يعيش في رعب حتى جاء هولاكو عام ١٢٥٦ م فدمرهم .

استند الإسماعيليون الى الزردشتية وتعاليمها الدينيـــة « فوضعوا كتاب دادستان مينوك – خرد » روح مذهب الحكمة، أو مذهب الحكمة الإلهية ، وجعلوه أساس مذهبهم .

تفرع عن هذا المذهب ، المذهب الدرزي ، وكان قائـــده محمد الدرزي ،

الذي أخذ أول تعاليمه من مدرسة « حسن الصباح » ثم انتقل الى مصر حيث تخرج من « دار الحكمة » التي أسسها الفاطميون . وعاد إلى المناطق الجبلية في سوريا ولبنان لنشر مذهبه .

نقـل الإسماعيليون مقر قيادتهم إلى « سلمية » وأخذوا منها يوجهـون أنصارهم ضد الأتراك وضد السلاجقة في وقت واحد .

وعندما احتـل الأتراك العثمانيون بلاد الشام تضاءل أمر الإسماعيلية ولم يعد لهم دور فعال .

نتائج التفاعلات الحضارية العربية – الايرانية :

ان العرض السابق يظهر الدور الذي مارسه العرب المسلمون في اغنـاء الحضارة وتطورها ، فقد انشئت المراصد في نيسابور ومراغة في اذربيجان وبغداد . قبل أن يعرف العالم المراصد الفلكية بمئات السنين .

وشهد العالم الإسلامي التنظيمات العمالية والتكتلات النقابية قبل ان تطرح المفاهيم العلمية الحديثة بأزمنة طويلة .

وعرف العالم العربي المستشفيات « البيمرستانات » والعلاج الوقائي واكتشاف العقاقير وتنظيم الخدمات الصحية قبل أن يعرف العالم التنهيج الصحي بأعوام كثيرة .

وشهد العالم عـلى أيدي العرب المسلمين حضارة عمرانية امتدت مـن الصين حتى اوربا ، مما كان حافزاً لتطوير مدنيتنا الحديثة .

أعطى العرب حضارة ، وهيـأوا مناخاً تفاعلت في أجوائه جميع الحضارات وانصهرت في بوتقته جميع الشعوب . في إطار علمي وفني ، رغم احتفاظ هذه الشعوب بمقوماتها الوطنية والقومية . وهذه من أبرز خصائص الحضارة العربية الاسلامية .

لقـد استطاع العرب المسلمون انجاز ذلك كله عندما استطاعوا ممارسة دور القيادة والريادة ، ولكن الدور الحضاري أخذ في الزوال والأفول عندما

فصل العرب عن الاسلام . وأبعدوا عن دورهم القيادي فشهد العالم الإسلامي تمزقاً بعد وحدة ، ونكوصاً بعد تقدم ، وظلمة بعد نور .

اعطى العرب المسلمون الدنيـــا قلبهم ولسانهم ، ولم يقطفوا من ثمار جهدهم ومن نتاج ما قدموه للحضارة سوى الظلم والتقييم المجحف والإضطهاد الذي لا زالت بذوره تعيش حتّى العصر الحديث .

لم تكن الحضارة العربية الاسلامية حضارة عسكرية فقط .

ولم يكن القتال هدفاً من أهداف العرب المسلمين بل كان وسيلة لاغنـــاء الحضارة . وكان شأن العرب مع من حملوا لهم الحضارة قول الشاعر :

اريد حياته ويريد قتلي .



شرعية الحرب

عدالة الحروب الاسلامية

قال الله تعالى في كتابه العزيز :

كتب عليكم القتال وهو كره لكم ، وعسى ان تكرهوا شيئاً وهو خير لكم ، وعسى ان تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وانتم لا تعلمون(١)

وقال تعالى :

وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين (٢)

كتب الله القتال على المؤمن لهدفين .

١ ـ لهدف دفاعي ضد الذين « يقاتلونكم » .

٢ ـ من اجل نشر الدين الاسلامي .

وهو في جميع الحالات « كره » إلا أن هذا الكره « حتمي ولابد منه » فيه إرادة الله ، فلهذا أصبح القتال فرضاً على المسلمين ، لا مفر لهم منه ولا نكوص لهم عنه ، ولا تهاون لهم فيه .

وللحروب الإسلامية أهدافها ومبرراتها ، ومن هنا ، فإنها حروب مشروعة وعادلة . وحتى تتوضح كلمة « أهدافها ومبرراتها » قد يكون من المناسب ذكر بعض الاقوال في شرعية الحرب « على سبيل الاستشهاد » وليس على سبيل البرهان ، فكلمة الله في غير حاجة لبرهان .

قام استاذ فرنسي ج بوتول باجراء دراسة عن الحروب وتبين له ان

---

(١) و (٢) الآيتان ٢١٦ و ١٩٠ من سورة البقرة .

هناك ثمانية آلاف اتفاقية سلم ، قد وقعت خلال أربعة آلاف عام من عمر التاريخ ورغم ذلك فإن نيران الحروب لم تخمد ، أي بمعنى اتفاقية سلام كل ستة اشهر ، والحرب قائمة باستمرار . ولنا في شواهد تاريخنا المعاصر خير برهان وافضل دليل (١) .

الحرب من طبيعة الإنسان ، ومن طبيعة التقدم ، ومن طبيعة الحياة . إلا أنه ليس لكل حرب شرعيتها وعدالة مبرراتها .

يعرف ماوتسي تونغ الحرب الشرعية وغير الشرعية بما يلي :

يظهر تاريـــخ الحرب انه بالامكان تصنيف الحروب ضمن طائفتين ، حروب شرعية ، وحروب غير شرعية .

ان كل حرب تقدمية حرب شرعية ، وكل حرب تعترض سبيل التقدم هي حرب غير شرعية (٢) .

و التقدم بمعنـــاه العلمي هو ما فيه خير الإنسان ومجتمعه ، وهو أيضاً السبيل لتطور الإنسانية واغناء الحضارة من أجل تعزيز مكانة الإنسان .

جاء في صحيفة لوموند ٢٣ آذار — مارس — ١٩٦٨ المقطع التالي :

[اننا نعترف بحق كل مسيحي ، وكل رجل ، في الاسهام بالتفاعلات الثورية بما في ذلك النضال المسلح] .

و ان الدين الاسلامي هو دين الثورة الدائمة ، على كل أوضاع الظلم وأوضاع التخلف وحرب ضد كل عوائق التطور . ونتيجة لذلك فانه لا حاجة للبرهان. عن عدالة الحروب الإسلامية وشرعيتها ، ضمن إطار أحدث المفاهيم والقيم

وقد نكون في حاجة لبعض الأمثولات ، وان حروب الفتوح وبصورة خاصة فتوح ايران قد اعطت وفرة لا حدود لها من هذه الامثلة ، ربما كان من المفيد مطالعة البعض منها قبل الاستمرار في البحث .

---

(١) G. Bouthol ثمانية آلاف اتفاقية سلام في اربعة آلاف عام ، اصدار دار نشر ، جوليارد ، باريس .

(٢) المرجع Revue Militaire Générale Mai 1972 page 618

وصية الخليفة عمر بن الخطاب إلى قائده « سلمة بن قيس الأشجعي » وقد كلفه التوجه لحرب الأكراد :

سر باسم الله ، قاتل في سبيل الله من كفر بالله ، فاذا لقيتم عدوكم من المشركين فادعوهم الى ثلاث خصال :

١ ــ ادعوهم الى الاسلام ، فان اسلموا فاختاروا دارهم فعليهم في اموالهم الزكاة وليس لهم في فيء المسلمين نصيب وان اختاروا ان يكونوا معكم ، فلهم مثل الذي لكم وعليهم مثل الذي عليكم .

٢ ــ فان أبوا فادعوهم الى الخراج ، فان اقروا بالخراج فقاتلوا عدوهم من ورائهم ، وفرغوهم لخراجهم ولا تكلفوهم فوق طاقتهم .

٣ ــ فان أبوا فقاتلوهم ، فان الله ناصركم عليهم ، فان تحصنوا منكم في حصن فسألوكم ان ينزلوا على حكم الله وحكم رسوله ، فلا تنزلوهم على حكم الله ، فانكم لا تدرون ما حكم الله ورسوله فيهم . وان سألوكم ان ينزلوا على ذمة الله وذمة رسوله ، فاعطوهم ذمم انفسكم . فان قاتلوكم فلا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً .

نص وثيقة الصلح المعقودة بين نعيم بن مقرن ، وبين اهل الري ، تاريخ الطبري ، ج ٤ ــ ص ١٥١ :

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما اعطى نعيم بن مقرن الزيني بن قوله « حاكم الري » .

أعطاه الأمان على أهل الري ، ومن كان معهم من غيرهم على الجزاء ، طاقة كل حالم في سنه، وعلى أن ينصحوا ويدلوا ولا يغلوا ولا يسلوا، وعلى أن يقروا المسلمين يوماً وليلة ، وعلى أن يفخموا المسلم فمن سب مسلماً او استخف به نهك عقوبة ، ومن ضربه قُتِل ، ومن بدل منهم فلم يسلم برمته فقد غير جماعتكم .

نص وثيقة الصلح بين نعيم بن مقرن وبين مردانشاه مصمغان دنباوند ، الطبري ج ٤ ، ص ١٥١ .

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب من نعيم بن مقرن لمردانشاه مصمغان دنباوند واهل دنباوند والخوار واللارز والشرز انك آمن ومن دخل معك على الكف ، ان تكف اهل ارضك وتتقي من ولي الفرج بمائتي الف درهم وزن سبعة في كل سنة، لا يغار عليك ، ولا يدخل عليك الا باذن ، ما اقمت على ذلك ، حتى تغير ، ومن غير فلا عهد له ، ولا لمن يسلمه .

نص وثيقة الصلح بين عتبة بن فرقد وبين اهل اذربيجان ، تاريخ الطبري ، ج ٤ :

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما أعطى عتبة بن فرقد عامل عمر بن الخطاب أمير المؤمنين أهل اذربيجان ، سهلها وجبلها وحواشيها وشفارها وأهل مللها ، كلهم الأمان على انفسهم وأموالهم ومللهم وشرائعهم على ان يؤدوا الجزية على قدر طاقتهم ، ليس على صبي ولا امرأة ولا زمن « فقير ليس لديه فدية » **ولا متعبد ليس في يديه من الدنيا شيء لهم ذلك ولمن سكن معهم ، وعليهم قرى المسلم من جنود المسلمين يوماً وليلة ودلالته ومن حشر منهم في سنة، وضع عنه جزاء تلك السنة ، ومن اقام فله مثل ما لمن اقام من ذلك ومن خرج فله الأمان حتى يلجأ الى حرزه ، وكتب جندب وشهد بكير بن عبد الله الليثي وسماك بن خرشه الانصاري .**

نص وثيقة الصلح بين سراقة بن عمرو واهل الباب ، تاريخ الطبري ، ج ٤ :

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما اعطى سراقة بن عمرو عامل امير المؤمنين عمر بن الخطاب شهربراز ، وسكان ارمينيا والأرمن من الأمان .
اعطاهم اماناً لانفسهم وأموالهم وملتهم ألا يضاروا ولا ينتقضوا ، وعلى اهل ارمينيا والأبواب الطراء منهم والثناء « بمعنى الخارجين منها والمقيمين فيها » ومن حولهم فدخل معهم ان ينفروا لكل غارة ، وينفذوا لكل امر ناب او لم ينب رآه الوالي صلاحاً ، على ان توضع الجزاء عمن اجاب الى ذلك الا الحشر ، والحشر عوضاً من جزائهم ، ومن استغنى منهم وقعد فعليه مثل ما على اهل اذربيجان من الجزاء والدلالة والنزل يوماً كاملا ، فان حشروا وُضع ذلك عنهم ، وإن تركوا أخذوا به .
شهد عبد الرحمن بن ربيعة ، وسلمان بن ربيعة ، وبكير بن عبد الله ، وكتب مرضي بن مقرن وشهد .

وثيقة صلح طخارستان ، في اقليم خراسان جنوب الصغد

المرجع : فتوح البلدان ، البلاذري ، ص ٣١١

تقدم الأحنف بن قيس عـــلى رأس جيشه ، وحدثت معركة مع ملك طخارستان استمرت يوماً ، وفي اليوم التالي ارسل الملك وفداً ومع الرسالة التالية :

الى امير الجيش ،

انا نحمد الله الذي بيده الدول ، يغير ما شاء من الملك ، ويرفع من شاء بعد الذلة ، ويضع من شاء بعد الرفعة إنه دعاني الى مصالحتك وموادعتك ما كان من اسلام جدي ، وما كان من رأي صاحبكم من الكرامة والمنزلة فمرحباً بكم وابشروا ، وانا ادعوكم الى الصلح فيما بينكم وبيننا على ان أؤدي اليكم خراجاً ستين الف درهم وان تقروا بيدي ما كان ملك الملوك كسرى اقطع جد أبي ، حيث قتل الحية التي اكلت الناس وقطعت السبل من الارضين والقرى بما فيها من الرجال. ولا تأخذوا من أحد من اهل بيتي شيئاً من الخراج ، ولا تخرج المرزبة من اهل بيتي الى غيركم ، فان جعلت ذلك خرجت اليك ، وقد بعثت اليك ابن اخي ماهك ليستوثق منك بما سألت .

واجابه الاحنف بن قيس على رسالته بما يلي :

بسم الله الرحمن الرحيم

من صخر بن قيس امير الجيش الى باذان مرو روذ ، ومن معه من الأساورة والاعاجم .

سلام على من اتبع الهدى وآمن واتقى ، اما بعد .

فان ابن اخيك ماهك قدم علي فنصح لك جهده ، وابلغ عنك ، وقد عرضت ذلك على من معي من المسلمين ، وانا وهم فيما عليك سواء . وقد اجبناك

الى ما سألت وعرضت على ان تؤدي عن اكرتك وفلاحيك والأرض ستين الف درهم الي وإلى الوالي من بعدي من أمراء المسلمين إلا ما كان من الأرض التي ذكرت أن كسرى الظالم لنفسه اقطع جد ابيك لما كان قتله الحية التي افسدت الأرض وقطعت السبل ، والأرض لله ولرسوله يورثها من يشاء من عباده ، وان عليك نصرة المسلمين وقتال عدوهم بمن معك من الاساورة ان احب المسلمون ذلك وارادوه وان لك على ذلك نصرة المسلمين على من يقاتل من ورائك من اهل ملتك جار لك بذلك مني كتاب يكون لك بعـــدي ، ولاخراج عليك ولا على أحد من أهل بيتك من ذوي الارحام ، وان انت اسلمت واتبعت الرسول ، كان لك من المسلمين العطاء والمنزلة والرزق وانت اخوهم ولك بذلك ذمتي وذمة ابي ، وذمم المسلمين وذمم آبائهم ، شهد على ما في هذا الكتاب . جزء بن معاوية
او معاوية بن جزء السعدي ، حمزة بن الهرماس .
حميد بن الخيار المازنيان ، عياض بن ورقاء الاسيدي
وكتب كيسان مولى بني ثعلبة يوم الاحد من شهر الله المحرم .
وختم أمير الجيش الاحنف بن قيس ، ونقش خاتم الاحنف « نعبد الله »

ان مطالعـــة النصوص السابقة توضح بجلاء هدف الحرب ومبرراتها عند قادة المسلمين ففي رسالة الخليفة ابي بكر الصديق، عرض للمراحل التي يجب تنفيذها ، وهي :

١ ــ الدعوة للاسلام ٢ ــ دفع الخراج ٣ ــ الحرب .

وتأتي الحرب في المرحلة الثالثة ، وبعد قصور الوسائل السياسية والديبلوماسية عن تحقيق الهدف الاول وهو نشر راية الاسلام .

اما بالنسبة لدفـــع الخراج ، فهو تعويض ، او بدل ، عن الخدمـــة في جيش المسلمين ، ويظهر ذلك واضحاً من كلمة ابي بكر الصديق ، فان اقروا بالخراج فقاتلوا عدوهم من ورائهم وفرغوهم لخراجهم ولا تكلفوهم

فوق طاقتهم . وهكذا يسهم غير المسلمين بالمجهود الحربي ، لقاء حمايتهم وتفريغهم لشؤونهم الدنيوية والحياتية .

وقد اسقط الخراج ، او البدل ، في كثير من الحالات مثل :

١ ــ الحالم الذي لم يبلغ الرشد .

٢ ــ المرأة ، نظراً لعدم توفر دخل خاص بها في تلك الايام .

٣ ــ الفقير الذي لا يستطيع تقديم شيء من ماله .

٤ ــ المتعبد الذي كرس حياته لهدف امثل ــ بصرف النظر عن مذهبه أو ديانته ــ .

٥ ــ من يشترك في القتال مع المسلمين مع بقائه على مذهبه ودينه .

كما قيد الاسلام المحاربين بقيود أخلاقية صارمة منها :

١ ــ عدم السماح لمقاتلي الخصم ، بانتزاع وعود ، قد يصعب تنفيذها .

« فان سألوكم ان ينزلوا على حكم الله ورسوله فلا تنزلوهم على حكم الله فانكم لا تدرون ما حكم الله ورسوله فيهم ».

٢ ــ الالتزام بالقواعد الاخلاقية ، فلا تغلوا ، ولا تغدروا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا وليداً .

٣ ــ التمهيد لإقامة علاقات جديدة وبناء مجتمع جديد .

التزم المسلمون في حروبهم بهـــذه الأسس التي تظهر في كل وثيقة وكل معاهدة من المعاهدات التي أبرموها مع حكام الاقاليم .

وإن الخطوط العامة لهذه الاتفاقيات تستند الى النقاط العامة التالية :

١ ــ تحديد قيمة الخراج بدقة . مع استعداد المسلمين لانقاصها في حالات خاصة مثل عدم جودة المواسم الزراعية ، حدوث أوبئة .

٢ ــ تعزيز مكانة المسلم ، ووضع حصانة لحمايته نظراً لأنه يحمل اعباء نشر الرسالة السماوية « على ان يفخموا المسلم فمن سب مسلماً او استخف به نهك عقوبة ومن ضربه قتل » .

٣ ــ تقديم الدعم للمسلمين « على ان ينصحوا ، ويدلوا ولا يغلوا ، ولا يسلوا » . وعليهم قرى المسلم من جنود المسلمين يوماً وليلة ودلالته » .